٤- سلافة النديم
فى منتخبات عبد الله النديـــم
خطيب الثورة العرابية

جمعها شقيقه عبد الفتاح نديم
وأعدها وقدم لها
د./ عبد المنعم إبراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

أرونى أمة بلغت مناها
بغير العلم أو حد اليمانى
عبد الله النديم

وما المرء إلا قوله وفعاله
وباقيه حظ للتراب إذا ماتا
عبد الله النديم

أهل البنوكا والأطيان صاروا على
الأعيان أعيان وابن البلد ماشى
عريان ممعاه ولاحق الدخان شرم برم
حالى غلبان
عبد الله النديم

رقم الإيداع

١٦٢٤٩ / ٢٠٠٧

دراسة تحليلية

ترك النديم آثارا فكرية خالدة تشهد له بعظيم أثره فى الثقافة والعلم والأدب وتضعه فى الصفوف الأولى مع كبار المؤلفين. وتراث النديم الفكرى متعدد الجوانب فمنه التراث الصحفى، ومنه خطبه ومؤلفاته التى تفتقت عنها قريحته وخاصة فى أثناء فترة اختفائه عن أعين الانجليز داخل نجوع مصر وريفها وحواضرها فقد شغل نفسه بالتأليف فوضع من المؤلفات الكبيرة والصغيرة والرسائل العلمية والأدبية والدينية – التى عبرت عن البيئة المصرية ومشاكلها خير تعبير – ما يعد بالمئات[١]. ولسوء الحظ فإن ما وصلنا منها جد قليل فقد فقدت معظم مؤلفاته أما عن طريقة السرقة أو أنها حرقت أو ألقى بها فى النيل[٢]، ومع ذلك فإن ما وصل إلينا منها يكفى للحكم على مؤلفاته التى تنوعت ما بين أشعار[٣]، ومقالات أدبية وعلمية وسياسية ودينية كان قد نشرها فى الصحف سواء التى عمل بها[٤]، أو التى أسسها[٥] والتى عبرت عن مظاهر الحياة الاجتماعية التى عاشها النديم، والتى تعد من أهم فترات تاريخ مصر الحديثة فى القرن التاسع عشر حيث تجاذبت البلاد تيارات سياسية مختلفة تحاول تغيير أوضاعها والسيطرة عليها ، وقد عبر النديم عن ذلك فى مؤلفاته أصدق تعبير سواء فى روايتيه "الوطن وطالع التوفيق والعرب"، أو فى كتابه "كان ويكون" الذى طبع بعضه فى مجلة الأستاذ، أو فى مؤلفاته الأخرى.

وقد جمع شقيقه عبد الفتاح نديم بعض هذه الكتابات المتناثرة فى هذا الكتاب المكون من جزئين تصدر الجزء الأول منه ترجمة للنديم كتبها أحمد سمير أحد الكتاب المقربين منه عرض فيها مسيرة حياة هذا الزعيم الوطنى بشكل تغلبت فيه عاطفته تجاهه، ورغبته فى عدم تذكير الناس بمشاكل الماضى بشكل أبعده عن الحقيقة فى بعض الأحيان لدرجة أن الباحث المتمحص فى تاريخ النديم يرى فى هذه الترجمة بعض الهنات والهينات، كما يرى عدم تكاملها فى بعض جوانبها. وعلى سبيل المثال نذكر:

١- ذكر كاتب الترجمة أن والد النديم "كان وسطا فى اليسار"[٦]، بينما الحقيقة أن والد النديم كان خبازا فقيرا يصنع الخبز البلدى ويبيعه ويحصل من ذلك على مقدار الحاجة من العيش البسيط هو وأسرته[٧]، ويؤكد ذلك حالة التقشف التى عاشها النديم فى مقتبل حياته

([1]) لتفاصيل ذلك انظر: اسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.
([2]) للتفاصيل انظر: سلافة النديم، جـ١ ، ص ٥٩.
([3]) قيل أنه كان للنديم ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت بالإضافة إلى ديوان آخر فى نحو ثلاثة آلاف بيت.
([4]) مثل المحروسة والعصر الجديد.
([5]) مثل التنكيت والتبكيت ، والطائف، والاستاذ.
([6]) سلافة النديم، جـ١، ص ٣٤.
([7]) للتفاصيل انظر: عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، القاهرة – دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠، ص ٣٣.

كما يؤكده أن أحوال والد النديم المادية لم تساعده على إرسال ابنه إلى الأزهـــر للـــتعلم واكتفى بإرساله إلى جامع الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية هذا إلى جانب أن أسرة النديم كانت تسكن فى حارة ضيقة متواضعة من حوارى حى الجمرك بالإسكندرية.

٢- اغفل المترجم من حياة النديم أنه لم يصبر طويلا على الدراسة فى جامع ابراهيم باشـــا حيث أحس بجفافها وعقم الطريقة التى تدرس بها حتى اضـــطر إلـــى الفـــرار منهـــا والهروب من الدراسة فى الجامع إلى الشارع الذى وجد فيه مدرسة الحياة الواقعية التى كانت الكتب حتى ذلك الحين تترفع عن دراستها والتعرض لها.[1] والتى كانت بمثابـــة الجامعة التى تعلم منها النديم الكثير، وشاهد فيها الكثير، واغترف منها بذكائه الفطـــرى ما يشبع مزاجه وهوايته فى الأدب حيث أحاط بالحياة الشعبية، وسمع الأمثال والحكايات من شعراء الربابة ونوادر الظرفاء، كما إرتاد المقاهى والمنتديات والمجـــالس الأدبيـــة حتى بزغت شمس حياته الأدبية وأخذ فى إبتكار الأساليب الجديدة فى الإنشاء حتى فاق أقرانه واشتهر أمره، وأن والد النديم عندما بلغه ترك ابنه للدراسة وانقطاعه عنها ضاق به ذرعا وخيره بين الانتظام فى طلب العلم أو تخليه عنه مع رفض الإنفاق عليه فاختار النديم الأمر الثانى مما اضطره إلى البحث عما يسد رمقه حيث أن مهنة الأدب فى ذلك الوقت لم تكن تقيم الأود، والمعروف أن النديم تعلم صناعة التلغراف لكى يكتسب رزقه بعد ترك أبيه له وليس كما يذكر المترجم بأنه تعلمها "ليقف بواسطتها على أسرار الأمم فى مخابراتها والممالك فى سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على إصلاح المفاسد، وتقويم المعـــوج[2]"، فظـــروف النـــديم المادية كانت تتطلب منه البحث عن مصدر للرزق وليس الوقوف على أسرار الأمم كما يذكر صاحب الترجمة.

٣- لم يذكر المترجم ما تعرض له النديم خلال عمله فى مكتب تلغـــراف القصـــر العـــالى الخاص بالأميرة "خوشيارخانم" والدة الخديو اسماعيل فـــالمعروف ان اتصـــال النـــديم بالافغانى وانخراطه فى سلك تلاميذه، وتقارب أفكارهما ادى إلى فصله مـــن عملـــه[3]، وتشاجره مع "خليل أغا" كبير أغوات القصر.

([1])عبد اللطيف حمزة: مستقبل الصحافة فى مصر. القاهرة – دار الفكر العربى، ١٩٥٧، ص ٣٥.
([2])سلافة ، ص ٣٥.
([3])عن تفاصيل ذلك انظر:
احمد أمين: زعماء الأصلاح فى العصر الحديث – القاهرة – النهضة المصرية – الطبعة الثالثة ١٩٧١، ص ٢٢٤.

٤- لم يذكر المترجم أن النديم أثناء بحثه عن عمل بعد فصله من قصر الأميرة وتعرف على "الشيخ أبو سعده" عمدة "بدواى"، الذى دعاه إلى الإقامة فى قريته كى يعلم أولاده القراءة والكتابة والدين، وأنه استطاع خلال تواجده بهذه القرية معرفة أحوال الفلاحين والظلم والواقع على كواهلهم ثم ما لبث أن اختلف مع مضيفه وتشاحنا لدرجة أن النديم أنشد فى العمدة هجاء خرج به عن حد الأدب، وانه بعد خروج النديم من قرية "بدواى" تعرف على "شاهين باشا كنج" مفتش الوجه البحرى الذى قربه إليه، وفى صحبته تعرف على أحد رجال الحاشية الخديوية وهو "تتونجى بك" التى عينه وكيلا لدائرته مما أتاح له فرصة التردد على القاهرة ليقابل موكله هناك[1]، وخلال ذلك استطاع التردد على مجالس أستاذه الأفغانى الذى بدأ يجهر بالتحدث عن ضرورة التخلص من الظلم الاجتماعى والحكم الفردى والتدخل الأجنبى والاستبداد الواقع على أعناق المصريين.

٥- مع أن المترجم أرجع عودة النديم إلى الاسكندرية مسقط رأسه بحجة أن "الغربة كربة"[2]، فالمعروف ان "الأفغانى" هو الذى طلب من النديم التواجد بالاسكندرية بعد أن دخل هو وتلاميذه "المحفل الماسونى" وكان مكان النديم من هذا التنظيم الاسكندرية حيث كانت مهمته أن يكتب فى صحف المحفل الماسونى هناك المقالات التى يبصر الناس عن طريقها بمبادئ وآراء الأفغانى. [3]

٦- ذكر المترجم أن النديم كان عضوا فى "جمعية مصر الفتاة" السرية التى كانت تهدف إلى قلب حكم الخديو اسماعيل ثم تركها خشية اكتشاف الحكومة لأمرها[4]، وهذه حقيقة نضيف إليها أن الأمر لم يكن كذلك فحسب بل ان طبيعة العمل السرى كانت لا تتفق مع طبيعة النديم الشعبية ومن هنا فقد قام بمساعدة بعض أصدقائه بإنشاء "الجمعية الخيرية الإسلامية".

٧- جانب المترجم الصواب فى قوله أن رجال الثورة العرابية اغتصبوا من النديم "جريدة الطائف"، ولم يبق له منها غير الاسم[5]، فالمعروف ان النديم هو الذى كان يوجه الموضوعات فى الطائف وان كتاباته فيها كان يصدرها بنفسه من ميدان القتال[6]، كما

---

(1) على الحديدى: عبد الله النديم خطيب الوطنية، القاهرة، سلسلة أعلام العرب، ص ٦٤.
(2) سلافة ، جـ١، ص ٣٨.
(3) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٥٠.
(4) سلافة ، جـ١، ص ٣٨.
(5) سلافة، جـ١، ص ٤٢.
(6) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٧.

أن عرابى باشا قائد الثورة كان يستشير النديم فى كافة الأمور ومن هنا فــالقول بــأن رجال الثورة اغتصبوا من النديم جريدته أمر يشوبه الدقة.

٨- أن النديم جعل من حادث ٤ فبراير ١٨٨١ المعروف بحادث قصر النيل حركة شــعبية التف حولها الناس حيث أشار على عرابى بطبع منشور يطلب فيــه مــن الشــعب ان يفوضه فى المطالبة بحقوقه والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد[١]، فإن المترجم لم يتعرض لهذا الحادث فى ترجمته للنديم.

٩- مع أن دور النديم خلال مظاهرة عابدين كان واضحا حيث قام بجمع العرائض الكثيــرة الموقع عليها من الأهالى بتوكيل عرابى فى الدفاع عن حقوقهم والتــى أطلــق عليهــا البعض "المحضر الوطنى"[٢]، فإن المترجم لم يتعرض لها بشئ يذكر.

١٠- مع أن النديم شجع على تأسيس جمعية ذات صبغة سياسية بالاسكندرية لتوعية الشبان وتعبئتهم وطنيا وهى "جمعية الشبان بالإسكندرية" والتى كانت سندا للثورة وركيزة لها فى محنتها[٣]، فإن المترجم لم يتعرض لها بذكر.

١١- مع أن النديم كان له دورا بارزا أثناء المعارك مع الانجليز حيث عبأ الشعور الوطنى داخل البلاد ولحق بعرابى فى مقر قيادة جيشه، وعمل مستشارا سياسيا لــه وتحمــل عبء الدعاية كاملا فإن المترجم لم يتعرض لذلك. [٤]

١٢- على الرغم من أن النديم استنهض الهمم للدفاع عن القاهرة بعد الهزيمــة فــى التــل الكبير فإن المترجم لم يتعرض لمثل ذلك الموضوع.

١٣- ومع أن النديم كان صانعا للزعامات فهو صاحب التأثير الأول فى تكوين مصــطفى كامل الصحافى والخطابى والسياسى وان جريدته "الاستاذ" كانت الاستاذ لمصــطفى كامل ولغيره من الوطنين فإن المترجم لم يتطرق إلى ذلك.

١٤- مع أن البارزة الفكرية بين النديم والصيادى والتى نتج عنها تــأليف النــديم لكتــاب "المسامير" الذى آثار ضجة كبيرة فى الآستانة ومصر معروفة ومشهورة فإن المترجم لم يتعرض لها بشئ يذكر.

---

(1) احمد عرابى: كشف الستار عن سر الأسرار – مخطوط، ص ٢٢٩.
(2) محمد خليل صبحى: تاريخ الحياة النيابية فى مصر- القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٣٩، جـ٥، ص ٩٩- ١٠٦.
(3) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٧٥- ٧٧.
(4) نفسه، ص ١١٣.

١٥- جانب المترجم الصواب حين ذكر أن النديم توفى "ليلة الأحد عاشـر شـهر أكتـوبر ١٨٩٦"[(١)]، فالوثائق تثبت أنه توفى فى ١٣ أكتوبر ١٨٩٦. [(٢)]

والسؤال هو لماذا اغفل المترجم كل هذه الوقائع المهمة فى حياة النديم؟

الواقع أن السبب فى ذلك ربما يعود إلى ان هذه الترجمة كتبت بعـد هزيمـة الثـورة العرابية ونفى زعمائها، وحالة السكون والإعياء التى خيمت على الـبلاد واسـتكانة النفـوس، وانتشار اليأس والقنوط بين الناس، وتضاؤل الروح الوطنية فى النفوس، مما جعل المترجم يؤثر السلامة، ولا يحاول تذكير الناس بمآثر الحركة الوطنية وموقفها من التدخل الخـارجى والظلـم الداخلى.

وعلى كل حال فإنه نظرا لرغبة "عبد الفتاح نديم" فى جمع تراث أخيه الذى لعبت بأكثره أيدى الضياع، فقد جمع ما استطاع أن يجمعه منه فى هذا الكتاب وقام بتقسيمه إلى خمسة أقسام هـى:

١- منتخبات الرسائل الأدبية.

٢- منتخبات التنكيت والتبكيت وقد استعان فى جمعها من مقالات الأعداد الأولى من مجلـة التنكيت والتبكيت.

٣- منتخبات الأستاذ، وقد انتقى لها المقالات المهمة من مجلة الأستاذ مثل مقالـة وظـائف العلماء فى العالم، ومقال "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا" ووضعها ضمن موضوعات السلافة.

٤- منتخبات علمية.

٥- منتخبات متفرقة.

وفيما يلى نعرض لبعض هذه المنتخبات.

أولا: منتخبات الرسائل الأدبية:

لقد عشق النديم الأدب، ونهل من موارده وأسهم فى ميادينه المختلفة، خاصة فى فتـرة صباه ومر بتجارب عديدة كونت لديه العديد من التجارب التى استغلها فى تنمية الوعى الوطنى والاجتماعى والثقافى بين أبناء شعبه.

وقد جمع شقيقه عبد الفتاح نديم نماذج من هذه الرسائل التى تتضمن مختارات مما كتبه فى أغراض مختلفة وهى لواء النصر فى أدباء العصر، والتنور المسحور فى المفـاخرة بـين السفينة والوابور، وطالع الكرامة بحسن السلامة، ونار الغدو وثار العدو، واسـتعطاف المقـرر

---

(١) سلافة، جـ١، ص ٥٣.

(٢) أنظر: عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٤٥٦.

قلب المحرر، ودرر النحلة وغرر الرحلة، وحفظ الودائع لدرر البدائع، وتنبيه اللبيب وتسليه الحبيب، ودفع العرام بذل العزام، ونجوم الليالى فى عقود اللآلى، والساق على الساق فى مكابدة المشتاق، ورياض الرسائل وحياض الوسائل، وزند الأذهان وذبد الأذهان وحوض الخمر وخوض الجمر هذا بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل لبعض أصدقائه.

وفيما يلى نعرض لنموذجين من هذه المنتخبات لتوضيح مدى افتتان النديم ببعض ألوان البديع السائدة فى ذلك العصر.

١-لواء النصر فى أدباء العصر:

عندما استقر النديم بالقاهرة خلال عمله بمكتب التلغراف فى القصر العالى الذى كانت تقيم فيه الأميرة "خوشيار خانم" والدة الخديو إسماعيل والكائن بالعباسية أخذ النديم يتردد على المجالس التى كان يجتمع بها رجال الفكر وعشاق الأدب وعن طريق هذه المجالس تعرف على أحمد وهبى الطرابيشى[١]، الذى قدمه إلى ست من الأدباء العصر كان لهم أكبر الأثر فى تكوينه الأدبى وهم محمود سامى البارودى، وعبد الله باشا فكرى، والشيخ على أبو النصر، والشيخ أحمد الزرقانى، ومحمد بك سعيد، ومحمود صفوت وقد نعتهم النديم بأحسن النعوت فى الرسالة التى بعث بها إليهم.

والمتفحص لهذه الرسالة يجد أنها منسوجة على منوال من السجع[٢]، وفيها عدد مزايا هؤلاء الأدباء الستة الذين جالسهم، وأخذ عنهم، وشاركهم فيما هم فيه يتنافسون من صنوف الأدب حتى ثقف نفسه ثقافة حرة واسعة النطاق غير مقيدة بمنهج دراسى أو غيره. [٣]

ومن المعروف أن النثر فى ذلك العصر كان يعتمد على الصياغة اللفظية والبراعة فى الأسلوب والسجع والتقفية فى بعض الأحيان مما جعل النديم يحاول اظهار براعته فى الانشاء وقدرته على تأليف الكلام بشكل متكلف دفعه إلى العناية بالصياغة اللفظية دون المعنى، ومن هنا نجد جمل رسالته قصيرة المترادفات ومن ذلك قوله بئس الصنيع، يتقدم الوضيع، ويتأخر الشريف ويتطاول اللئيم فى مجلس الكريم، ويذم الظريف ...إلخ والنديم فى ذلك لم يخرج على الطبيعة الأدبية التى تملى على الأديب فى أول عهده بالأدب أن يهتم بالأسلوب وجمال اللفظ دون المعنى.

---

(١) كان يهوى الأدب والشعر، وافتتح دكانا للطرابيش بشارع عابدين تجاه جامع الكخيا بالقاهرة جعل منه منتدى للأدباء والشعراء، وكان عبد الله النديم من المترددين عليه دار الوثائق: محافظ الثورة العرابية – محفظة رقم ١٢ ملف ٢١٦.

(٢) للتفاصيل انظر سلافة، جـ١، ص ٦١-٦٨.

(٣) عبد المنعم الجميعى، مرجع سابق، ص ٤٣.

٢-طالع الكرامة بحسن السلامة: (١)

وهى رسالة كتبها النديم إلى أستاذه الشيخ محمد العشرى الذى تتلمذ عليه قبل تركه للدراسة فى الجامع الأنور بالاسكندرية وفيها يهنئ النديم أستاذه بالنجاة من الحادث الذى وقع للعربة التى كان يستقلها، وفى هذه الرسالة يعترف النديم لأستاذه بالفضل موضحا أنه غرس بستانه فكتب مخاطبا إياه "ربيت فأحسنت وغذيت فأسمنت مؤدبا ليثا، ولنت فسودت وجدت فعودت مهذبا غيثا وعلمت فافهمت وأشرت فألهمت، غرض سهمك وقد نلت ما أملت، فيمن فيه عولت بحسن فهمك غلامك الشهير بالنديم، ومن صار فى البيان كالنسيم، وكيف لا يكون لسانى قوس البديع، وكلامى السهم السريع، وأنت باريه وراميه...".

ومن هذه الرسالة يتضح مدى إخلاص النديم لأستاذه، كما يتضح التزامه بألوان من السجع المتكلف داخل رسالته هذه التى كتبها فى مطلع حياته الأدبية تشبها بكتاب عصره فى الأسلوب والكتابة.

ثانيا: منتخبات مجلة التنكيت والتبكيت: (٢)

قدم النديم أفكاره عن طريق الصحافة فى محاولة منه لتكوين رأى عام يقف ضد الظلم الواقع على أبناء مصر سواء من الداخل أو الخارج، وشجعه استاذه الأفغانى على ذلك.

وقد نالت مقالات النديم الصحفية أعجاب الناس لأنها كانت غريبة عليهم من حيث الأفكار والجرأة فى التعبير، كما كانت جديدة عليهم من ناحية الأسلوب الذى تناول فيه النديم الأحوال السياسية التى مرت بها مصر باسلوب رمزى(٣)، اتخذ فيه من بعض الكائنات غير الانسانية ستارا لبث أفكاره ومبادئه حيث لم تتح له ظروف مصر السياسية ما يريد أن يقوله بطريق مباشر فى تلك الفترة.

وقد اتجه النديم إلى تأسيس صحيفة تحمل إلى الناس أفكاره، واستطاع الحصول على أذن من رياض باشا رئيس النظار فى ذلك الوقت بإصدار جريدة تحت عنوان "التنكيت والتبكيت" وعن ذلك قال "اجتمعت برياض باشا فى مصر، وقد اضمر لى الأضر فنافقته ونافقنى، وجاذبته الحديث فوافقنى حتى أخذت منه إذن بجريدة التنكيت وما أردت إلا التبكيت، وقصدت أن تكون لسانى ليكون لى فى كل بلد محافل خطابية".(٤)

---

(١) سلافة ، جـ١ ، ص ١٣٣

(٢) نشر مركز تاريخ مصر المعاصر إعداد هذه المجلة كاملة بعد أن قمت بعمل دراسة تحليلية عنها.

(٣) للتفاصيل انظر: د. عبد المنعم الجميعى: مرجع سابق، ص ٤٢٢ – ٤٢٤.

(٤) د. محمد أحمد خلف الله. عبد الله النديم ومذكراته السياسية . القاهرة، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦، ص ٥٥.

وفى مطبعة جريدتى المحروسة والعصر الجديد فى الإسكندرية صدر العدد الأول من التنكيت والتبكيت فى يوم الأحد ٦ يونيو ١٨٨١ صحيفة وطنية اسبوعية أدبية هزلية.

انقسمت الكتابة فيها إلى قسمين قسم للتنكيت بمعنى السخرية من العيوب التى لحقت بالمصريين، وقسم للتبكيت بمعنى توبيخهم على ما وصلوا إليه من عيوب فى أسلوب قد يكون لاذعا وقد يكون مضحكا. وقد كانت هذه الصحيفة مؤثرة فى موضوعاتها وأسلوبها حيث تناولت آفات المجتمع بأسلوب التزم اللغة السهلة البسيطة كما احتوت على قوالب متعددة مثل القصص الرمزية والنوادر والزجل والمحاورات والأبحاث الهادفة.

وفيما يلى نعرض للمقالات التى نقلها عبد الفتاح نديم من هذه المجلة فبالنسبة لموقف النديم من المفسدين لعقول الشباب الذين يقومون بتشجيعهم للانغماس فى الموبقات التى لا توافق تقاليد أهل الشرق ولا أديانهم كتب النديم مقالا تحت عنوان "مجلس طبى لمصاب بالافرنجى"(١)، وصف فيه أحوال مصر وما وصلت إليه من افلاس ووصاية اجنبية وحكم استبدادى بأسلوب رمزى خاصة وان أحوال البلاد السياسية والاجتماعية فى ذلك الوقت لم تكن موائمة له لكى يقول ما يريد، فاحتال وسط هذا الجو للتعبير عن أفكاره باختيار شخوص معينة ليجرى على السنتها هذه الأفكار، ونتيجة لذلك صور فى هذا المقال أن أحد المفسدين إدعى انه من الاتقياء (يقصد بذلك الأوربيين) تسلل إلى شاب قوى جميل ذكى مستقيم الحال صحيح الجسم معتز بنفسه (يقصد به مصر) متظاهرا بالنوايا الحسنة حتى استولى على مشاعره وأبعده عن الاستقامة وإغراه بالغوانى من النساء حتى أوقعه فى مهاوى الرذيلة لدرجة تسببت فى سلب صحته وما له فبهت لونه ، وبرزت عظام وجهه وأصيب بداء الزهرى وتمكن الداء منه فهزل، ولما اجتمع الأطباء حوله يبحثون عن العلاج المناسب له ، وجدوا ان ذلك لا يتأتى إلا "بتطهير أعضائه وحفظه بحيث لا يتركون الغرباء يتولون خدمته ولا يمكنون الأجانب من الوصول إليه خوفا من إفسادهم العلاج وسعيهم إلى اتلافه اكثر مما صنعوه به".(٢)

وبذلك جعل النديم الخلاص الوحيد لهذا المريض لا يتم إلا على أيدى أهله. وعن الاندفاع فى تقليد الأوربيين بما لا يتفق وواقع الحياة الاجتماعية للشعب المصرى حذر النديم أبناء وطنه من أن تبهرهم المدينة الغربية فيندفعوا فى تقليدها بغير هدى ظنا أن كل ما عليه الغربيون من الأخلاق والعادات هو سبب نهضتهم، كما هاجم هؤلاء فى مقاله المعنون "عربى

---

(١) نشر النديم هذا المقال فى العدد الأول من مجلته التكينت والتبكيت ، بتاريخ ٦ يونية ١٨٨١، ص ٤-٦. وكلمة الافرنجى تعنى مرض الزهرى.

(٢) سلافة ، جـ١ ، ص ١٣٦-١٣٩.

تفرنج"[١] والذى تحدث فيه عن شاب من أبناء الفلاحين سماه "زعيط" أرسلته الحكومة المصرية إلى أوربا لاستكمال تعليمه، وبعد أن أتم دراسته هناك عاد إلى بلاده متبرمـــا بعـــادات قومـــه وأخلاقياتهم، ولم يكتف بذلك بل أخذ يذم أهله وبلاده كما نسى لغته العربية.

وقد وصف النديم هذا الشاب بأنه لم يتهذب صغيرا ولم يعرف حقوق وطنـــه ولا حـــق لغته، ولا قدر شرف أمته، كما نعته باللئيم الجاهل بحق الوطن.

وبالنسبة لمضار عادة الكيف تعرض النديم فى مقاله "سهرة الانطـــاع"[٢] عمـــا يســـببه تعاطى الحشيش من تكاسل وتراخى أبناء الوطن وتركهم للعلوم ووسائل التقدم، وقـــد اســـتخدم النديم فى قصته احدى الشخصيات أطلق على صاحبها اسم المهذب فأوضح أن أحـــد المهـــذبين دخل بيتا وجد فيه عشرة من الرجال جالســـين متكـــدرين مبهـــوتين ســـاكتين لا يتكلمـــون ولا يتحركون، فظن المهذب أن رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكدرون مما أصابه ولما ســـال عن السبب ذكروا له أنهم مجتمعون للأنس والمفاكهة ولما سألهم هل ما يدور فى مجلسهم هـــو تقدم الصناعة وانتشار التجارة فى العالم المتقدم أوضحوا أنهم لا يهمهم فى هذا المجلس ســـوى تعاطى الكيف والتفنن فى القاء النكات حتى يناموان وهم سعداء ولا يسألون عن الدنيا وعلى عن ما فيها.

فاتهم المهذب هؤلاء بأنهم لم يتربوا فى الصغر التربية النافعة والسليمة فخرجوا أســـرى شهواتهم وابتعدوا عن المعارف والمنافع. وعن التخريف والاحتيال وتخريـــب عقـــول النـــاس، وإفساد أخلاقهم وتزوير أدبهم الشعبى الأصيل ومحتواه هاجم النديم مروجى هذه الآفات فكتـــب تحت عنوان تخريفه "الجنون فنون"[٣] مقالا ندد فيه بالجهال من شعراء الربابة الذين يجهلون ما يقولون ويحفظون عن ظهر قلب ولا يفهمون فأوضح أن أحد المحتالين ذهب إلى قهوة، وأخـــذ يقرأ تخاريف سماها "قصة عنترة" فاجتمع إليه عدد من عامة الناس، فلما رآهم منصتين إليه ذكر بعض عبارات نسبها إلى عنترة انقسم الناس على أثرها إلى قسمين كل فريق يدفع النقود لـــذلك المحتال ليؤيد مطلبه، وظل المحتال يتفنن فى الكذب حتى الفجر وأخيرا قال وبينما هم فى قتـــال ونزال، وقد انكشف الغبار عن أسر عنترة وسنخلصه فى الليلة المقبلة، فثار احد المستمعين قائلا لابد أن تخلصه الآن، وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشـــتمه المجنـــون، وعلت أصواتهما بالقبائح وآل الأمر إلى الضرب والإهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر ان عنـــده قصة عنترة ولكنه أمى لا يقرأ فقصد بيت ابنه وأيقظه من النوم وهو يبكـــى، وطلـــب منـــه أن

---

(1) انظر: العدد الأول من مجلة التنكيت والتبكيت بتاريخ ٦ يونية ١٨٨١، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٣٩.
(2) التنكيت والتبكيت: العدد الأول فى ٦ يونية ١٨٨١ ، ص ٨ ، وسلافة النديم ، جـ١ ، ص ١٤١- ١٤٤.
(3) التنكيت والتبكيت فى ٦ يونية ١٨٨١، ص ١٠- ١١، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٤٤- ١٤٥

يحضر قصة عنترة، ويخلصه من الأسر وإلا قتل نفسه، ولما حاول الابن اقناع أبيه بأن هذه حكاية مكذوبة وقصة كلها تخريف، وما عنتره إلا عبد أسود أخذ شهرة بما صنعه من قتل بعض الناس بلا حق قام الرجل بسب ابنه كما ضربه بعصاه حتى سال دمه، وطرده من بيته انتقاما منه لأنه شتم عنترة فخرج الإبن يسب الجهل وأهله قائلا: "لاشك أن الجنون فنون".

ومن هذه القصة يتضح كيف كانت حياة المقاهى المصرية فى القرن التاسع عشر، وكيف كان الناس ينصرفون عن مشاكلهم الحقيقية إلى غيبوبة القصص الخرافية والحكايات الوهمية، كما يتضح كيف ان النديم فى نقده لمجتمعه كان يهدف إلى الإصلاح وتقدم البلاد، فحاول ان يبصر أبناء وطنه بعيوبهم ويعرض عليهم مشاكلهم ويبحث معهم عن أيسر الطرق لعلاجها دون تملق أو تزلف .

وحول رغبة النديم فى تحرير الفلاحين من شباك الدائنين والمرابين الذين يستغلون جهلهم فى ابتزاز أموالهم كتب مقالا بعنوان "محتاج جاهل فى يد محتال طامع"[1]، كشف فيه عن غش هؤلاء وتسترهم تحت حماية القوانين والمحاكم المختلطة مستغلين فى ذلك سوء أحوال الفلاحين حيث لم يجدوا من سبيل سوى الالتجاء إليهم مع أنهم كانوا من أكبر أعوان الظلم فى ذلك الوقت ومن أشد أنصاره، وقد ضرب النديم مثالا على ابتزاز الأجانب الذين انتشروا بين الفلاحين انتشار الذئاب بين الأغنام فقال ان أحد المزارعين استدان من أحدهم مبلغ مائة جنيه فاعطاها له بالربا بمائة وعشرين، ولعدم معرفة الفلاح للحساب كان المرابى يستغل ذلك فى غشه ومغالطته حتى تدخل أحد النبهاء وأنب المرابى على ذلك وتمنى أن تعمل الحكومة على حفظ الحقوق حتى لا يقع بعد ذلك جاهل محتاج فى يد محتال طامع.

ومن هذا المقال يتضح لنا أن وطنية النديم كانت تأبى عليه استغلال الأجانب لأبناء وطنه من الفلاحين فحاول تنبيههم إلى ما وصل إليه هؤلاء من ثروة بينما هم فى حالة شديدة من السوء[2]، وعبر لهم عن ذلك بكل الوسائل التى يمكن أن تصل إلى افهامهم وكان منها الزجل، الذى قال فيه:

أهل البنوك والأطيان　　صاروا على الأعيان أعيان
وابن البلد ماشى عريان　　ممعاه ولا حق الدخـــان
شرح برم حالى غلبـــان[3]

---

(1) نشر هذا المقال فى العدد الأول من مجلة التنكيت والتبكيت فى ٦ يونية ١٨٨١، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٤٥-١٤٨.
(2) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٣٦٤.
(3) التنكيت والتبكيت: العدد الثانى فى ٣١ يوليو ١٨٨١.

وعن دفاع النديم عن اللغة العربية ووقوفه فى وجه محاولات الاستعمار للتقليل من شأنها ونقده لأبناء الوطن الذين يتفاخرون باستعمال اللغات الأجنبية كلغة للتفاهم والتعامل والمخاطر التى ستترتب على مستقبل الوطن والدين نتيجة لما يفعلون كتب مقالا تحت عنوان "إضاعة اللغة تسليم للذات" خاطب فيه المتفرنجين قائلا: "أيها الناطق بالضاد – بم تستبدل لغتك وليس لها من مثيل وان تتركها وأنت لها كفيل، وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابله فيها"[١]، كما بين لهم أن اللغة هى سر الحياة، يترجم بها اللسان عن خواطر القلب، وأنها فى حد ذاتها شخصية استقلالية لأن الذى يعبر بلغته يشعر بالقوة وتتطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال ثم انتقدهم بقوله "بقى لما تتكلم بلغة ضيوفك وكل من جه تأخذ لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا حتى بقيت غريب عن الديار، وضيعت مجدك وشرفك، كما طالب النديم بالاكثار من مدارس الجمعيات وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة العربية بطريقة تهذيبية.[٢]

وحول المفاسد التى تترتب على عادة الكيف كتب النديم مقالا بعنوان "هف طلع النهار"[٣]، أوضح فيه ما تسببه عادة الكيف من الجبن وتبلد الفكر وسوء الأخلاق، وطالب أبناء الوطن بالعمل على ما يساعد على تقدم البلاد، كما حذر الشبان من أبناء الذوات من الاسراف والانهماك فى شرب الخمر ولعب الميسر.

وحول ضرورة تنظيم أحوال العمال وأهمية ترقية أمورهم كتب النديم مقالا بعنوان جواب عن سؤال[٤] اقترح فيه أن تعقد جمعية لكل طائفة من العمال للنظر فى شئون أفرادها وتوزيع الأعمال بينهم على أن يفرض مبلغ ضئيل من المال على كل صانع بصفة سهم يدفعه على حسب قدرته بحيث توضع هذه المبالغ فى صندوق تدار منه الأموال، ثم توزع الأرباح على أصحاب الأسهم بعد أن يحجز من كل صانع جزءا يضيفه إلى سهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لا يشعر كما طالب بترك التحاسد والتباغض بين أصحاب المهنة الواحدة حتى لا تموت الصنائع، واقترح على النبهاء إطلاع أهل الصناعة على محتويات الجرائد التى يقرأونها حتى يروا مدى تقدم صناع أوربا وطرق اجتهادهم فى زيادة الثروة لأن ذهن الصائع المصرى كامل التيقظ ولا ينبه بأكثر من الاشارة، كما حث الحكومة على مساعدة الصناع حتى تظهر الصنائع إلى الوجود وحذر من أنه إذا لم يحدث ذلك فإن أهل الصناعة سيصبحون خدما للتمولين وتضيع الصناعة وتفقد الثروة ويختل نظام الأحوال الاجتماعية وطالب بتكوين بنك قومى لمساعدة

---

(1) التنكيت والتبكيت: العدد الثانى فى ١٩ يونية ١٨٨١، ص ١٩، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٥٣- ١٥٦.
(2) نفسه.
(3) نشر هذا المقال فى العدد الثانى من التنكيت والتبكيت فى ١٩ يونية ١٨٨١، ص ٢٢- ٢٤، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٦٦- ١٦٨.
(4) نشر فى العدد الثانى من التنكيت والتبكيت بتاريخ ١٩ يونيه ١٨٨١، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٧٠- ١٧٣.

الصناع ومساندة الصناعة الوطنية وحمايتها بحيث يتكفل بمساعدة أصحاب الصنائع الموجودة بتقديم السلف اللازمة واستحضار ما يلزمهم من الآلات الحديثة، وليكون وسيلة للتخلص من سيطرة الأجانب على الاقتصاد المصرى.

وهكذا دعا النديم إلى إصلاح أحوال الصناعة والصناع وحذر من إهمال ذلك فوضع أسسا جديدة لإصلاح أحوالهم قبل أن يضع محمد فريد أساس حركة النقابات فى مصر.(١)

وعن الخرافات الشائعة فى ذلك الوقت باسم "الاستخارة" و "المندل" تحدث النديم عن اقبال الناس عليهما فذكر ان أحد الدجالين حضر من المغرب مدعيا أنه عليم بالاستخارة والخرافة الذائعة فى مصر باسم "المندل" فهب الناس قائمين إجلالا له وذهب إليه الكثيرون ليكتب لهم خرافة من أساطير الأولين، فكانوا يأخذونها فرحين والسنتهم تقول (خذ من عبد الله وتوكل على الله).

وقد نصح النديم أبناء وطنه بعدم الاعتقاد فى هذه الخرافات التى تعطل الفكر والإرادة لأنها لو كانت صادقة ما بقى فى الدنيا غامض ولا مخبأ ولاعتمدت عليها المحاكم فى كشف السرقات والجناة ولصار أصحاب هذه الخرافات من أغنى أغنياء الدنيا.

وقد ندب النديم الوطن لتواجد مثل هذه البدع والخرافات فيه فقال هل توجد مدنية على جانب من الجهل مثل مدنيتنا وعقائدنا الواهية يقوم الغربى من رقاده باكرا ويفتح عينيه على قوته العاملة، ويقوم الشرقى صحوة النهار إلى مشعوذ سخيف ينظر فى مستقبله فينحرف هذا حتى يشبع ذاك مالا.

كما انتقد النديم تقليد الناس لبعض الأفراد دون النظر إلى النفعة التى ستعود عليهم من ذلك فقال تحت عنوان "غفلة التقليد"(٢)، أن "رجلا بنى بيتا وزخرفة وملأه بالأثاث والمتاع ثم دعا بعض أصدقائه إلى وليمة ، وكان فى جملة المدعوين أحد النبهاء، ولما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم مقدار ما صرفه فى بناء هذا البيت وانه اشترى خزانة كتب، وضع بها كتبا بمائة جنيه، ولما سئل عن الكتب التى يفضل قراءتها قال أنه لا يفضل منها شيئا ولكنه دخل بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والأمير فلان، فوجد فى مضيفه كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشة من الريش والخادم كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فأحس أن هذا طراز جديد فى بناء البيوت فرتب مضيفته مثلهم ليكون فى صف المتمدينين فلعن النبيه الجهل وسب التقليد قائلا لقد "أصبح الكل نائما فى غفلة التقليد".(٣)

---

(١) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق، ص ٣٥٦.
(٢) التنكيت والتبكيت : العدد الأول فى ٦ يونيه ١٨٨١ ، ص ١٣- ١٥، ص ١٤٨- ١٥٢.
(٣) التبكيت والتبكيت : العدد السابق، ص ١٥.

وفى علة الطلاق وإسراف المسلمين فيه وفى التزوج بأكثر من واحدة طالب النديم الحكومة ورجال الشرع بوضع حد له وان يكون هناك نظاما للطلاق حتى لا تتشرد الأسرات ويتحطم الأبناء وحتى لا يساء فهم الدين، وطالب من يتدخلون لفض النزاع فى مثل هذه الحالات ان يكون تدخلهم للخير والاصلاح، ولا يحكمون على شئ قبل التروى حتى لا تشتعل نار الحقد بين العائلات بل يقومون بإصلاح ذات البين درءا للمفاسد المترتبة على الخلاف والخصام لأن أكثر النزاع بين الناس يكون سببا عن وشايات أرباب المفاسد، وسعايات سيئ المقاصد.

وفى مقال "تسمية البهيم بالمتوحش ظلم للإنسان"(١) خاطب النديم ضمائر الأغنياء مؤنبا لهم ترك الفقراء يتضورون جوعا بينما هم يجلسون أمام الموائد الحافلة يصنفون الطعام، والفقراء ينتفضون من شدة البرد وقلة الغطاء بينما هم ينامون على الفراش اللين الوثير فقال: "أيها الفرح بما ملكت يداه ما أحزنك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال له يطبب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه فى حفظ حياته أف لك ولمالك" ونصحهم بأن ما يصرفونه فى الملاهى الليلية يمكن صرفه على الأيتام والفقراء حتى يستقيم حال المجتمع وحذر الغنى من غضب الفقير عليه فقال "أنت تحى الكثير من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الألوف.. فبؤت بغضب الأمة وسخط البلاد".

ورغبة من النديم فى تمكنه من نقل أفكاره إلى أبناء وطنه بشتى الطرق أخذ ينتقل بين البلاد لتحريك أفكار الناس(٢)، كما كان يرتقى منابر المساجد، ويقف فى كل محفل، ويخطب فى كل ناد حيث يرتجل الكلام ارتجالا، ويتدفق فيه تدفقا(٣)، يستخدم أحيانا النكتة الممزوجة بالتهكم والسخرية من الأوضاع التى تردى فيها المجتمع، ويستخدم أحيانا أخرى الزجل والشعر وألفاظ من القرآن الكريم ولما كانت الخطابة فى ذلك الوقت قاصرة على خطباء المساجد ووعاظها وفى معظمها عبارات دينية متكررة ومحفوظة تتلى على مسامع العامة دون أن تحرك القوى الكامنة فى نفوسهم فقد حاول النديم تغيير منهج هذه الخطب لأهميتها فى نشر الوعى الوطنى، وتحويل المجتمع إلى قوة وطنية ضاربة فكتب مقالا تحت عنوان "السن الخطباء تحى وتميت"(٤) ذكر فيه أن الخطابة هامة لتنوير العقول حيث هى بمثابة الغذاء للبدن على مر العصور، ثم ذكر أن خطبة الجمعة فرضت على الإسلام لأمر تغيب عن كثير من الناس حكمته، وهو أن يقف

---

(1) التبكيت والتنكيت : العدد الثالث فى ٢٦ يونيه ١٨٨١، وسلافة النديم، جـ١، ص ١٧٦- ١٨٣.
(2) تنقل النديم بين ميت غمر والمنصورة ودمياط ودسوق وزفتى.
للتفاصيل: أنظر: التنكيت والتبكيت صفحات ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٢، ٢٠٨.
(3) للتفاصيل انظر: د. عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ص ٤٠٩.
(4) سلافة النديم، جـ١، ص ١٩٣- ٢٠٠.

الخطيب بين قومه وقفه الخليفة الأمر الناهى فيقص على الرعية ما ورد عليه من الأخبار، وما يرجوه من الإصلاح ويوضح لهم احوال البلاد، وأحوال من بعد عنهم من أخـوانهم المـؤمنين لتكون الأمة على علم بأحوالها فى سائر بلادها حيث يكون فى هذا من النصح والوعظ والأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر ما لا ينكره إلا مقيد بديوان أمر مربوط فى بعض وريقات صنفها غيره، ثم تحدث عن أهمية خطبة الجمعة فقال ان امة تجتمع كل اسبوع فى ساعة واحـدة فـى سائر أنحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على أحوال البلاد وسيرها وتقدمها لهى أمة جديرة بالتقدير، وذكر الخطباء أن الخطابة لم تكن فى الإسـلام قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا وزخرفها كما يحدث الآن بل كانت تتضمن أخبار الأمة وحوادثها لأنها بمنزله الجرائد، ودعاء إلى أن يتبرع الأعيان بمبلـغ مـن المـال يخصص لنشر الخطب الأدبية والسياسية كما أعلن عن استعداده لكتابة خطبة فى كـل أسـبوع تتناسب مع الأحوال ثم تطبع وتنشر فى سائر أنحاء البلاد لتنبه الأفكار وتعرف الأمة قدرها، وما تحفظ به نظامها بين الأمم وطلب أن يجتمع الأعيان، ويعرضوا ذلك علـى ديـوان الأوقـاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة، وقد وضع النديم نموذجا لخطبة[1] يمكن السير على منوالها تحـدث فيها عن أهمية الاتحاد وحث على الائتلاف، وحذر من الاختلاف، وطالب بالابتعاد عن الظلـم والبغى فى معاملة الأخرين والتمسك بالدين مع عدم التعرض للأديان الأخرى، والابتعـاد عـن التهور لأن ذلك يجلب الشر للأمة، وذكر بحقوق النزلاء وعدم الإساءة للأجانب.

وبهذه المعانى أراد النديم ان تسير خطب الجمعة لتوضح للمواطنين ما يمكنهم من السير فى الطريق السليم لأنها تعد بمثابة إذاعة محلية وطنية لا يقتصر سماعها على الحاضرين لهـا فحسب، بل تمتد فائدتها إلى الآخرين عن طريق تناقلها بين الأفواه، وطبعها وتوزيعهـا علـى الناس وهكذا كان هدف النديم من نقد مجتمعه الإصلاح، وتهذيب أخلاق النـاس فكـان بـذلك المصرى الصادق الذى لا يتملق أبناء وطنه أو يداهنهم بل كان يبصرهم بعيوبهم، ويناقش معهم مشاكلهم ويشاركهم فى البحث عن اقصر الطرق لعلاجها ومن المعروف أن النديم كان خطيبـا مفوها طار صيته منذ أيام خطابته فى الجمعية الخيرية الإسلامية وخلال حوادث الثورة العرابية.

وعن العمل المسرحى وفن التمثيل عرض عبد الفتاح النديم لجهود أخيه فى هـذا الفـن فتعرض لمقال منشور بمجلة الأستاذ للنديم ذكر فيه بأنه "فن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار

(١) حول هذه الخطبة أنظر سلافة النديم، جـ١، ص ٢٠٠-٢٠٢.

الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم".[١]

وقد ارجع هذا الفن إلى العرب والمصريين منذ القدم ثم نقله عنهم الأوربيون عند مخالطتهم لهم فى الأندلس والشام. [٢]

وقد كتب النديم روايتين قدمهما للمسرح وهما "رواية الوطن وطالع التوفيق"، ورواية "العرب" ولم ترد بين أيدينا من هاتين المسرحيتين سوى فقرات من رواية الوطن المنشورة ضمن صفحات هذا المجلد من تراث النديم، والتى رسم منها النديم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقد الاستبداد إرادته، وأماتت المصائب المتراكمة إحساسه حتى فقد الأمل وترك العمل وانحصرت لذاته فى ألوان من المتع الرخيصة وقد كتب النديم هذه الرواية بالعامية والفصحى معا حيث جعل كل شخصية تتحدث باللغة التى تناسبها بهدف حث أبناء الوطن على النهوض من وهدة الحضيض إلى أوج التقدم[٣] ورسم صورة ناطقة للمجتمع المصرى الذى أفقده الاستبداد إرادته وأماتت المصائب المتراكمة إحساسه فصور الوطن بشخصية رمزية تنادى بالتعاون بين جميع المصريين، كما اختار شخوصا من سكان القرى، وبعضها الآخر من سكان المدن، ومنها من هو من فلاحى الأرض أو الصيادين أو الجهلة[٤]، مثل أبو دعموم وأبو الزلفى والحاج حسين وأبو العلا والسيد على والسيد ابراهيم والحاج رزيجه وأبو رجب وعزت افندى ومظهر وبدر وعامر وسلمى ودعدومى والطيئة والنابغة والعرب.

والشكل الحوارى لهذه الرواية عبارة عن الدعوة لتطوير المجتمع وما يسوده من اخلاق وعادات فصور النديم الظلم الواقع على الفقراء، وانتقد أسلوب رجال الحكومة أمثال الطوافة ومشايخ البلد وحكام الخط والمديرين فى جمع الأموال وانتشار الرشوة بينهم وأوضح للفقراء بأن الإصلاح لا يكون إلا بالاتحاد وإنشاء الكتاتيب ليتعلم أولادهم فتنتشر المعارف وتعرف الحقوق، وانتقد ما يردده البعض من أنه لا يذهب إلى المدرسة إلا الأولاد المصابون بعاهة فى أبصارهم أو فقدوا أحد أطرافهم حتى يرتزقوا من قراءة القرآن على الأضرحة وفى المقابر، كما طالب النديم الفقراء بالمساهمة فى إنشاء الجمعيات، وذكرهم بأنهم أصل كل شئ، وصور الأغنياء بالبخلاء الذين لا يعرفون حق الوطن كما صور رجال الحكومة بالمفسدين، وامتدح الخديو فى نهاية الرواية ووضع الأمل على يديه للأكثار فى إنشاء المدارس[٥]، ومع أن الرواية تنقصها

---

(1) سلافة النديم، جـ٢ ، ص ٢٨١ ، والأستاذ. الجزء الحادى والعشرون فى ١٠ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان : "فريق التمثيل العربى".
(2) نفسه.
(3) التنكيت والتبكيت : العدد السابع فى ٢٤ يوليه ١٨٨١، ص ١١٣ مقال للشيخ حمزة فتح الله عن رواية الوطن وطالع التوفيق.
(4) د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر. القاهرة، مكتبة الآداب ١٩٥٦، جـ١، ص ٢٢٥.
(5) سلافة النديم، جـ٢، ص ٢٤٥- ٢٨٠.

الحبكة الفنية فإنه يمكن القول بأن النديم اتخذ من المسرح وسيلة حاول ان يوصل من خلالها إلى الشعب رسالته ويلقنه عن طريقها بالمبادئ الوطنية والاجتماعية[١]، وتبدأ الرواية بحوار يدور بين رجلين يشكوان سوء الحال على النحو التالى:

ابو دعموم: كانت فين دى الغيبة

أبو الزلفى في جهنم الحمرة

أبو دعموم ليه من غير شر ما أنت بخير

أبو الزلفى ما بار علينا ما بخير ولا

أبو دعموم ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه

أبو الزلفى: يبقى ما أنت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم، وحاكم الخط مشرمطنا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حديد ولا إيه.

أبو دعموم: يا دم يلهفك يا خى يبقى ما ترميش للكلب بريزية وتخلص

أبو الزلفى: عوار يحول عينك هى كام بريزية دا اللى بيطلبوه الصبح ما بيطلبهوشى المغرب...إلخ .

وهكذا انطق النديم شخوص مسرحيته بما يتناسب مع الطبقة التى ينتمون إليها فتحدث الفلاح بلهجة أهل الريف "يبقى ما أنت شايف الطوافة نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم.." والصياد يستعمل لهجة أهل السواحل "هى كان بريزية" واجرى على لسان المتعلم لغة فصحى قريبة من العامية "تعلمت شيئا كثيرا"، كما جعل حديث الشباب من المتفرنجين بلغة عربية ممتزجة بلغة أجنبية "بنجور يا مسيو مظهر" و"بنجور عليك يا منشير عزت"[٢]، ثم جعل الوطن يتحدث بلغة عربية فصحى كما خص سكان البادية بالشعر العربى الفصيح وبذلك استطاع النديم ان يحقق نوعا من الواقعية فى نصه المسرحى.

وقد مثل تلاميذ النديم تحت إشرافه هذه الرواية على مسرح زيزينيا أكبر مسارح الاسكندرية فى ذلك الوقت فى حضور الخديو توفيق وكبار رجال الدولة، فكان لها فى النفوس أثر كبير بعد أن نبهت الأذهان إلى العيوب الاجتماعية والسياسية فى المجتمع المصرى وما يتحمله الأهالى من الظالم والمغارم. [٣]

---

(١) نجيب توفيق: عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية – القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٠، ص ٢٨٥.
(٢) التنكيت والتبكيت : العدد الخامس فى ١٠ يوليو ١٨٨١، ص ٨٧.
(٣) انظر سلافة النديم، جـ٢، تحت عنوان: (شذرة من رواية الوطن).

ومع أن النديم قد مدح الخديو فى نهاية المسرحية إلا أنها كانت تبرز الظلم الواقع على كواهل الناس وتحارب الدكتاتورية والحكم المستبد والاستسلام للأجنبى المسيطر على الأجهزة الحكومية. (١)

وبما أن الكتابة للمسرح تحتاج إلى خبرة ودراية لا تتوازن لغير المنقطع لهذا الفن يدرسه ويروض نفسه عليه فإن للنديم العذر فى عدم إجادته فيما كتبه للمسرح فروايته مزدحمة بالكثير من الشخصيات، وقارئها لا يعرف متى أدخلت هذه الشخصيات إلى المسرح ومتى خرجت ومع ذلك فإن استعماله للسخرية اللاذعة بقصد علاج النقائص الاجتماعية، ومدى انتشار الرشوة بين رجال الحكومة كان له أكبر الأثر فى النفوس. (٢)

يذكر البعض أن مسرحيات النديم جاءت فى صورة عظات وخطب وكان من الأجدر لمؤلفى هذه الفترة أن يتذكروا ان وظيفة المسرح هى الترفيه عن النفس قبل كل شئ، أما الخطب الرنانة والعظات القيمة فمجالها المنابر ودور العبادة(٣)، ولكننا نرى أن الظروف التى مرت بها البلاد فى تلك الفترة جعلت من المسرح صدى للأحداث القائمة، وحتمت على رجل مثل النديم ان يساير هذه الأحداث بل يطوع مسرحه لخدمة الحركة الوطنية مع التركيز على القاعدة الشعبية.

ومعنى ذلك ان النديم استعمل كافة الوسائل لتنبيه أبناء وطنه وانقاذهم مما تردوا فيه، وكان المسرح ضمن وسائله وكانت مسرحيته "الوطن وطالع التوفيق" صدى قويا لما ألم بالمجتمع المصرى فى مساوئ اجتماعية وسياسية.

وعلى أى حال فإنه نتيجة لانضمام النديم إلى العرابيين، وبعد أن أصبح داعيتهم الأول، وأصبحت جريدته هى لسان حالهم طلب منه عرابى تغيير اسم جريدته من التنكيت والتبكيت إلى اسم يتناسب مع الظروف التى يمر بها الوطن، واقترح عليه أن يكون هذا الاسم هو لسان الأمة ولكن النديم اختار اسم "الطائف" لتفاؤله بأن هذه الجريدة ستطوف البلدان الاسلامية، وتيمنا منه بالبلدة الموجودة بهذا الاسم فى الحجاز، ومن هنا ظهرت الطائف(٤) بدلا من التنكيت والتبكيت ثم ظهرت بعد ذلك الاستاذ التى تعد ثالثة صحف النديم وقصة إنشاء هذه الصحيفة هى أنه بعد أن أصدر الخديو عباس الثانى عفوه عن النديم وأباح له العودة إلى مصر بعد أن نفاه الانجليز إلى يافا على أثر انكسار العرابيين وصل النديم إلى مصر فى ٩ مايو ١٨٩٢، وبالرغم من أن قرار

---

(1) جرجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية. الجزء الرابع ، ص ٨٠.
(2) محمد عبد الوهاب صقر وفوزى شاهين: عبد الله النديم ، القاهرة – الألف كتاب ، ص ١٩٧
(3) يوسف عبد العزيز: المسرح الاجتماعى بمصر – رسالة ماجستير غير منشورة، بجامعة القاهرة، ص ٢٤١.
(4) جريدة سياسية اسبوعية اصدرها عبد الله النديم لمساندة العرابيين خلال مقاومتهم للانجليز، والموجود منها بدار الكتب المصرية ممزق وغير كامل.

العفو عنه اشترط عليه إلا يعمل فى السياسة، ومع أن أحواله الصحية كانت قد تضعضعت نتيجة لما تعرض له خلال الاختفاء والنفى من متاعب ومشقات، ومع أنه كان باستطاعته ان يكتفى بما قدمه من تضحيات فى سبيل مصر، وكان يمكنه أن يجنح إلى مصانعه الاحتلال مثلما فعل غيره، وبالرغم من تلميحات اللورد كرومر له بمسالمة الاحتلال فى نظير الحصول على منصب كبير فى المعارف أو الأوقاف فإن وطنيته أبت عليه ذلك فقد عقد العزم على ان يبدأ الكفاح من جديد لكى يعيد الثقة إلى نفسية الشعب الذى خيمت عليه روح الهزيمة والاستسلام، وانتشرت بين أفراده روح اللامبالاه، ولكن كيف السبيل إلى ذلك وهو يعرف انه ممنوع من العمل السياسى فلا يستطيع الطواف بالبلاد واعتلاء المنابر كما كان يفعل من قبل، ومن هنا لم يكن أمامه من طريق للوصول به إلى الشعب سوى الصحافة، ولكن ما هو الطريق الذى يوصله إلى الحصول على تصريح من نظارة الداخلية بإصدار صحيفة، وموقفه من الانجليز والحكومة يقف عثرة أمام ذلك.

استطاع النديم ان يجتاز هذه العقبة بحيلة بارعة، وهى أنه اوعز إلى أخيه عبد الفتاح نديم بأن يستخرج تصريحا بإصدار صحيفة باسمه ثم يوكل أمرها إليه، وفعلا استطاع أخوه الحصول على التصريح المطلوب بصدور صحيفة تحت اسم الاستاذ. [١] غير أنه اشترط عليه ألا يتعرض فيها للأمور السياسية لا من بعيد ولا من قريب، وبعد أن تم له ذلك وكل أخاه عبد الله النديم فى تحريرها وترتيب رسائلها[٢]، وقد صدر العدد الأول من هذه الصحيفة فى أول صفر ١٣١٠هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٨٩٢ كصحيفة علمية تهذيبية فكاهية تصدر يوم الثلاثاء من كل اسبوع فى ٢٤ صفحة فى حجم الكتاب المتوسط لكى تكون كما ورد فى مقدمتها "خزانة لشوارد العلوم وفوائد الرسوم لا تتقيد بفن ولا تقتصر على موضوع فتنشر ما يحسن نشره، ويلذ سماعه من المعقول والمنقول مما لا يطعن فى دين ولا يمس شرف شخص، ولا يقرب من الاهاجى ولا تتعرض للأمور السياسية الحاضرة أى أنها لا تتكلم فى الإدارات والأعمال والعمال سواء فى ذلك الداخلية والخارجية، وأما فن السياسة من حيث هو فانه يدخل فى موضوعها العلمى فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمى من الفروع السياسية وهى مستقلة عما يتعلق بالسياسة الإدارية".[٣]

وقد قسم النديم الكتابة فى هذه المجلة إلى ثلاثة مستويات حتى تصل فائدتها إلى جميع طبقات الشعب على مختلف مستوياته العلمية والثقافية فهناك مقالات علمية وطنية كتبت بأسلوب

([1]) د. على الحديدى: مرجع سابق ،ص ٣٢٩.
([2]) الأستاذ: العدد الأول فى ٢٤ أغسطس ١٨٩٢ ، ص ٣ تحت عنوان : "مقدمة"
([3]) نفسه ، ص ٢-٣.

رصين للمثقفين من القراء وقصد بها أن تكون امتداد لمجلة العروة الوثقى التى أصدرها الأفغانى ومحمد عبده، وهناك مقالات كتبت بأسلوب مبسط لانصاف المتعلمين وتلاميذ المدارس وهى قريبة إلى العامية، وتحتوى على دروس للتلاميذ ترمى إلى تهذيب الأخلاق وتوسيع المدارك، كما أن هناك مقالات ومحاورات باللغة العامية التى يعرفها غالبية الشعب وذلك لتوضيح الأمور لهم فى شكل حوارى يستطيعون فهمه بهدف تهذيبهم وترقية أفكارهم. ومعنى ذلك أن النديم أراد أن تكون مجلة الاستاذ كالمدرسة التى تدخلها كل فئات الشعب سواء كانوا من المتعلمين أو انصاف المتعلمين أو الأميين يتولى بقلمه وفكرة صفة الأستاذ فيها يبث تعاليمه وأفكاره بينهم ليأخذ كل منهم على قدر فهمه للحياة وبمقدار سعة رئته[١]، ومن هنا استطاع النديم أن يتصل بسواد الشعب المصرى بجميع طبقاته أما عن موضوعات المجلة فقد التزم فيها النديم الابتعاد عن الموضوعات السياسية فى بداية الأمر، واتجه إلى الخوض فى النواحى الاجتماعية باظهار عيوب المجتمع فى محاولة منه لترقية أفكاره، ووصف الدواء الذى يمكن به معالجة الأمور مستخدما طريقته فى التورية والتلاعب بالألفاظ للوصول إلى نقد الاحتلال بطريقة غير مباشرة فكتب على صفحات الأستاذ عن أهمية تعميم التعليم وانتشار المعارف بين أفراد الشعب، وطالب بإصلاح الأزهر ودافع عن اللغة العربية وطالب بضرورة إنشاء مجمع لغوى للمحافظة عليها، وانتقد البدع والخرافات التى كانت تعشش فى عقول أفراد المجتمع، كما انتقد موجه المفاسد والانحلال الخلقى التى شجع الأوربيون على انتشارها بين الناس، وانتقد الأخذ بالعادات المستوردة من الغرب، ودافع عن أهمية إحياء الصناعة، وطالب بتحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين ودافع عن الوحدة الوطنية وطالب بالتمسك بها.

ولم يقتصر أمر مقالات الأستاذ على ذلك بل أخذ النديم يكشف النقاب عن كراهيته للاحتلال منذ قيام الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣[٢]، فوقف بجانب الخديو، وقام يستنهض الهمم لمساندته كما انتقد الاحتلال ووجه إليه مسئولية إفساد المجتمع المصرى وعن ما كتبه النديم فى هذه المجلة، ونقله شقيقه إلى السلافة نذكر مقال تحت عنوان: "فى معاملة الأخوة والأخوات"[٣]، أوصى فيه النديم بالتمسك بصلة الأخوة حتى لا يتبدد شمل العائلة، وأوضح وظائف الأخوة أكبرهم وأوسطهم وأصغرهم فقال ان وظيفة الأخ الأكبر تقوم مقام الأب فى تربية الأصغر ومساعدته، وتعليمه فضائل الأشياء ورده عن منكراتها وتفقد أحواله، وإذا كان له أخوات فيجب عليه تفقد أحوالهن ومراقبة أمورهن، وإذا طلب أحد يد إحداهن تفحص أمره وعرف أصله

(1) على الحديدى: المرجع السابق، ص ٣٣١.
(2) عن هذه الأزمة وتفاصيلها انظر:
د. / عبد المنعم الجميعى، الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى، القاهرة، دار الكتاب الجامعى ١٩٨١.
(3) سلافة النديم، ص ٢٣١- ٢٣٤.

وسيرته وأهله دون أن يغتر بمظهره، فإذا تمت الخطبة وجب عليه مساعدة والديه فـي تحمـل أعباء متاعها وجهازها، وبعد ذهابها إلى بيت زوجها وجب عليه زيارتها وإخلاص النصيحة لها ومعاضدتها فى نوازلها ، والوقوف بجانبها إذا تعرض لها زوجها بسوء، وإذا أخطأ أحد الأخوة فلا يجب عليه أن ينزل به عقابا صارما بل يستحضره فى خلوة ويقوم بنصحه فإذا تراجع عـن غيه وجب عليه إبلاغ والديه بأمره فإن لم يرجع وجب الكلام معه بين أخواته الصغار والكبار ثم هجره فى الكلام والجلوس، حتى تتحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل" ويرجع عـن أفعاله، كما حذر النديم الأخ الأكبر من ضرب أخواته الصغار مبينا أن ذلك يؤدى إلـى الفرقـة والعداوة بين أفراد الأسرة.

هذا عن أكبر الأبناء أما عن أوسطهم فقد طالبه النديم بالاقتداء بأخيه الأكبـر فـي بـر والديه ومراعاة أخواته الصغار، أما عن الأصغر فقد طالبه النديم بالحرص على التـأدب فـي حضور أخيه الأكبر، وعدم عصيان أوامره، وبألا يرفع صوته فى وجوده، أو يضحك دون مـا يبرر الضحك أمامه وإذا حضر ضيفا لديه فيجب اعطاؤه حقه من الاحترام أمام ذلـك الضـيف وأن يبدى له الهيبة أمامه.

وعن ما كتبه النديم تحت عنوان "وظائف العلماء فى العالم"[1]، فقد عرف العالم بأنه "كل ذى علم ينتفع به" وأشار إلى أن أول العلماء قياما بوظائفهم كانوا الأنبياء عليهم السـلام حيـث فتحوا أبواب العلوم النافعة، ودعوا الناس على اختلاف طبقاتهم إلى الصراط المستقيم دون خوف من تهديد أو وعيد، وبعد أن قضى الأنبياء أدوارهم فى هداية البشر أخذ عنهم الحكماء والعلماء أفكارهم، ولما احتكت أفكار هؤلاء بعضها ببعض انقسم الناس على أثرها كل على حسب فكره ووجهة نظره.

ونتيجة للجدل بين العلماء توصلوا إلى التعرف علـى غرائـب الأمـور والمبتكـرات والمخترعات وطرق السياسة وتنظيم الإدارات والفصل فى القضايا، وعقد المعاهدات وغيرهـا، وتبعا لذلك اضطر الملوك إلى الاعتماد على هؤلاء العلماء فى تدبير أمور بلادهم، فأكثر هؤلاء من المدارس واختاروا لها الأذكياء والنبهاء الذين لقنوهم العلم ثم نقلوهم إلى ساحات العمل فامتلأ الكون بالعلماء والأمراء الذين نفعوا الشرق والغرب بعلومهم.

وقد ارجع النديم الحضارة الأوربية إلى الأصول العربية واعتبر الشرق معلـم أوربـا، وأرجع إليه الفضل فى نهضتها بقوله : "ما فى الكون الأن من العلماء باى علم كان إنمـا هـم

---

(1) سلافة النديم، جـ ٢ ، ص ٢٣٥- ٢٣٩.

تلامذه المسلمين، وفى عنق كل منهم نعمة للدين الإسلامى وإن دان بغيره"[١]، واشار النديم إلى نجاح الغرب فى تفتيت بلاد الشرق وفك أوصاله حتى يسهل عليه ايقاع العداوة بين شعوبه، وتتحول إليه أمجاد المسلمين العلمية، ونتيجة لذلك اصبح للغربيين طول وباع فى الحضارة والمدنية بينما طويت أمجاد الشرقيين.

ومع أن النديم حذر أبناء وطنه من الأجانب فإنه لم يمانع فى تعلم علومهم حتى يمكنهم معرفة ما توصلوا إليه من تقدم ومدنية[٢]، فقال: "أن الأدوار الشرقية طويت فى سجل كان والدور الغربى هو العلوم الآن.. فلا عيب علينا إذا أخذنا من أوربا واقتدينا بها الآن"[٣]، كما أوضح أن أهم اسباب تقدم أوربا هو بحث أبنائها فى العلوم ونشرها فى سائر أطرافها. [٤]

وعن ما كتبه النديم حول طبقات المجتمع فقد تطرق إلى "طبقة الملوك والأمراء" و "طبقة الوزراء" و"طبقة التجار والأغنياء" , "طبقة علماء الرياضة والطبيعة" و "طبقة الكتاب والمنشئين" وعن طبقة الملوك والأمراء أوضح أن لهذه الطبقة مهامها الخطيرة فى تسيير أمور المجتمع منها ترتيب "المحاكم والإدارات وإعداد الآلات وتشييد الحصون وجمع الجنود...إلخ"[٥]، مبينا نشأة هؤلاء وإعدادهم لمثل هذه الأمور فذكر أنهم لا يتمكنون من اتقان ذلك إلا باتقانهم العلوم منذ الصغر ودراستهم "لجغرافية العالم وأخلاق الأمم والشرائع والقوانين والنظام والوقوف على مشارب الأحزاب ومساعى الملوك"[٦]، حتى يسهل عليهم القيام بأعمالهم كما أوضح النديم مشاغل الملوك فأوضح أن الملك دائما ما يكون دائم الفكر فى أمور مملكته ويشاركه فى إدارتها الوزراء الذين يستمد منهم المشورة.

أما عن الأمراء فقد صورهم النديم بأنهم يتوددون إلى الناس غنيهم وفقيرهم تنشيطا للهمم وحثا على العمل .

وخلال ذلك يتمرنون على أمور الملك فيتعرفون على المحكومين وما هم عليه من عادات وأخلاق، كما أنهم يساعدون الجمعيات العلمية والدينية ويحضرون محافلها ويحثون أعضائها على المثابرة والاجتهاد ويساعدونهم بالمال ويمدونهم بالسلطة وبهذه الطريقة يستطيعون جذب النفوس إليهم.

([1])المقال السابق.
([2])عبد المنعم الجميعى: عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية، ص ٣٨١.
([3])سلافة النديم، جـ٢ ، مقال سبق ذكره.
([4])التبكيت والتبكيت : العدد الرابع فى ٣ يوليو ١٨٨١، ص ٥٣.
([5])سلافة النديم، جـ٢ ، ص ٢٣٨- ٢٣٩.
([6])نفسه.

وعن "طبقة الوزراء"[١]، كتب النديم أنهم "أتعب الناس فكرا" يقضون نهارهم وليلهم فى تدبير أمور بلادهم وتتبع أخبارها اليومية والسهر فيما ينفع البلاد ويحفظ الأمن ويوسع دوائر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية.. أعينهم ناظرة وآذانهم صاغية"[٢].

وعن "طبقة التجار والأغنياء" كتب النديم عن تجار أوربا فذكر انهم يشكلون الطبقة التى اجتهد أهلها فى معرفة الحساب وطرق الأرباح من الاتجار بالأصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والأوراق والبنوك[٣]، ففتحوا المحلات التجارية والبورصات لمعرفة أحوال التجارة والوقوف على الأسعار وأخبار السلع التجارية، ولهم القدرة على احتكار النقود والأصناف مما يضطر بعض الدول إلى الاستدانة منهم، ونتيجة لذلك قبضوا على أمورها السياسية وصاروا من أهل الحل والعقد فى مجالس الحكومات، وتداخلوا فى أمور هذه الدول حتى قبضوا على زمام أمورها الاقتصادية وبالرغم من وفرة ثروتهم فانهم لا يقتصرون فى حياتهم على اللذائذ البدنية بل مددا ايديهم لمساعدة أبناء جلدتهم ففتحوا الجمعيات العلمية والدينية، كما فتحوا العديد من المدارس على نفقتهم فى محاولة منهم لاستكشاف ما غاب من أمورهم وعن "طبقة علماء الرياضة والطبيعة"[٤]، ذكر النديم ان أهلها هم أهل الاختراع والابتداع ففيها "الطبيب والكيميائى والمهندس والفلكى...إلخ، وكل واحد منهم يجتهد فى شرح غوامض تخصصه وتبيان فوائده كل همهم إعلاء شأن بلادهم وتقدم العلوم والمعارف فيها، "فهم السلم الذى ترتقى عليه الأمم إلى درجات الكمال" أما عن "طبقة الكتاب والمنشئين"[٥]، فقد قال عنهم النديم أنهم "طبقة السلطة على العقول والسطوة على الأعمال" وانهم يقضون أيامهم فى نشر الفضائل والحض على الابتعاد عن الرزائل كما انهم يقفون ضد الفتن بكلماتهم الاصلاحية المؤثرة كما وصفهم بانهم "أساتذة الخواص والعوام وأئمة الوزراء والعقلاء والرعية" لهم إنشاء بديع يرشد إلى طرق التقدم ويحذر من التهاون والتقهقر.

وقد اختتم النديم مقاله بالحديث عن الجرائد، فابرز اهميتها فى تتبع الأخبار العالمية سواء أكانت سياسية أو تجارية أو علمية.

وعن مقال النديم المعنون "فى معاملة الوالدين" فقد أوصى الأبناء بحسن معاملة الوالدين مذكرا اياهم بفضلهما عليهم منذ فترة الحمل والرضاعة فقال إن الله تعالى قد "أنزلهما منزلة ليس

---

(1) سلافة النديم، جـ٢ ، ص ٢٣٩- ٢٤٠.
(2) نفسه.
(3) نفسه، ض ٢٤٠- ٢٤١.
(4) نفسه، جـ٢، ص ٢٤١- ٢٤٢.
(5) نفسه، ص ٢٤٢- ٢٤٤.

فوقها منزلة من منازل الفضل إذ أودع فى ماء الأب سر التصوير والتخطيط والتشكيل، وفـــى رحم الأم سر التطوير والتكوين والتنمية"[١]، كما أن الأم تقوم بتغذية الابن وهو بـــين أحشـــائها بخلاصة من خلاصات غذائها، وبعد الولادة تقوم بالسهر عليه تحزن لبكائه، وتجزع لمرضـــه، وتفرح لفرحه وتؤانسه وتسليه بما يهوى، وتداعبه بما يرضى، وإذا أساء إليه أحد لم يتوان الأب والأم فى الدفاع عنه ولو حدث لهما الضرر من جراء ذلك، وعندما يشب الابن ويترعرع يقـــوم الوالدان بإرشاده إلى النافع وتحذيره من الضار وتعليمه ما يفيده وتدريبه على التعامل مع الناس، ومساعدته على أن يقف على قدميه ويصل إلى غايته دون ملل أو كلل مضحيين بكل ما يملكانه من غال ونفيس، كما يحرصان على إرضائه وإبعاد الضر عنه وألا تقع عيناه على مستقذر، ولا تسمع اذناه ما يكره ولا يشم أنفه ما يستقبح. [٢]

ومن هنا طالب النديم الأبناء بضرورة الاهتمام بخدمة الآباء والأمهات والعمـــل علـــى إرضائهم موضحا أن الله تعالى قد قرن طاعة الوالدين بطاعته فى قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين أحسانا" وإذا كبرا فى السن يجب معاملتهما بأحسن العبارات والاعتناء بشئونهما ومعرفة ما يبغضهما والعمل على زواله، ومجالستهما واستشارتهما فى أمور البيت.

وحذر النديم الأبناء من إهانة الآباء والأمهات أو زجرهما، واستشهد فى ذلـــك بـــالقرآن الكريم حيث يقول "ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما" وإذا مرض احدهما فمن واجب الأبناء الانفاق على معالجته ومؤانسته وتسليته.

وإذا كانا يعيشان فى بيت مستقل بعيدا عن الأبناء ينبغى ألا تنقطع مراسلتهما ومودتهما وزيارتهما.

وقد استشهد النديم بحسن معاملة "الحسن" و"الحسين" أبناء سيدنا على بن أبـــى طالـــب لوالديهما، وطالب بالاقتداء بهما فقد "كانا لا يجلسان بحضرتهما إلا باذنهما، ولا يتكلمـــان إلا إذا أذنا أو سألهما أحدهما، ولا يرفعان صوتهما إلا بقدر ما يفهم الكلام".[٣]

ولم يقتصر مقال النديم على ذلك بل أوضح لنا العديد من عادات المصريين وتقاليـــدهم الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر ففى سياق حديثه عن فضل الوالدين تطرق إلى مسألة تعدد الزوجات واختيار الأهل لعروس الابن، وموقف الحموات من زوجات الأبناء وغير ذلك.

([1])سلافة النديم، جـ٢، ص ٢٢٠- ٢٣١.
([2])نفســـــه.
([3])نفســـــه.

فعن زواج الأب بغير الأم أو زواج الأم بغير الأب طالب النديم الأبناء بعدم مقاطعتهما نتيجة لذلك او النفور منهما لأنه ربما ما حدث يكون للعصمة ولا يعتبر ضارا بالأبناء أو مسقطا لقدرهم او مزريا بشرفهم .

وعن اختيار العروس للابن أوضح النديم بأن الابن إذا بلغ مبلغ الرجـال اسـرع الأب والأم إلى أحسن بيوت الشرف وبنات الفضل المتماثلات معهما واختارا له احبهن إليه والـيقهن به".[١]

وتطرق النديم أيضا إلى خفايا النفس البشرية فى الأم فأوضح بأنها لا تحب زوجة أبنها بقدر ما تحب زوج بنتها وعلل ذلك بقوله ان الأم شديدة المحبة لولدها تحب لـه الراحـة ودوام الصحة وتكره من يؤذيه أو يجلب عليه شرا أو يتسبب فى ضعفه ووهن جسمه و "هو إذا تزوج تحمل أتعاب العمل ومشاق الكسب سعيا على زوجته، وصرف ما يكتسبه عليها وفى مرضـاتها ثم يضعف ضعفا بينا بالمضاجعة ويسقم ويمرض، وكلما صرف حياته فى مرضاه زوجته احبته بقدر كراهة الأم لها".[٢]

أما عن زوج البنت فقال النديم ان الأم "تحب من يرضى بنتها ويجرى ويكسـب لينفـق عليها ويلاطفها ويؤانسها ويداعبها ويواصلها بما تنمو به اعضاؤها وتدوم به صحتها فهـى لا تملك نفسها فى محبته تبعا لمحبتها لبنتها".[٣]

كما تحدث النديم عن أسباب نفور زوجة الابن من الأم فأرجع السبب إلى أن الأم غالبـا ما تكون حجابا مانعا بينها وبين تصرفها فى ولدها وماله"[٤]، وحذر النديم الأبناء من سماع كلام الزوجات فى كل ما ينقلونه لهم عن أمهاتهم، وطالبهم بالآ يجعلوا للزوجات سلطة فى البيت تمس حقوق الأم بل يكون للأم" الأمر والنهى والحل والعقد والترتيب" وألا تكون الزوجة إلا خادمـة مطيعة لها مشيرا إلى قول الرسول الكريم "الجنة تحت أقدام الأمهات" وموضحا بأن الـزوج إذا ترك الزوجة يستطيع أن يجد غيرها من الزوجات اما إذا فارق أمه فلا يجد له ام غيرها.

وعن مقال النديم المعنون "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا" فقد أوضح فيه ما حدث فى الـبلاد من تغيرات اجتماعية وسياسية وقد بدأ النديم هذا المقال بتوضيح أسباب اختياره لعبارة "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا" كعنوان لموضوع مقاله فقال إن أوربا كانت توجه هذه الكلمـات دائمـا إلـى الشرقيين كلما حاولت تبرير أفعالها لذلك قسم المقال إلى فقرات كل فقرة يبدأها بعرض إدعـاء من إدعاءات الأوربيين فى محاولاتهم الانتقاص من قدر الشـرقيين أو فـى سـعيهم لتحقيـق

---

(١) نفســه.
(٢) نفســه.
(٣) نفســه.
(٤) نفســه.

مصالحهم الاقتصادية والسياسية ثم يرد على كل إدعاء بالحجج والأسانيد الواضحة ويختتم كل فقرة بعبارة "لو كنتم مثلنا لفعلتهم فعلنا".

تحدث النديم فى الفقرة الأولى من مقاله عن إدعاءات الأوربيين بجهل الشرقيين فى الصناعة حتى يتمكنوا من إدخال مصنوعاتهم إلى الشرق فقال "قالت أوربا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صناعة الأثاث واللباس وإنكم فى حاجة إلى مصنوعنا ولا تصلون إليه إلا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها فى الشرق لتحول الثروة إليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيين".[١]

ثم يرد على هذا الادعاء بحث أبناء وطنه على إحياء الصناعة الوطنية وتوضيح الطريق لحماية مصنوعاتهم أمام المنافسة الأوربية بقوله "أن كثيرا من الممالك التى لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير، وأحيت صناعتها الوطنية وحتمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير، حفظا لثروة أهلها".[٢]

ثم ندد بضعاف العقول الذين لا يتحركون للعمل من أجل إحياء الصناعة الوطنية لوقوعهم فى اليأس والقنوط بالمغريات ورجال أوربا تتعجب من تقاعدهم وتقول وتقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".[٣]

وفى الفقرة الثانية من المقال تحدث النديم عن محاولات الأوربيين جر الشرقيين إلى مهاوى الرذيلة، وابعادهم عن عاداتهم الشرقية، واخلاق الآباء والأجداد فقال "قالت أوربا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلابد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساونا فى الرتبة، وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران ففعل الشرقيون رغم ما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف".[٤]

وقد هاجم النديم الانجليز لاتخاذهم المدينة الحديثة ستارا لنشر الموبقات فى الشرق فقال "ان الانجليز هم الذين نشروا قانون المومسات، ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغاء تحت حماية القانون، وهم الذين سنوا كشف الأطباء على البغايا واعطائهن شهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراه".[٥]

([1]) سلافة النديم، جـ٢، ص ٢٨٢ وما بعدها، والاستاذ الجزء الثانى والعشرون من السنة الأولى فى الثلاثاء ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥٠٧-٥٣٣.
([2]) نفسه.
([3]) نفسه.
([4]) نفسه.
([5]) نفسه.

ثم قام بتحذير أبناء وطنه مغبة ما يحدث موضحا لهم أن هدف أوربا من ذلك هو افساد الأخلاق واتلاف العقول والأجسام وضياع الدين والبلاد فقال: "وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب فى طريق الشرقى حتى لا يخطو خطوة إلا وقد وقع فى حبالـــة أوربـــا ولمـــا رأت أوربـــا أن الشرقيين لا ينتبهون من غفلتهم " ولا يسعون فى صالح بلادهم ولا يحافظون علـــى ديـــنهم ولا يعرفون شرف لغاتهم، ولا يحفظون كراسى ملوكهم، ولا يهمهم ضياع أوطانهم اتخـــذتهم كـــرة تلعب بهم كيف تشاء، وهى تقول لهم "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".[١]

وفى الفقرة الثالثة من المقال تحدث النديم عن ادعاءات الأوربيين بأن الشرق فى حاجة دائمة إليهم حتى يتمكن من إصلاح شئونه فقال "قالت أوربا أن الشرق فى حاجة لتداخل أوربـــا لإصلاح إدارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الأوربية، وأجمع رجال أوربا على جعله قسما مقابلا لها، وربطوا عزمهم على ضمه إليهم الجزء بعد الجزء، والقطعة بعد القطعة علـــى اتفاق معقود بين الدول هذا لى وهذا لك".[٢]

وقد رد النديم على ذلك مناشدا أولى الأمر بضرورة الاهتمام بالرجال فقال لو اهتم ولاة الأمور بالرجال ، "ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة علـــى حقـــوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجـــارة، وهـــذبوهم بالأدبيـــات، وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية، ونبهـــوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية.. لوجدوا امامهم رجالا وأى رجال، ولكـــنهم أهملـــوا ممالكهم وأهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوربا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا إليه من الضعف والاضمحلال ويقولون "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".[٣]

وفى الفقرة الرابعة من المقال تحدث النديم عن سعى الأوربيين لتحقيق مصالحهم بينمـــا الشرقيون لا يتحركون لمجاراتهم فقال: "انهم يسعون فى مصالحهم واتساع ممالكهم وتجـــارتهم والشرقيون.. ينظرون إليهم نظر المغشى عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم أو لايقـــاف تيار تداخلهم"[٤]، ثم انتقل إلى الدفاع عن الدولة العثمانية بوصـــفها زعيمـــة العـــالم الاســـلامى والمدافعة عنه فوصفها بقوة العزيمة وهاجم الذين يرمونها بالعجز والضعف ثم حض مواطنيـــه على عدم التهاون فى حق الوطن محذرا لهم من محاولات الأوربيين السيطرة عليه فقال: "ولقـــد أذهلتنا أعمال أوربا التى لم تسمح لشرقى بامتلاك شبر من أراضيها، وهى تخرجنا من مساكننا

---

(1) نفســـــه
(2) سلافة النديم، جـ٢، المقال السابق ذكره.
(3) نفسه
(4) نفسه

وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة، ولكنها معذورة فإنها لم تجد مـــن يعارضـــها أو يجاريها فهى لا تعترف أننا معها فى ثوب الانسانية بل تقول "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".(١)

وفى الفقرة الخامسة من المقال كشف النديم النقاب عـــن الأســـاليب التـــى يســـتخدمها الأوربيون للتدخل فى شئون الشرقيين بحجة الإصلاح ونشر الحضـــارة والمدنيـــة، وتـــدريب الشرقيين على إدارة شئونهم فقال: "أن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاســـتيلاء، وإنما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية، وتنادى أول دخولها أنها لا تتعرض للدين ولا للعوائـــد ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئا فشيئا" ثم تحدث عن أن هـــدف انجلتـــرا مـــن إطـــلاق حريـــة المطبوعات هو ايجاد التناقضات بين أبناء الشعب المصرى، كما تحدث عن تفضـــيل الانجليـــز للأجانب على المصريين فى كافة الأعمال فقال: "هم الذين ابعـــدوا المصـــريين عـــن الخدمـــة وحشروا الغرباء فى المصالح حتى اصبح الألوف من المصريين لا يجدون القوت"(٢)، وهـــاجم محاولات الانجليز إماته اللغة العربية فقال : "هم الذين .... تدرجوا لإماته اللغة الوطنية بفرض المكافئات لمن ينبغ فى الانجليزية لتنسى لغة القرآن فينسى بها الدين"، ثم طالب النديم أبناء وطنه بمجاراة الانجليز وكافة الأوربيين فى أعمالهم فقال: "وما يدعوهم .. إلا إلى مجاراة الأوربيين – بما هم فيه من معرفة "قدر نفوسهم والمحافظة على حقوقهم ولغاتهم وأديانهم وعوائدهم والـــداب خلف الاستقلال".(٣)

كما طالبهم بالعمل الجاد والاجتهاد، وترك التكاسل والتقاعد فقـــال: "مضـــت والله أيـــام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدى خديو يريد أن نجارى الانجليـــزى فـــى الأعمـــال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية، ونحن عن إرادته السنية ساهون ويجب ان نتقـــدم فـــى التجارة والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على أزمة أمورنا ونحفـــظ عرشـــه المصـــرى بالمصريين".(٤)

ثم قرظ الخديو عباس الثانى ولقبه "بالهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الساعى فى منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الإدارية وما يحتاج فى تنفيذ إرادته إلا إلى رجال" ثم قال: "فأى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقـــوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعله الانجليز والغـــزالين الـــذين تعصـــبوا لحقـــوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل".

---

(1) نفسه
(2) سلافة النديم، جـ٢، مقال سبق ذكره.
(3) نفسه
(4) نفســـه

ثم حذر من المرجفين الذين يبثون الشائعات فقال: "تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوربيين على كل بلد نودى فيه بالمحافظة على وطنيته، ونحن نضع حجرا فى فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفتيه بكلمة اغراء".(١)

وتحدث النديم عن الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط فقال: "هم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف الدين ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحة المسيحى والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تعودتها أوربا تغريرا وتضليلا وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية".(٢)

ثم ناشد أبناء وطنه تقليد عقلاء أوربا فى أفعالهم، وعدم اللياذ بالأجنبى فقال: "قلدوا عقلاء أوربا فى أفعالهم، وكفاكم الاغترار بترهات المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد، ولم يبق إلا أن يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظا".(٣)

كما طالب النديم بتحريك الهمم وزيادة النشاط للاكثار من الثروة فقال: "أيكفينا من الثروة ان نرى أكبر تاجر منا لا تزيد ماليته عن عشرين ألف جنيه وإذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فإذا انتهينا إلى التاسع وقفت بنا الأعداد، أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجاراة الأمم حتى فى هذا العمل الذى يقوم به الأميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش إلى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد. (٤)

ثم تحدث عن التعليم والمنهج الدراسى الصحيح الذى يجب أن يدرس للتلاميذ فقال مناشدا الآباء "لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم. حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم ردوهم إلى الوطنية قبل ان يحملوا سلاح العداوة" وانتقد النديم الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس الأجنبية وناشد ولاة الأمور بفتح المدارس بقوله: "أفلا يحسن فى أعينكم ان تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوربية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوربا" ثم ناشد أبناء وطنه بتوحيد كلمتهم وخدمة وطنهم فقال: "جاهدوا انفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوربا وفتنها ، واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لأميرها والمحافظة على حقوقها".

---

(1) نفســه
(2) سلافة النديم، جـ٢ ، مقال سبق ذكره.
(3) نفســه
(4) نفســه

وتحدث النديم عن محاولات الاحتلال التفرقة بين السوريين الموجودين بمصر وبين المصريين ودعا إلى اجتماع الكلمة والائتلاف فقال: "ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم فى حفظ الوطنيين واعلاء كلمتهم لحسدتنا المعالى ووقفت أوربا تنظرنا بعين الإعظام والاجلال".[١]

كما قال: "إذا شددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة شرقية مصرية وشامية وعربية وتركية أمكننا ان نقول لأوربا نحن نحن وأنتم أنتم وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوربا أن تطردنا من بلادنا إلى رءوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشى وتصدق فى قولها لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا".[٢]

وهكذا عرض النديم آراءه فى هذا المقال بطريقة واقعية وجريئة، واقعية لأنها عبرت عن سوء أحوال البلاد وما ألم بها فى ظل الاحتلال، وجريئة حيث ان النديم لم يخش أحدا حيث تكلم بصراحة، وعبر عما سمعه وشاهده بنفسه فى أسلوب متأجج بالحرص على الوطن والحماسة له، وكان حديثه بلغة عربية فصيحة لأن الموضوعات التى طرحها فى مقاله كانت تتميز بالنوع الجدى الذى لا تلائمه إلا اللغة الفصحى، كما تطرق إلى موضوعات متعددة فعرضها بطريقة موضوعية فخرج المقال متماسكا ومعبرا عما يجيش فى نفوس أبناء وطنه حيث كان صدى لما يعانيه الشعب من آلام، وصدى لما يحدث فى البلاد من أزمات فأثبت النديم انه يحمل بين جنبيه نفسا أقوى من الكوارث وعزيمة لا يوهنها الفشل.

وعن خطبة النديم التى قالها أثناء الاختفاء والمعنونة "من خطبة يوم الجمعة وهو مختفيا فى الريف" فالمعروف ان النديم كان يرتقى منابر المساجد لتوعية الناس وتحريك أفكارهم دون ان يعرفه أحد خشيه معرفة الحكومة او الانجليز بمكانه.

وقد استغل النديم قدرته على التمكن من اللغة العربية فى إبراز مواقفه الخطابية، كما كان يستشهد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وبأبيات من الشعر لتاييد فكرته وحتى تكون حجته مقنعة، ولكى يعطى لأسلوبه مذاقا يقبله السامعون كان يسجع أحيانا ويسترسل فى أحيان أخرى وقد أعانه على ذلك لسانه الفصيح وبديهته الحاضرة وجرأته الفائقة فى مواجهة المواقف فكان كما يذكر معاصروه لسنا[٣]، متوقد الذهن صافى القريحة قوى الأداء جهير الصوت.

---

(1) نفســــــه.
(2) سلافة النديم، مقال سبق نكره.
(3) لويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية فى القرن التاسع عشر، ص ٥٠.

وفى الخطبة موضوع الحديث اوضح النديم خطورة التعامل بالربا مستشهدا فـــى ذلــك بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما حذر المرابين بالكف عن أعمالهم حتى لا يجمعون بين خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وطالبهم بتقوى الله وطلب المغفرة منه.

وفى خطبة أخرى للنديم أثناء الاختفاء أيضا أوضح للناس خطــورة الخمــر والميســر وطالبهم بالابتعاد عنهما لأنهما رجس من عمل الشيطان، مستشهدا فى حديثه بــالقرآن الكــريم والأحاديث النبوية.

ومما سبق يتضح أن مقالات النديم ومؤلفاته التى جمعها شقيقه فى هذا الكتاب تشهد لــه بأن كان حر القلم متمسكا بأهداب الحرية، محبا لعامة الناس يتواضع معهم ويضاحكهم ويلاطفهم ويؤانسهم ويتحدث معهم بأسلوب ينم على اهتمامه بإصلاح أحوالهم. لقد فتحــت كتاباتــه فـــى جريدتيه التنكيت والتبكيت، والاستاذ وغيرهما أمام الناس أبوابا من التعــرف علـــى الإصـــلاح الاجتماعى كانت مغلقة أمامهم سواء فى التعليم أو فضائل الأخلاق أو الزراعة والصناعة ومـــا إلى ذلك والتى كتبت بأسلوب ينم عن شجاعه صاحبه فكان النديم بمثابــة المصـــرى الصـــادق المبصر للناس بعيوبهم يعرض عليهم مشاكلهم ويشاركهم فى البحث عن ايسر الطرق الموصـــلة لعلاجها، يحارب الطغيان فى الداخل ويناهض المستعمر الوافد من الخارج دون خوف ولا وجل خاصة وانه كان شجاعا، يسعد بمواجهة العظماء ومنازله الكبراء وربما كان اعظم شئ فيه ثباته على مبدئه فكتب عن عيوب مجتمعه بكل جرأة وصراحة ولم ينكر ما قال حتـــى فـــى أحلــك الظروف.

ومع ذلك فقد كان ثمرة جهاده ان يلقى فى مخبئه الأهوال وان ينفى بعيدا عن الوطن، ثم يموت ويدفن فى غير الوطن الذى ناضل من أجله، ولاقى العذاب والآلام فى سبيله.

وعلى أى حال فان كتاب سلافة النديم الذى نقدمه إلى الناطقين بالضاد بعد ما يقرب من مئة عام من جمع شقيقه لموضوعاته يعتبر خلاصة لما كتبه النـــديم مـــن موضـــوعات هامـــة ومتنوعة خاصة وانه شمل بحوثا أدبية ودينية وسياسية وتاريخية هامة تم تناولها فـــى أســـلوب شيق جذاب، مما جعلها من المصادر الهامة لكل من يحـــاول التعــرف علـــى تـــاريخ مصـــر الاجتماعى والثقافى فى القرن التاسع عشر.

د./ عبد المنعم الجميعى
القاهرة – ميدان لبنان – المهندسين
يوليو ٢٠٠٧

سلافة النديم





كان ويكون



عبد الله النديم



في منتخبات

السيد عبد الله النديم

﴿جمع شقيقه عبد الفتاح نديم﴾

الجـــزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفصحت آياته عن بديع حكمته ودلت آلاؤه على عظيم نعمته فنطق بحمده لسان الوجود واعترف بفضله كل موجود، وصلى الله على سيدنا محمد خير من أدب وعلم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد فهذا ما تيسر جمعه بعد بذل الجهد وطول العناء وتكبد المشاق من منتخبات فقيد العلم والوطن السيد عبد الله النديم وهو وإن كان ليس بالشيء القليل إلا أنه كنقطة من بحر في جانب ما جادت به أفكاره السامية من الأشعار البليغة والرسائل الأدبية البديعة مما لعبت بأكثره أيدي الضياع كما يعلم ذلك من ترجمة حياته المدونة في صدر هذا الكتاب وقد اعتنيت بجمع هذه المنتخبات ودعوتها «سلافة النديم» تخليدا لذكر الفقيد وإن كانت أعماله العظيمة قد تكفلت له بذلك واعترافا بما له من الفضل والمنة.

وتنقسم هذه المجموعة إلى خمسة أقسام القسم الأول منتخبات الرسائل الأدبية والثاني منتخبات «التنكيت والتبكيت» والثالث منتخبات «الاستاذ» والرابع منتخبات علمية والخامس منتخبات متفرقة وبالله التوفيق ومنه الإعانة .

ترجمة فقيد مصر السيد عبد الله النديم

بقلم صديقه الكاتب الشهير أحمد أفندي سمير

هو الأديب الكاتب الشاعر الثائر السياسي المشهور عبد الله بن مصباح بن إبراهيم وينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر من أسباط الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد رحمه الله بالإسكندرية سنة إحدى وستين ومائتين وألف من التاريخ الهجري(=١٨٤٣) فحفظ القرآن الكريم وأتمه قبل أن يبلغ التاسعة من عمره وكان أبوه وسطا في اليسار غاية فى مكارم الأخلاق فلما رأي مخايل النجابة بادية عليه أدخله المدرسة الدينية الكبرى الشهيرة باسم «جامع الشيخ إبراهيم باشا» فحضر دروس أكابر الأشياخ كالشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالاسكندرية إذ ذاك والشيخ ابراهيم السرسي والشيخ إبراهيم الشافعي والشيخ خفاجة والشيخ محمد العشري وبه انتفع وعليه تخرج فأتقن فقه الشافعي والأصول والمنطق وعلوم الأدب اللسانية وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله وذلك كله وهو في سن المراهقة وحينئذ بزغت شمس حياته الأدبية من آفاق الفضل فأخذ يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم هبة من الله لانقلاً عن أحد فما لبث أن سارت الأمثال ببدائع آدابه وتسابق بلغاء الكتاب والشعراء إلى مطارحته بألسنة الترسل. وكانت الكتابة إلى ذلك العهد قاصرة على السجع لايعرف أحد من الأدباء غيره حتى في المحررات العامة تقليدا للأعاجم الذين لو تأمل العربي لجرع حسرة وأسفا على أن لغته لم تصل إليه إلا بواسطة أولئك

القوم إذ اضطرتهم بلاغة القرآن الكريم لإتقانها درسا وبحثا وتأليفا فوضعوا فيها ما وضعوا من الكتب التي لازالت تشهد بفضلهم على تعاقب الأجيال فخلف من بعدهم خلف مشوا وراءهم خطوة خطوة متابعين لهم في الاسجاع وما وضعوا من المحسنات البديعية وكانت نتيجة ذلك أن بقيت الكتابة العربية أكثر من عشرة قرون على حالها الأولى يجارى فيها الخلف السلف حتى كانت كأنها ضرب من الألغاز أو الطلاسم لا يصل إليها إلا من صرف نفيس عمره في حفظ المقامات المسجوعة والرسائل المنمقة بالتجانيس والألفاظ المترادفة إلا من عصم ربك وقليل ما هم.

فلما انتظم المترجم في عقد أهليها جاراهم أولا في طريقتهم ثم ما لبث أن برز عليهم وزاد بابتكار أساليب جديدة في الإنشاء فاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين أن يلحقوا له في مضمارها غبارا تشهد بذلك رسائله الأدبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مائة مؤلف في فنون مختلفة فقد أكثرها سرقة إو اغتصابا أو رميا في النيل على ما ستحققه في غير هذا المكان.

ولقد بدت على المترجم منذ ترعرع دلائل الجرأة والإقدام وركوب الأخطار والأهوال ومعاناة الشدائد والخطوب سعيا وراء المعالي وحبا للظهور الحق في عالم المشاهير من الرجال وقد رأي أن ذلك لاينال عفوا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر. فكان أول ما بدأ به من تلك المطالب المعجزة أن نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين أن الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتظاهر بترك المظهر العلمي وطلب تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الأمم في مخابراتها والممالك في سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على أصلاح الفاسد وتقويم المعوج. ولم يكن للجرائد اليومية إذ ذاك وجود فدفعته قوة ذكائه الفطري البالغ حد

الإعجاز إلى تعلم تلك الصناعة بخصوصها فأتقنها في أقل مما يتصور من الزمن كأن الكهرباء لم توجد إلا لتكون مزاحمة لخاطره في السرعة فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافيا (= أوتلغرافجيا) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الخديو الأسبق..

ومع ذلك لم تكن وفرة الأعمال عائقة له عن التحصيل إذ كان ينتظر نوبة فراغه من العمل فيمضي إلى الجامع الأزهر ويطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التي كانوا يشتغلون بها. وأخص من بين هؤلاء الرفاق إمام البلغاء وحجة اللغويين في هذا العصر المولى الفاضل السيد السند الثبت الحجة الثقة صديقنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول للغة العربية بنظارة المعارف المصرية حالا فلقد أخبرني المترجم أنهما كان تربين لايفترقان لدى المطالعة كأنما هي جذيمة وهما النديمان.

ثم طرأ من الحوادث التي لايخلو من مثلها وقت ما أوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء كالمغفور له شاهين باشا كنج وغيره من وجوه القطر وأعيانه فكانت له لديهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه في أساليب متنوعة وفنون متعددة من النظم والنثر فظفر بهم جميعا حتى كانوا لديه كالراعي لدى جرير أو كالخوارزمي أمام بديع الزمان فاعترفوا له بالسبق وهم ما بين طائع وكاره.

أذكر له من ذلك أنه حضر اجتماعا حافلا لدى شاهين باشا تحامل عليه فيه كل القوم فاقترح بعضهم على إنشاء قصيدة يعارض بها دالية المتنبي المشهورة التي مطلعها :.

أقل فعالي بله أكثره مجد * وذا الجد فيه نلت أو لم أنل جدّ .

وقال أنه لايتأتى لشاعر أن يعارض قوله في هذه القصيدة :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوًا له ما من صداقته بدّ

فغضب المترجم وأمسك القلم وأنشأ قصيدته الدالية التي أولها :

سيوف الثنا تصدا ومقولي الغمد * ومن سار في نصري تكفله الحمد

إلى أن قال معارضا ذلك البيت الذي ظنه المتعنت معجزا:

ومن عجب الأيام شهم أخو حجا * يعارضه غر ويفجمه وغد

ومن غرر الأخلاق أن تهدر الدما * لتحفظ أعراض تكفلها المجد

وأردفهما بخمسة أبيات على شاكلتهما ولكن لم يبق غيرهما في محفوظي لأني إنما سمعتها منه سماعا سنة إحدى وثمانين وثمانمائة وألف فأفحم المعارض وأبلس ولم يدر كيف يقول .

ومن غرائب بدائهه ماجرى له في طنطا مع جماعة المكدين المعروفين «بالأدباتية» وهي منشورة في العدد الـ٤١ من الأستاذ .

وأعرف له من هذا القبيل أشياء كثيرة لو كنت أعلم أني أنا الذي ساكتب ترجمة حياته لطلبتها منه وحافظت عليها حتى يرى القارئون منها ما لم يكن يخطر لهم على بال .

ثم اختارالمترجم أن يقصد المنصورة ترويحا للنفس فمضى إليها ورأى أن التجارة خير ورياضة له فأنشأ متجراً ملأه بكثير من أنوا ع السلع الغالية فراج سوق بضاعته رواج آدابه ولكن تغلب كرمه الحاتمي على رأس المال والربح ففقدهما جميعا وكان بيته ومتجره في تلك الأثناء كلاهما كعبة يحج إليها من رجال الأدب من استطاع إلى الحذق سبيلا فكانوا يتحدثون بمعجز رسائله ومحرراته نظما ونثرا ولايزال كثير من بلغائهم يباهي بما يحفظ منها في الأندية والمجتمعات .

ولما رأي أن الغربة كربة حبب إليه الرجوع إلى مظهر وجوده ودار مولده الاسكندرية فعاد إليها أوائل سنة ١٨٧٩ وهنالك أخذت شمس حياته السياسية تبدو ليستضيء بها الوجود المصري وكان أول سعيه في هذا السبيل أن اجتمع ببعض أصدقائه المخلصين ممن يتحقق فيهم حب البلاد والميل إلى إعلاء شأنها بالوسائل الشريفة وهما اثنان من مؤسسي جمعية مصر الفتاة أحدهما نائب رئيسها والثاني كاتم أسرارها فتعرف منهما ليلة اجتماعه بهما بالمأسوف عليهما أديب أفندي اسحق وسليم افندي النقاش صاحبي جريدتي مصر والتجارة كما تعرف بكثير من أعضاء هذه الجمعية فكان ذلك بدء حياته السياسية وشرع في بث أفكاره السلمية بما كان ينشره في تينك الجريدتين معزوا إلى أقلام محرريهما ثم لما رأي أن جمعية مصر الفتاة (وكانت في بدء نشأتها) جمعية سرية يخشى عليها من غوائل الحكومة في ذلك العهد أقنع هذين الصديقين بالانفصال منها فانفصلا وتبعهما كثير من أعضائها ثم ذاكرهما في إنشاء جمعية عليه تسعى فيما يعودعلى الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه. ومنذ ذلك العهد شرع في تأليف قلوب أهل الثغر وجمع كلمتهم علما بأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وقد تم له ما أراد بعد مصاعب هائلة ومشاق لاتحتمل فتألفت الجمعية الخيرية الإسلامية وذلك في أواخر ولاية المغفور له اسماعيل باشا والاستبداد قد بلغ أشده والظلم جاوز حده والقلوب واجفة والأفكار مضطربة وقد خسرت الألسنة وغلت الأيدي إلى الأعناق واشتغل كل امريء بنفسه فأصبح خائفا يترقب زوال نعمته أو نهاية محنته حتى دنت ساعة الفرج فلم تشعر الأمة المصرية إلا بالعزيز الكريم المرحوم محمد توفيق باشا جالسا على سرير الملك فقرت العيون وهدأت الأفكار فقام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبث في الأذهان فوائد الاجتماع

بلسان طلق وعبارة هي السكر لولا أنها تذيب ولا تذوب فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الائتلاف وتسارع أعيان الثغر ووجهاؤه للانتظام في سلكها عن طيب خاطر وسرور نفس وكانت هي أول جمعية إسلامية أسست في القطر المصري من لدن عام الفتح إلى الآن ..

ولم يكن لها مقصد سياسي قط وإنما كانت ترمي إلى غرض واحد شريف وهو تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم وتطهير أخلاقهم من دنس الجهالة التي ليس للأمم داء سواها على ما أوضحه المترجم في خطابه الطنان الرنان الذي ألقاه يوم الاحتفال بافتتاح تلك الجمعية ولم يزل صداه في الآذان والأذهان مسموعا محفوظا..

انشأت هذه الجمعية مدرستها العظيمة لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء مجانا فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية أمير البلاد فجعلها تحت رآسة ولي عهده ووريث تاجه إذ ذاك وهو خديونا الحالي أطال الله عمره فكان ذلك أدعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فوسعوا دائرة اهتمامهم دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والإفرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساسا(= بروغراما) محكما وأخذ على عهدته تعليم الإنشاء وعلوم الأدب فنمت وعظمت وبلغ عدد الطلاب بها أكثر من ثلثمائة طالب في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠جنيه في كل عام .

فلماء رأي المترجم أن غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الخديو السابق أن ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فأجابه إلى ما طلب .

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة ما لم يبلغه غيرها في أزمان وحضر المرحوم توفيق باشا مرة امتحانها العام في يوم

مشهود كان يسأل فيه رحمه الله بعض التلامذة بنفسه فسر من إجابتهم ونجابتهم سرورا بدت على أسرّة وجهه لوائحه. فاغتنم المترجم هذه الفرصة واستعطف مقامه الكريم أن يضيف إلى مننه القديمة منة أخرى وهي السماح بزيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد (أميرنا الآن) ودولة شقيقه المدرسة تنشيطا للطلبة وتكرمة لرجال الجمعية فتفضل بالقبول فما لبث أن حضر الأميران تتقدمهما المهابة ويحف بهما الوقار فجلسا في مجلس خاص مزين بالأعلام وبدائع الزهور وتقدم نفر من نجباء التلامذة فوقفوا بين أيديهما وألقوا ثمانية وعشرين مقالا مختصرا نظما ونثرا أغلبها من إنشاء المترجم ثم انصرف الأميران في أبهة ملكهما مودعين بالابصار والقلوب فزادت بذلك المدرسة شهرة على شهرتها التي أوصلها المترجم إليها بما كان يعود التلامذة عليه من الخطب والمقالات المؤثرة في النفوس فيعقد لذلك حفلات عامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهم فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولاحديث لهم إلا تفاهم ما سمعوا من تلك العبارات الآخذة بمجامع القلوب إنشاءً والقاءً. وكان مراده بذلك تدريب الناشئة وتمرينهم على أساليب الخطابة والجدل من جهة وبث روح الغيرة والنخوة في أفكارهم من أخرى ليتمكنوا إذا بلغوا مبلغ الرجال من أداء مقاصدهم بلا حياء بلا خجل لأن الأمة كانت لاتزال في أشد الحاجة إلى ذلك بسبب ما قضى به ضغط الحكام السابقين على أذهانها من الحين والخمول حتى أن أعظم عظيم فيهم كان لايقدر أن يحدث نفسه في سرير نومه بشيء من دواعي الإصلاح خوفا من الطيف أن ينم عليه كأنما كل مصري كان هو المقصود بقول أبي الطيب :

إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

ولهذا الغرض بعينه اختار المترجم أن يمثل بالاسكندرية في الملهى الأكبر

(تياترو زيزينيا) حالة البلاد وكيف يكون الوصول إلى الشهامة والمروءة فأنشأ روايتيه المشهورتين باسم «الوطن» و«العرب» ومثلهما هو وتلامذته في ذلك الملهى، بحضرة ساكن الجنان الخديو السابق فكان لهما في نفسه من حسن الوقع ما بعثه على أن يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية التي لمدرستها مدير كالمترجم يعرف كيف يتلطف في أداء المقاصد العائدة على الوطن وبنيه بالنفع العام.

غير أن هذه المقدمات بنتيجة لم تكن في حسبان عاقل إذ ظن جماعة من سفهاء الأحلام أن في شهرة النديم ضياعا لصيتهم وحطا من كرامتهم فأجمعوا أمرهم وائتمروا على الإيقاع به شيمة كل ختال فخور مناع للخير معتد أثيم وقد ساعدهم بعض كبار الحكام في ذلك الوقت وكان هو الرئيس العامل للجمعية فدعا الأعضاء للاجتماع في ليلة استمدت من آراء المنافقين ظلامها وغاب فيها الرشد عن العقول فهمس بعضهم في آذان بعض وظهر ذلك الكبير بمظهر عدو ألد للنديم فطلب من الجمعية تقرير فصله من إدارة المدرسة والعضوية جميعا وكان المترجم قد أحس بالمكيدة قبيل ذلك بأيام فكتب إلى الجمعية كتابا يستعفي به من الإدارة والعضوية بعبارة ترقص الألباب طربا ببلاغتها وقوة حجتها فأبرزه الرئيس وتلاه على الجمعية واتخذه من ضمن الأسباب التي ينقم بها على النديم. وكان الحاضرون تلك الليلة مرغمين على الخضوع لأمر الرئيس إذ إنه كان من أذناب دولة الاستبداد فأمر بإغلاق الأبواب وكتب وافضيحتاه كتابا كله هذر وهذيان وضلال وافتراء مبين وتطويل بارد خلاصته أن النديم لايليق أن يكون عضوا في الجمعية أو مديرا لمدرستها- مع أنها غرس يديه- وكتبوا منه عدة صور ودارت الزبانية على الحاضرين تطلب التوقيع على ذلك الكتاب الذي سموه منشورا، ثم انفض الحفل فمضيت إلى المترجم وحدثته بكل

ما جرى فلم يتأثر بل قال «لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون» .

وقد كان قبل هذه الحادثة بشهور ترك الكتابة الأدبية واشتغل بالتحرير السياسي على الأسلوب الحديث بلا سجع ولاتقفية فكان يحرر جريدتي «المحروسة» و«العصر الجديد» اللتين صرح للمأسوف عليه سليم افندي سليم النقاش بإصدارهما عقيب إلغاء «التجارة ومصر» وإبعاد فقيد سورية أديب افندي اسحق إلى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب من غير تكلف قط حتى كان من شاهده لايظن إلا أنه ناسخ يرسم ما يحفظه .

وما زال مستمرا على كتابتهما احتسابا إلي أن استدعى صاحبهما من بيروت بالكاتبين الفاضلين سليم افندي عباس وفضل الله افندي الخوري فترك لهما أمر هاتين الجريدتين وأنشأ «التنكيت والتبكيت» وهي جريدة اسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جد، وحقيقتها حكمة وتهذيب فاقتصر عليها وأودعها من الآيات البينات ما لم يسبقه أحد من كتاب العرب إليه ولن يقدر غيره على مجاراته فيه ثم استبدل هذه الجريدة بالطائف على ما قضت به المناسبات الزمانية وذلك قبيل الثورة العرابية وكانت جريدة سياسية محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها وآتاه الله فيها من التأثير على الأفكار ما لم يؤت أحدا من العالمين. ثم اغتصبها منه أمراء الجند ولم يدعوا له منهاغير الاسم فكانوا يحررون فيها ما يشاءون دون أن يقدر على رد أمر واحد منهم حتى انطفأت جمرة تلك الثورة المشؤومة فاختفى .

وهنا يقف قلمي ويضيق صدري ولاينطلق لساني لو أردت بيان الدواعي الحقيقية التي اضطرته للانضمام إلى القائمين بأمر تلك الثورة وكنت أود أن يبقى ذلك سراً مكتوماً حتى عن نفسي فما كل ما يعلم يقال ولكن ليس من الحزم كتمان أمر مثل هذا من أهم ما تضمنه تاريخ حياته فاسمع إن شئت وإلا

فلك الخيار.

كان النديم ميالا بفطرته إلى الظهور في عالم الأدباء بمظهر الخادم لأبناء وطنه وملته فأخذ يخطب بذلك على ملأ الاشهاد ارتجالا في كل ناد ومحتفل بصوت جمهوري ولسان أمضى من الحسام وقلب أجرأ من الأسد. ويعلم الله أني ما رأيت عمري أخطب منه على كثرة من سمعت في الشرق والغرب من كبار الخطباء الذين تضرب ببلاغتهم وقوة براهينهم الأمثال. فلما ناصبته الجمعية الإسلامية العداوة وقلبت له ظهر المجن غادر الاسكندرية واتخذ القاهرة دار هجرة ومقام وكان اسمه قد اشتهر وفضله ظهر وبهر فظن أن الهيئة الحاكمة تحفظ له ذلك ولكن ما لبث أن تبين فساد ظنه إذ إن تلك الهيئة تركت أبناء البلاد عموما وبعثت فاستدعت برجل من غير المصريين مبعد إلى بلاده فقلدته منصبا خطيراً ثم عرضت على المترجم وظيفة أقل من تلك في الاعتبار المعنوي ولو أن مرتبهما واحد فأبت نفسه إلا الآباء حيث تيقن أن في تفضيل غيره عليه بعض التفضيل امتهانا لقدره فأسرها في نفسه ولم يبدها لهم وصادف أن أخذت نيران الثورة تبدو من خلل الرماد فأصابت منه هوى في الفؤاد فتمكنت لا حبا في الهيجان، ولا شقا لعصا الطاعة ولكن لكونه سمع رجالا تنادي بطلب الإصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية لذلك مجاهرة بمقاصدها في أهم الصحف الخبرية المتداولة عربية وغير عربية حتى أتفقت كلمة الباحثين على أن مصر حزبا وطنيا لاهم له إلا السير بالبلاد في سبيل الحضارة والمدنية وانتشالها من وهدة الخراب التي ألقاها فيها الحكام السالفون ولم يستطع أحد من أهل الشرق والغرب إنكار هذا القول البتة. فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤسائه يكرمونه ويعظمونه والقوة كلها في قبضة إيمانهم وتحت تصرف سيوفهم وكل ميال للسلم في اعتقادهم عدو للبلاد مبين فما زالوا

به حتى انضم إليهم رغم إرادته فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا جريدته مجالا لأقلام الكثير منهم ومظهرا لأفكارهم ولكنه كان يتأفف سرا من وقوعه في تلك الورطة فإذا خلا باحد من أخصائه أظهر له حقيقة مايضمره..

سمعته مرة في غرفة نومه حيث لاثالث بيننا يقول ما معناه أن البلاد قد ضاعت بتهور رؤساء الجند الذين خدعونا في مبدأ الحادثة وأوهمونا أن لاخوف من العاقبة ولافزع فإنما هي أقوال تضرب بأقوال وقد اعتاد الأجانب أن يبلغوا منا ما أرادوا بالتهديد والإيهام فنحن إنما نقابلهم بالمثل وإلا فهم أعقل بكثير من أن يقصدوا محاربتنا فعلا ولكن وجداني الآن يحدثني بفساد هذه المزاعم فلقد تفاقم الخطب واشتدت النازلة وظني أن الحرب واقعة ولابد فلا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم أنه ليس لنا اليوم إلا أن نبقى مسيرين لامخيرين فقد ملئت الكاس ولابد من شربها.

ولم يمض أكثر من أسبوعين على هذه المحادثة حتى زلزلت الأرض زلزالها وهاجت القاهرة وماجت إذ حمل البرق إلينا من الاسكندرية أخبار ضرب الانكليز لها في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم وبين عرابي فقام المترجم مع محمود سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند المتخلفين إلى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمغادرتها إلى كفر الدوار بعد أن صارت معالمها دوارس فباتا (هو وسامي) في منزل المترجم ولحقوا جميعا بزعيم الثورة فأقام المترجم معه حتي كان ما كان من انتقال الجنود الانكليزية بحرا إلى بورسعيد فالاسماعيلية ومحاربتهم المصريين في نفيشة والقصاصين والمحسمة فانتقل عرابي إلى التل الكبير ومعه المترجم. فلما وقعت تلك الألعوبة المضحكة المبكية المسماة بواقعة التل الكبير فر عرابي وأخوه وعلي الروبي وتبعهم المترجم وذلك في الخامس عشر من شهر سبتمبر

سنة ١٨٨٢ وقت السحر فحضروا إلى القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وقصدوا في الحال قصر النيل مركز نظارة الحربية إذ ذاك وكنت هناك وقتها فرأيتهم في منظر لايسر فقصدت المترجم واستخبرته الخبر فأخبرني أن الانكليز استولوا على التل الكبير ولم يزد على ذلك شيئا. ثم ركب ومعه صاحب له عربة وتبعتهما بعد قليل إلى بيته فلم أتمكن من رؤيته لأني صادفت بالباب من أخبرني أنه لايريد أن يقابل أحدا إلا غدا حيث يكون قد ارتاح من تعب السفر فقصدت في المساء بيت عرابي لعلي أقف منه على بعض الشيء فوجدته يتأهب هو وطلبه عصمت لتسليم أنفسهما وسلاحهما إلى القائد الانكليزي المخيم بالعباسية، وفي تلك الساعة بلغني أن وفدا مؤلفا من المترجم وجماعة من العظماء على عزم المضي ذلك المساء إلى الاسكندرية يحملون كتابا من عرابي ورفاقه إلى أمير البلاد يتضمن التوبة مما فرط ويعترفون بالعودة للطاعة والخشوع والإذعان .

ولما أصبح الصباح بكرت إلى دار المترجم فوجدتها مقفرة من ساكنيها أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا فسألت عن الخبر فقيل لي أنه لم يصل إلى الاسكندرية وإنما عاد من كفر الدوار في الساعة الرابعة بعد نصف الليل ثم اختفى هو ووالده وخادمه ولم أعد بعد تلك الساعة اسمع عنه شيئا بالمرة مدة عشر سنين متوالية أمضيت بعضها في مصر وبعضها في القسطنطينية وأوروبا وقد ثبت في ذهني أننا لن نجتمع إلا في يوم النشور لما نقل إليّ الكثير من الناس أنه قبض عليه عقب اختفائه وقتل في بعض الليالي خنقا بسجن دمنهور وأكد لي ذلك اعتقادي أنه لو كان حيا لراسلني وأنا بعيد عن القطر المصري حيث لاخوف من رقيب..

إلا أنني تبينت بعد ظهوره أني كنت مخطئا في اعتقادي فقد سمعت من

لفظه أنه لما عاد من كفر الدوار خرج هو وأبوه وخادمه إلى ساحل بولاق ثم ودعه أبوه بعد أن أوصاه أن يدعو الله كلما وقع في خطر بسر رضا والديه عنه واكترى لنفسه سفينة ركبها وأقام فيها مصعدا منحدرا إلى أن عفا المولى الخديو عفوه العام فذهب إلى الإسكندرية كما كان. أما هو فإنه مضى إلى صديق له مخلص من أهل بولاق فمكث لديه مستترا ومعه خادمه نحو عشرة أيام تمكن في خلالها من استحضار ثوب من الصوف المصري الأحمر المعروف «بالزعبوط» فلبسه وتعمم بعمامة حمراء ووضع على عينيه غطاء وأمسك بيده عكازة طويلة وخرج وكانت لحيته قد طالت فأرسلها إلى صدره حتى صار لايعرفه أدنى الناس إليه ومشى هو وخادمه ليلا إلى الساحل فوجدا سفينة مقلعة إلى بنها فركباها وتظاهر بأنه من مشايخ الطرق الريفيين فلما وصلت السفينة إلى بنها نزل إليها قوم من رجال التفتيش ليفتشوا عليه بخصوصه فخفى عليهم ولم يعرفوه ثم انتقل من تلك السفينة إلى أخرى وقصد بليدة يقال لها «ميت الفرقا» (محرف منية الغرقى) فأقام بها دهرا عند رجل من ذوي المكانة ونفوذ الكلمة وكانت الحكومة قد جلعت لمن يدل عليه ألف جنيه فتعب كثير من الحمقى في البحث عنه ولكن رجعوا بصفقة المغبون وهو آمن مطمئن يقرأ ذلك في الجريدة الرسمية وغيرها فلا يهتم ولايضطرب .

وقد كان خادمه أميا أجهل من دابة فبكى وانتحب عقيب اختفائهما بأيام قلائل وطلب الرجوع إلى أهله فخشي المترجم أن يفتضح به أمره فجاء بالجريدة الرسمية ونظر فيها فأظهر الجزع والتأسف وضرب كفا بكف فسأله الخادم عن السبب فقال أن الحكومة جعلت لمن يرشد إليّ ألف جنيه ولمن أتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم وأخذ يبالغ في التنكر زيادة عن سيده وكان ذلك سببا في ملازمته خدمته مدة اختفائه وقد كافأة المترجم أحسن مكافأة

فعلمه القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم واقرأه مبادىء التوحيد والفقه ثم زوجه واتخذه صاحبا ورتب له بعد ظهوره ما يكفيه هو وأهله.

ولما جدت الحكومة في طلبه ولم تصنع شيئا حكمت عليه بالنفي المؤبد غيابيا فقرأ ذلك في الجرائد وهو غير هياب ولا وكل ولكن الطلب لم ينقطع فاستعان برجل من الأجانب شهم فاشاع هذا أن النديم هرب إلى «ليفورنو» من أعمال إيطاليا وقد نقلت هذا الخبر جريدة الأهرام في سنة ١٨٨٣ وعنفت رجال الضبط والربط على إهمالهم تعنيفا شديدا وحينئذ تحولت الأنظار عن البحث عنه في مصر. وبلغ الحنق ببعض كبار الحكام أن بعث مندوبا خاصا إلى ليفورنو ليقتله فذهب وعاد بخفي حنين لم يقطع إلا راس مال مرسله .

ومن الغريب أن المترجم بعد نحو سنة من تاريخ اختفائه عرض على من آواه أن يبعث به إلى محل آخر فأرسله إلى رجل يثق به في بلدة تابعة لمديرية الغربية تسمى «العتوة» ولم يمض على مفارقته مختفاه الأول بضع ساعات حتى أجلب رجال الحكومة بالخيل والرجل للتفتيش عليه فلم يظفروا منه بطائل.

وما مضى على إقامته بتلك البلدة أكثر من سنة حتى قضى رب البيت نحبه فجاءت زوجته بأكبر أولادها وهوشاب لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره فقالت له هذا عبد الله النديم الذي جعلت الحكومة لمن هداها إليه ألف جنيه افتريد أن تؤويه وتكرم مثواه كما فعل أبوك أم ترغب في حطام الدنيا فأكون بريئة منك إلى يوم الدين فقال حاشا لله أن أخفر ذمامي فسترين أني أحافظ عليه محافظتي على عرضي ولن يصل إليه أحد بسوء ما دمت حيا فقالت له والدته الكريمة بارك الله فيك من شهم حازم فمكث في جوارهم نحوا من أربع سنين ضيفا كريما ثم وشى به بعض أقرباء الرجل لضغائن بينهما فمضى هو ليلا وصار يضرب في بلاد مديرية الغربية وكلما ألقى عصا التسيار في مكان أكرمه أهلوه وأنزلوه

على الرحب والسعة وشدوا أزره بتزويجه منهم..

ولاغرو فقد كان له من حلاوة الملقى وبلاغة القول وذلاقة اللسان ما لايستغرب في جانبه غريب فتلك خاصة طبيعية فيه جذبت إليه القلوب كما يجذب المغناطيس الحديد فلم يبال أحد من أولئك المفضلين بما كان يتهددهم في هذا السبيل الشاق من الحبس أو التشريد أو غيرهما من أنواع العقوبات الحاقة على من أخفى رجلا تهتم الحكومة بالبحث عنه حتى استقرت به النوى في بلدة تعرف بالجميزة فلم يبرحها إلى أن قبض عليه هو وخادمه بسعاية بعض الطامعين غير أن ميعاد المكافأة كان قد انقضى فذهبت مطامع النمام أدراج الرياح.

ولم يكن له على أحد ممن آواه سابقة فضل ينتظر عليه أجرا أو مكافأة وإنما هي مكارم أخلاق وطيب عنصر ومحض شهامة خصوا بها فجزاهم الله عن الإحسان خيرا.

ولقد كان في أثناء اختفائه كلما انتقل من موضع إلى آخر غير زيه واسمه فتارة كان يبخر لحيته بالكبريت إلى أن تبيض ثم إذا جاء الليل غسلها ومرة يجعل نفسه مغربيا وهكذا كإنما نقل عن أبي زيد السروجي حيله. وقد انتحل تسعة أسماء منها الشيخ يوسف المدني والشيخ محمد الفيومي وسي الحاج علي المغربي وغيرها مما أتى على ذكره في كتاب الاحتفاء في الاختفاء.

ومن مدهشات وقائعه أثناء اختفائه أنه اجتمع بكثير ممن كانوا يعرفونه حق المعرفة وحادثهم في شؤون مختلفة وهم لايظنون إلا أنه رجل غريب نظرا لتغيير الشكل والصوت واللهجة. أخبرني أنه اجتمع بالمرحوم مصطفى باشا صبحي مدير الغربية في ذلك العهد بالكوم الطويل وتكلما طويلا فقال هذا لولا علمي بأن النديم قد مات وانقضت أيامه لقلت أنه هو هذاالرجل بعينه ولكن جل من لاشبيه

له. وجلس ليلة على افريز (رصيف) محطة طنطا ينتظر القطار القائم إلى كفر الزيات وكانت الحكومة قد أرسلت الجواسيس في أكثر البلاد للقبض عليه فلقيه هنالك فريق منهم اشتبهوا في أمره وقد عرفهم وهم له منكرون فما زال يحدثهم حتى اعتقدوا أنه رجل من الصالحين المقربين فلما جاء القطار أوصلوه إليه وحملوا أمتعته وظلوا وقوفا إلى أن أوشك القطار أن يتحرك فقبلوا يديه وسألوه الدعاء.

وغاية الغايات المأثورة في مكارم الأخلاق أنه لما قام من ميت الغرقا قاصدا العتوة صادفه في طريقه أحد مأموري المراكز وكان جركسيا ومعه قوة صغيرة من الجند فأمرها أن تسبقه قليلا ثم لوى عنان فرسه إلى المترجم فقال لا ضرورة للتنكر فقد عرفتك وأنت النديم فلم يكن له بد من الاعتراف بجلية أمره فقال له المأمور لابأس عليك اذهب في دعة الله وحفظه ولاتخف واعلم أني وإن كنت جركسي الأصل فإني عربي الكرم ولهذا وهبتك حياتك وتنازلت عن الجعل الذي جعلته الحكومة لمن دل عليك مع احتياجي للقليل كما تنازلت عن كل ما عسى أن أناله بواسطة القبض عليك من الرتب والمناصب لتعلم أن في الوجود بقية للكرام. ولكن إياك وهذا الطريق المسلوك فربما صادفك من يقبض عليك فيه فعرج عنه إلى جهة اليمين ثم مد يده إلى جيبه وأخرج ثلاثة جنيهات ودفعها إليه وقالوالله هذا هو كل ما أملك الساعة فخذه واستعن به على أمرك.

وكان القبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ أواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فجيء به إلى طنطا مركز مديرية الغربية وهناك حبس أياما حبسا سياسيا لاجنائيا وسئل عن موجب اختفائه فأوضحه بما لايخرج عما تقدم فعفا عنه الجناب الخديوي ولكن أمر بإبعاده إلى حيث يشاء من البلاد غير المصرية فاختار يافا من ثغور فلسطين لأنها مدخل بيت المقدس فسافر إليها على إحدى

البواخر المصرية. وشيعه محافظ الاسكندرية إذ ذاك صاحب السعادة عثمان عرفي باشا ولما أرست السفينة على ساحل يافا نزل إليه بعد أن دفع له ربانها خمسين جنيها كانت الإرادة السنية الخديوية قد تعلقت بصرفها له ليستعين بها في غربته. وكان في استقباله على الشاطيء عدد عديد من العلماء والأدباء والأعيان والوجوه فقابلوه بالبشر والترحاب ودعاه رب المجد والكرم والعلم والأدب والفضل السيد علي افندي أبو المواهب مفتي ذلك الثغر الباسم للنزول عنده فقبل الدعوة شاكرا وبقى في ضيافته أياما ثم اتخذ لنفسه دارا خاصة وأقام فيها نحو سبعة أشهر فكانت ناديا عاما يجتمع فيه أفاضل القوم وسراتهم للبحث والمذاكرة. وحينئذ أخذ يكاتبني بعد أن انقطعت عني رسائله أكثر من عشرة أعوام .

وفي تلك الأثناء كان يتردد على مجلسه للسلام والمحاضرة كثير من كبراء بلاد فلسطين فيسمع من أخبار مواطنهم ما يبعث فيه روح الشوق ويحرك منه ساكن الأماني ابتغاء الوقوف على الحقيقة فعقد النية على السياحة في تلك الأماكن المقدسة ليتعرف مجاهلها فقام على مانقلت من خطه في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٣٠٩(مارس سنة ١٨٩٢) ومعه صديق له من أكابرالشرفاء فوصلا إلى جبل الطور المسمى جبل جارزيم حيث شاهدا بأعلاه محج السامرة ومن هناك قصدا مقام العزير فزاراه هو وكثيرا من قبور أنبياء بني إسرائيل ثم مرا بعدة قرى ووديان مختلفة إلى أن بلغا نابلس فلبثا بها في حفاوة وإكرام مدة يومين غادراها بعدهما إلى سبطية وبها أديا حق الزيارة لمشهد سيدنا يحيى الحصور (مار يوحنا المعمدان) ثم عادوا المسير وقصدا طريق الناقورة فلما جاوزاه سارا في طرق صعبة المسالك كلها عقاب وهضاب فكانا يترجلان كثيرا لعدم قدرة الخيل على قطعها وظلا كذلك ترفعهما النجود

والثنايا وتخفضهما الأغوار والمنحدرات حتى عادا إلى نابلس بعد أن نظرا من غرائب الآثار وبدائع الطبيعة شيئا كثيرا بينه المترجم في رحلة له صغيرة شرح فيها هذه السياحة شرحا بديعا.

وقد زار مدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الأقصى وعدة أماكن مقدسة كان موضوع التجلة والإكرام في جميعها ولاسيما لدى العلماء والحكام خصوصا صاحب السعادة والفضل ابراهيم حقي باشا متصرف القدس الشريف.

ثم لما خلف مولانا العزيز عباس الثاني والده الأبر على سرير الملك عفا عن المترجم وذلك في سنة ١٨٩٢ فعاد من يافا إلى القاهرة وظل مترددا بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الأولى موطنا وأنشأ بها مجلته العلمية الأدبية التهذيبية الشهيرة باسم «الاستاذ» فجاء فيها من دلائل الإعجاز بما لم يأت به أحد من قبله فأخذت من الشهرة العظمى ما لم تأخذه جريدة سواها وأثرت في أفكار الأمة على اختلاف نحلها تأثيرا كاد يضطر كل قادر على القراءة أن يشترك فيها فبلغ من ان يطبع منها أخيرا نحو ثلاثة آلاف نسخة من أن عمرها لم يطل أكثر من عشرة أشهر كان كل عام من أعوام اختفائه يقابل شهرا في مدة ظهوره.

ثم ألغيت لأسباب يعلمها كل متدبر خال من الغرض لأن العهد بها غير بعيد. وأعقب ذلك أن كلف المترجم بالخروج من مصر فغادرها ثانية إلى يافا ودفعت له الحكومة المصرية أربعمائة جنيه يعتد بها لسفره ورتبت له ٢٥ جنيها كل شهر على شرط أن لايكتب شيئا في الجرائد يختص بسياسة مصر فلبث أربعة أشهر في يافا. ثم سعى به بعض أرباب الغواية والتضليل فأبعد منها بإرادة سلطانية فرجع إلى الاسكندرية وأقام أياما قابل في خلالها صاحب الدولة الغازي مختار باشا المندوب السلطاني العالي فساعده هذا على المضي إلى

القسطنطينية فسافر إليها بإرادة شاهانية. وما كادت تستقر بها قدماه حتى صدرت الإرادة السلطانية بتعيينه مفتشا للمطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيها مجيديا له كل شهر فكان يتقاضاها هي والمرتب له من الحكومة المصرية ويأبى كرمه إلا أن يصرفها جميعها مع ما كانت تجود به عليه المكارم الحميدية من الإحسانات الخاصة في سبل الخيرات والبر بالأهل والأقارب والاصدقاء.

وقد نال هناك لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى التي لاتنال وتعرف بكثير من الوزراء وأرباب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالملازمة والصحبة والمودة الإمام العلامة الخطير فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الأفغاني فاتصلت بينهما أسباب الألفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حسا ومعنى فكان لايصبر أحدهما عن الآخر ولايطيب له مجلس إلا إذا كانا فيه معا. وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه أن أصبح وأمسى يعجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وسرعة بديهته في التحرير حتى صرح في عدة مجالس بأنه ما رأى مثل النديم طول حياته في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما بإزاء معانيها أن خطب أو كتب.

ومن عجائب المقدور أن واشيا وشى به إلى السلطان ونسب إليه أمورا كثيرة هو منها براء فكاد الأمر يصدر بنفيه إلى بعض الولايات البعيدة لولا أن الخبر بلغه وهو في إحدى ضواحي القسطنطينية فكتب إلى السلطان تلغرافا يتبرأ فيه مما اختلقه الواشي وختمه بعبارة حماسية معناها أنك أنت أمير المؤمنين القادر على الانتقام والعقاب بلا معارض أو منازع ولكننا سنقف بين يدي عادل قاهر يقضي بيننا بالحق وهو خير الحاكمين. وكان السلطان يحب

الثبات على المبادىء ويميل لكل رجل فيه عزة نفس وإباء فأعجبته تلك الشهامة ولذلك عاد فرضي عنه ورجع عن عزيمته ورد الله الذين مكروا بغظيهم لم ينالوا مما أرادوا نصيبا.

وقد كان يود الرجوع إلى مصر ليقضي بها بقية أيامه شأن كل حر كريم لايهنأ له عيش إلا في أرض نشأته ومعهد أهليه واقربائه ولعل هذه هي الأمنية التي أعجزه نيلها فما كل ما يتمنى المرء يدركه، ولما سافر الجناب العالي الخديوي إلى القسطنطينية منذ سنتين شرفه باستدعائه إلى سدته الشريفة مرارا وكان يسر بلقائه وما يسمع من لطائف محادثاته فلما أزمع الأوبة إلى القطر سار المترجم بأمره العالي في منادمته إلى مضيق الدردانيل (جناق قلعه) ثم عاد وقد ضن الجناب السلطاني به على مصر فحسده الدهر على مكانته وكأنما خاف على نفسه من نفثاته فتنبه له بعد الرقاد واستعان عليه من السل الرئوي بعدو شديد البأس فتاك غطى على أعين الأطباء ثم انقض عليه فأورده حتفه في ليلة الأحد عاشر شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ فمات بموته العلم والأدب وحزن عليه من عرفه ومن لم يعرفه وحاشا له أن يكون مجهولا..

وعندما علم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بموته أصدر أمره المطاع بالاحتفال بمشهده على نفقة الجيب الشاهاني الخاصة فسار أمام نعشه فرقتان من الجيش المظفر وفرقة من الشرطة (البوليس) وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم العلامة السيد جمال الدين الأفغاني والمولى الشيخ محمد الظافر شيخ السلطان والشهم الكريم المفضال السيد عبد الرحمن الجزولي (وهو الذي توفي المترجم في بيته إطاعة لإشارة الأطباء) وغيرهم من الفضلاء الذين

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور

وأودع صدف التراب من مقبرة يحيى أفندي في باشكطاش در جسمه النضيد

بالأمس كان غريبا في ديارهم * واليوم صار غريب اللحد والكفن

وكانت والدته وأخوه لما علما باشتداد العلة عليه قد برحا الاسكندرية إلى القسطنطينية لعلهما يريانه قبل أن يلحق بربه ولكنهما لم يبلغاها إلا بعد أن سكن الثرى فليس يعلم إلا الله مقدار ما حاق بهما من الهلع الذي تنخلع لهوله القلوب وتذوب الأنفس حسرات ومع ذلك تجلدا وقصدا بيته عسى أن يجدا فيه من آثاره ما يخفف عنهما ألم المصاب وليتهما لم يفعلا فقد وجدا البيت أفرغ من فؤاد أم موسى لأن بطانة المترجم استحوذت على كل ما كان فيه من الفرش والأمتعة والأثاث ولم تترك إلا الهواء ولو قدرت عليه لأخذته فكان موتا وخراب ديار لأن تلك المقتنيات الثمينة كانت مشتراة بمال من الجيب السلطاني الخاص وفق ما قضى به الأمر الكريم.

ولقد مات المترجم ولم يورث أهله إلا الحزن والعناء فقد كان يقبض مرتبه

من مصر والقسطنطينية فلا يمضي عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الأقارب والأباعد دون أن يسأل عن نفسه مكتفيا بأن له أجر المناول.

أما أخلاقه فكانت عجبا للناس إذ إنه كان أبرهم بوالديه وذوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما أقرض أحدا شيئا وطالبه به ولارد يوما سائلا ولا خضع لعظيم قط وإنما كان يلين ويتواضع لصغار الناس وأوساطهم.

وأما خطبه وتأثيرها السريع في الأذهان فيكفيني مؤونة الكلام الطويل فيه إجماع كتاب الجرائد العربية والأجنبيةعلى تلقيبه بخطيب الشرق فهو أول شرقي وقف المواقف الهائلة وخصوصا قبيل الثورة العرابية إذ كان يستدعى بالتلغراف إلى الاسكندرية وسواها فيرتجل من حر القول البليغ القوي القويم الحجة مايترك الألباب سكارى من غير مدام

حضرت له من ذلك يوما في دار وزارة الداخلية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا إذا اجتمع في بهرة تلك الدار بعد انقطاع المواصلات بين القاهرة والاسكندرية عدد عظيم من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها وفيهم رؤساء الملل الإسلامية والمسيحية والإسرائيلية للمشاورة في أمر الحرب فلما دار الأخذ والرد بينهم قال المرحوم علي مبارك باشا ما الذي يمنع من أن يكون كل مابلغنا من أخبار الاسكندرية كذبا وزورا وكأنه كان يقصد بذلك التهكم أو المغالطة فلم يكد يتم عبارته حتى ابتدره النديم بصوت أجش وقال إذا كانت لاتكفيك شهادة نحو ثلثمائة ألف نسمة من الرجال والنساء والصبيان خرجوا من ذلك الثغر مهاجرين لايملكون إلا أنفسهم هائمين على وجوههم في البلدان والقرى لايلوي الوالد منهم على ولده ولا الأخ على أخيه كأنهم إلى المحشر يساقون فما ذا الذي يكفيك . ثم استمر في خطابته والقوم

سكوت كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانت النتيجة تعيين وفد من أعضائه المغفور له علي باشا مبارك ليذهبوا إلى الإسكندرية فيحققوا الأمر بأنفسهم فمضوا إليها واستمروا بها إلى أن وضعت الحرب أوزارها.

وأما الحفظ فإني كنت أعتقد أن مايروى عن المنصور فيه من باب المبالغة ولكن لما رأيت المترجم يأخذ ما يراد له من الكتب والرسائل فيقرأ فيه عدة صحائف ثم يعطي الكتاب أو الرسالة لبعض من يحضر ويعيد عليه جميع ما قرأ حرفا بحرف علمت أن كل ما نقل عن المنصور صحيح.

ولا تسل عن الكتابة فقد كان فيها أمة وحده فلو تدبرت أمره من بدئه إلى نهايته لرأيت رجلا قال في صباه وشبيبته السجع الأدبي والشعر المعجز والزجل العجيب ثم اختار التحرير المرسل في الجرائد ونسك آخر عمره من لدن اختفى وطالع كتب القوم فأنشأ في العقائد والمذاهب شيئا كثيرا وكان لايدانيه مدان في واحد منها والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة مايعد بالمئات منها ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا وديوان آخر في نحو ثلاثة آلاف بيت- وروايتا «الوطن» و«العرب» ورسائل أدبية مسجوعة لم تصل أيدي جامعي السلافة منها إلا إلى أربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير ومكابدة العناء الجزيل. وكان ويكون ·وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ)- وواحد وعشرون كتابا في فنون مختلفة قطع لأجلها أيام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسيوف الأقلام. منها ديوان شعر يحتوي على ما يقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه في القسطنطينية مع باقي تلك الكتب التي ينادي لسان حال كل واحد منها :

عسى فرج يأتي به الله أنه * على فرجي دون الأنام قدير

ومنها «النحلة في الرحلة- والاحتفاء في الاختفاء- والشرك في المشترك- وكتاب في المترادفات- وآخر في اللغة سماه موحد الفصول وجامع الأصول- والفرائد في العقائد- واللآلى والدرر في فواتح السور- والبديع في مدح الشفيع- وأمثال العرب »، وغير ذلك مما ينطق بأنه هو المجلي في كل فن وسواه السكيت .

ولما كان في يافا أول مرة بعث إليّ محررا يكلفني به أن أطلب ديوان شعره الصغير من صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ (والد تلميذنا الأبر المغفور له مصطفى افندي توفيق أحد أساتذة المدارس الأميرية كان) فلما قصدته وجدته مصابا في قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالا. ثم كتب إلي كتابا ثانيا بأن ديوانه الأوسط عند م. بك .ف. فطلبته فاعتذر بأنه ضاع فلما أنبأت المترجم بذلك أرسل إلى في مكتوبه الثالث أنه إنما طلبهما ليحرقهما براءة منهما ومن أمثالهما لأن فيهما هجوا كثيرا وختم المكتوب بهذه العبارة «قد خلعت تلك الثياب الدنسة ولبست ثوب إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وعلى ذكر الشعر وبراعته التي لاتدرك فيه نورد له هنا طرفا يسيرا مما عثرنا عليه صدفة لاقصدا فمن ذلك قوله متغزلا :

سلوه عن الأرواح فهي ملاعبه * وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودا اذا نامت أراقم شعره * وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولاتذكروا الأشباح بالله عنده * فلو أتلف الأرواح من ذا يطالبه

وقوله

أراه بعيني والدموع تكاتبه * ويحجب عني والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه * سوى زفرة تثنى الحشا وتجانبه
فلا أنا ممن يتقيه حبيبه * ولا أنا ممن بالصدود يعاتبه

إلى أن قال

فلو أن طرفي أرسل الدمع مـرة * سـفيرا لقلبي ما توالت كتائبه

وقوله مفتخرا

أتحـسـبنا اذا قلنا بلينا ... بلينا أو يروم القلب لينا
نعم لمجد نقتحم الدواهي ... فيحسب خامل أنا دهينا
تناوشنا فتقهرها خطوب ... ترى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم أنا ... أناس قبل هدنتها هدينا

إلى أن قال

إذا ما الدهر صافنا مرضنا ... فإن عدنا إلى خطب شفينا
صلينا ياخطوب فقد عرفنا ... بأنا الصلب صلنا أو صلينا
وقري فوق عاتقنا وقولي ... نزلت اليوم أعلى طور سينا

ومنها

ولسنا الساخطين إذا رزينا ... نعم يلقى القضا قلبا رزينا
فأنا في عداد الناس قوم ... بما يرضى الاله لنا رضينا
إذا طاش الزمان بنا حلمنا ... ولكنا نهينا أن نهينا
وأنا والورى قسمان لكن ... اذا ماتوا بنازلة حيينا
وإن شئنا نثرنا القول درا ... وإن شئنا نظمناه ثمينا
وإن شئنا سلبنا كل لب ... وإن شئنا سحرنا المنشئينا
ومسطرنا يناجي كل حبر ... بما يهوى ويعلي الكاتبينا
سلوا عنا منابرنا فأنا ... تركنا في منصتها فطينا
ورثناها عن الآباء بحق ... فإن صرنا نورثها البنينا
سرى فينا من الآباء سر ... يسوق البر نحو المعوزينا
فإن عشنا منحنا سائلينا ... وإن متنا نفحنا الزائرينا

ولضياع أغلب مؤلفاته بواعث شتى منها أنه كان إذا سود شيئا جاء إليه من يستعيره منه ثم لايرده عليه وقد فعل ذلك معه جماعة من أهل القاهرة والاسكندرية والمنصورة، ومنها أنه كان مقيما في بلد من أعمال الدقهلية يقال لها بداوي فبلغه أن فريقا من أهل البلدة يأتمرون به ليقتلوه فاتخذ الليل جملا ومضى إلى حيث يأمن فلما جاء المؤتمرون ولم يجدوه احرقوا البيت حنقا فاحترقت كتبه فيه، ومنها أنه زمن مقامه بالمنصورة للإتجار غافله خادمه وسرق بعض متاع البيت ومنه الكتبَ وهرب، ومنها أن والده رحمه الله هاجر من الاسكندرية إلى القاهرة فيمن هاجر يوم الحرب الأخيرة فاحضر معه كتبه جميعها (وكان لي أنا أيضا فيها كتب قيمة) وملأ بها وبباقي أمتعته عربة نقل من عربات السكة الحديدية فلما وصل القطار إلى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاما هائلا فلم يسع رجال المحطة إلا أن رموا جميع ما بتلك العربة في النيل ليركب الناس فيها ولم ينتطح فيها عنزان.

وإن شاء القاريء أن يعلم الباعث على اتصال المودة بيننا حتى يعرفت من أمره ما لم يعرفه غيري فذلك إني كنت في أوائل سنة ١٨٨٠ عقيب خروجي من الأزهر مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية فجاءها المترجم يوما زائرا وهناك تعارفنا فمال كلانا لصاحبه وما لبثنا أن تآخينا فتركت المدرسة القبطية وسكنت معه في بيت واحد بعد أن قاسمني التدريس بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية فكان يعلم الإنشاء وأنا أدرس علوم اللغة حتى انفصل منها فتبعته ثم جئنا القاهرة معا وبقينا متلازمين ليلا ونهارا وسفرا ومقاما إلى أن فرقت الحوادث بيننا نحو إحدى عشر سنة ثم اجتمعنا وكأننا لم نجتمع إلالنفترق فإنه

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت * لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

فماذا أقول أم ماذا أكتب في ترجمة رجل طبقت شمعته الأفاق وكان في كل دور من أدوار حياته شغلا شاغلا لأفكار الباحثين وأقلام السياسيين فإن أخبار خطبه وكتاباته السياسية وما تبع ذلك من اختفائه وظهوره والعفو عنه وسفره وإيابه إلى أن أدركه القضاء المحتوم شغلت كل الجرائد الشرقية والعربية حتى صح أن يتخذ مثلا للشهرة بدل النار على العلم . فياليت مبدع الصور المتحركة قد تمكن من نقل صورته ليبرزها لرجال المستقبل عنوانا على أنه نادرة مصر في هذاالعصر أدبا وفضلا

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

أحسن الله عزاء الوطن فيه وأنزل على قلب الوجود لفقده الصبر والجلد أنه على كل شيء قدير.

(القسم الأول)

(منتخبات الرسائل الأدبية)

(وهى مما أنشاه فى أيام صباه)

(لواء النصر في أدباء العصر)

وهي رسالة أنشأها عند دخوله محروسة مصر للإقامة بها سنة١٢٧٧ هجرية وكان سنة إذ ذاك ستة عشرة سنة وقد اجتمع بجماعة من الشعراء والمنشئين بواسطة أديب مصر المرحوم الشيخ أحمد وهبي وقد تعرف منه بستة من الشعراء علم أنهم أدباء العصر على التحقيق فكتب هذه الرسالة في تراجمهم منسوجة على منوال من السجع لا على وتيرة واحدة وهي :

الحمد لله * مولاه * والصلاة على أصل البديع* الشفيع * وبعد فهذه نتيجة * بهيجة* عن ناقل الأكياس * من الناس * روى عن فكره * عن لبه * عن نظره * عن قلبه * حديثا * حديثا * الصدق * منه * والحق * عنه * والدقة* اليه * والرقة * عليه * أنه ركب أفراسه * وثار * واستصحب الفراسة * وسار* يجوب الأقطار * اختبارا * ويترك الأوطار * اختيارا * ويقرأ الجرائد * اكتشافا * وينظر الخرائد * استلطافا * في شرف نفس * عن الناس *على طرف أنس * بلا كاس * لاترده المتاعب * عن أمله * ولا تلهيه الملاعب * عن عمله * حتى ملأ أوعيته * حكما * وعاد أنديته * حكما * وقابل أحباره * ببضاعته * وقص أخباره * على جماعته * فغطوا رؤوسهم* وناموا* ثم قطبوا وجوههم* وقاموا * سكوتا لايتكلمون * من الهم * ومرضى يتألمون * من الذم * فتعلق بالأذيال * وصاح وتحقق الوبال * فناح ونادى بأعلى صوت * أيها الكرام هذا هو الموت * تقومون بلا كلام * مع أني عبدكم * في الخدمة * وعند

عهدكم * في الذمة * ما أضعت لكم مالا * ولا أطرت لكم سرا* ولاعكست لكم حالا* ولا أثرت لكم شرا * زودتموني للسفر * فجبت * وقضيت الوطر * وأبت بكواكب دريه * كلها غرر * وغرائب أدبيه * حليها درر * حسبما أوصيتموني* وقت النحلة * فلم تركتموني * بعد الرحلة * هل بضاعتي رديئة * أم بيعتي نسيئة * كلا لابضاعة أحلى من جوهر العقد * في جيد السعد * ولا أجل بعد النقد * يدا بيد * ولئن أبيتم القبول * بقبح أنواقكم * مضيت بها قبل الذبول * لغير أسواقكم * ثم رحل بها إلى الأسواق المأنوسة * أسواق الأدب * في مصر المحروسة * بستان الأرب * ووضعها بخان * شاهبندر التجار * فحفظها وما خان * وأمنت البوار * إلا أنه لم يعرض البضاعة * على أهل الصناعة * من أول الأمر * بل لزم حده * وسكت مده * على نار الجمر * واستصحب الجلد * ودار البلد * لمعرفة السلع * حتى عرف الجديد من الرث * والثمين من الغث* من الجواهر والخلع * فرأي الناس يتهادون بالمواهب * مع اختلاف المذاهب * في المعاملة * وكل ينادي على بضاعته * ويفتخر بصناعته* حتى يكدر امله * فلا يربح منها غير الكاسد * ولاينجح منهم إلا الحاسد* البليد الحمار * تراه في المشدقه * كأنه في مشنقه * يحاول الفرار * يعارض استاذه* ويفتت أفلاذه * بما يبديه أن دخل على أمير * لايفارق السرير * حتى يسديه * وإن فارق صوبه * جر ثوبه * مهرولا في مشيته * يسلم بالبنان * وينكر بالجنان * ويعبث في لحيته * إن جلس تفرطح * وإن نام تبطح * وإن قام تمطى * وإن تكلم مقت * وإن استفتى سكت * فإن أجاب أخطأ * وما ذاك إلا من عدم الإلمام * والخروج عن مذهب الإمام * والاقتصار على الاجتهاد * فلو اكتسى بالحلم * ولزم أهل العلم * لروى واستفاد * فإن من حاد عن هذا المورد النهل * ورضي بمر الجهل * ضل * ومن اعتمد على

العقل * وازدرى بالنقل * ذل* ولكن صار الجهل شرابهم * فاستتعق البوم غرابهم * لغراب رؤسهم * واتخذوا الطمع أمامهم * فحول الفقر نمامهم * لذل نفوسهم * فقال بئس الصنيع * يتقدم الوضيع * ويتأخر الشريف * ويتطاول اللئيم * في مجلس الكريم * ويذم الظريف * فرجع إلى الشاه الكبير * الجليل الأمير * السيد الشهير * تاج النباهه * بدر الكرام * وراوي الأوام * بل باب السلام* ونفس النزاهة * لسان العرب * ومعين الأدب * عريق النسب * طاهر الأخلاق * روض البيان * ثبت الجنان * حلو اللسان * سليم الأذواق * بفيض المعازف * حبيب المعارف * الغيث الواكف * سمير المعالي * البليغ الرشيد * اللبيب المجيد * العقد الفريد * ناظم اللآلى * انسان عيني * وعين انساني * بل نور لبي * فون لساني * السيد أحمد وهبي * وجلس بين يديه * وأخبره بالحقيقة * إلى آخر القصه * فمال بعطف إليه * وأدخله الحديقه * وداوى له الغصه * بحديث أحلى من الشهد* وأطيب من القرب * وألذ من الوصال * فاستراح من السهد * واقتحام الكرب * في نقد الرجال * ثم استعاده منه * لحلاوة الوعظ * في هذا المجال * ليرويه عنه * لفظا بلفظ * فابتدأ وقال * لكل سلعة قوم * ولكل قوم بضاعة * ولكل عصر رجال * وحالنا اليوم * تزييف الصناعه * وطلب المحال* والعادة أن اعتيدت * صارت طبيعة * لايمكن فوتها * والسادة ابيدت * في المدة البديعة * ومضى وقتها* ولكن على من اجتمعت* وجلست معه * ومن عرفت * وممن سمعت * وكنت تبعه * ومنه اغترفت* هل اختبرت بنفسك* وعلمت أفرادهم * أم اتكلت على الأخبار السائرة* فأن أبناء جنسك* لايحسنون إنشادهم* إلا في الأمور الطائرة * وقد كثرت تجار هذه البضاعة * في كل سوق * وكل ممتري * فهجرت الناس هؤلاء الباعة* ومالوا إلى الفسوق * فقل المشتري * فالتزم كل دلال * أن يحمل على رأسه وكتفه *

ويمشي في طرق غير مستقيمة * ليروج هذه الأحمال * بتزيينه وحلفه * ولو بدون القيمة * فقال أني لم أجيء للبيع والشرا * مع هذه الطائفة الزائفه * وجوب القرى * في المدة السالفة * للأمة العارفه * ولم أدخل بيت أحد * طمعا في فوائد * أو جريا على عوائد * بل دخولي هذا البلد * برسم السيد الماجد * الفرد الواحد * الكامل المؤدب * البارع النجيب * البليغ الأديب * الشهم المهذب * المجيد اللبيب * المحب الحبيب * عزيز الوجود * حافظ[1] العهود* ومنه تعرفت بحضرتكم * وبه تقربت إليكم * ثم أخذت أسأل جرائد الأخبار * عن أهل المعارف والعوارف * فرأيت فيها من عد من الأحبار * وهو من أهل المعازف * أو المناسف * حتى سئمت نفسي * وعلمت أن الأدب عدم صحبه * فقضى نحبه * وتحققت فوت أنسي * وقلت أقنع من الغربة * بحسن الأوبه * والزم وكري * فهو لي جنه * بل جنه * وأجانس فكري وأحسن ظنه * بلا منه * فقال أنك لم تر غير هذا الشهم* سماء اخوانه * وبدر خلانه * وسحاب جيرانه * صائب الفهم * المعنى الوجيز * عبد العزيز * الحافظ المجيز * الواله بالجود * حسن الخلق والخلق * محب الصواب والحق * باب الوفاء والصدق * ذي السير المحمود * والرأى الصافي * والعقل الوافي * والقول الشافي * نعم وإن كان شمس الإماره * ومعدن الكرم * وثابت القدم * بل المفرد العلم* إلا أنه لم يجلس لهذه التجاره * وإنما هو ذو مقام عالي * يشتري اللآلي * بالثمن الغالي * وإلا فصناعها في هذا المصر * كثيرو العدد * قليلو الرشد * عادمو المدد * لا لفقد المشتري في هذا العصر * بل لسعي الأجلاف * في غش الأصناف * مع عدم الانصاف * فشقي كل بفعله *

---

(١) إشارة إلى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ

وانكسر جمله * وخاب أمله * وضل عمله * فلم يبق منهم على أصله * سوى من لاذ به البديع والتجا * ولم يرض منه بمسكن غير الحجا * حتى أمن من السفلة ونجا * من رضع قلمه ثدي البيان * فجرى في بحر الأدب وخط * وسار بالسلامة من شط إلى شط * ولم يدركه عطب قط * فنظم فكره عقود الجمان * وحلى بالدرر * النحور والغرر * بل الطرر * العالم المدقق * بدر هذا العصر * ولسان الأدب في مصر * السيد على أبو النصر * زكي محقق * أمام كبير * حافظ خبير * ليس له نظير * فإنه إن تكلم أوجز * وإن أنشأ أعجز * وان وعد أنجز * وان سكت هابته القلوب * ليس في مجلسه شغب * بل كله طرب * في أدب * بكل أمر محبوب * وفيه من حسن الأخلاق * ما تتحلى به الأنواق * بل الأطواق * في الرقه* وعنده من المعاني * حصن الأماني * محكم المباني * بكل دقه * فهذا قوى الجلد * طاهر الخلد * أديب البلد * أبو الفصاحه * ابن الشرف * وخدن التحف * مباهي السلف * بحسن السماحه * نظمه نظم اللآلى * ونجمه بدر المعالي * وحظه مدح الموالي * وحليه النوق السليم * والطبع القويم * يقول الزجل * على عجل * بلا وجل * بأفصح لسان * وبالسجع * يداوي الصدع * ويشنف السمع * بأوضح بيان * - ويليه صاحب الحماسه * والفطنه والكياسه * روض البديع * وثمرة أفنانه * مجلي عرائس الأبكار * في خدور الأفكار * لكل مقام رفيع * من قومه واخوانه* الذي طلع في سماء المعارف شمسا* وطاب برقائق الأقوال نفسا * وأوضع العلم لليراعه * فنطقت بأحسن براعه * زاحم من تقدم حتى جلس في الصدر * وسهر الليالي حتى رأى ليلة القدر * ففاق الجماعة * في هذه الصناعة * تمشى المعاني تحت ظل ركابه * وتجري البلاغة طبق أمر جنابه * فإنه زينها حتى تحلت * وزفت في الوجود وتجلت * خاتمة أهل الأدب * وقاموس لسان

العرب * من سحت سحب معانيه فأروت * محمود أفندي صفوت[1] فهو المشار إليه بالبنان * المنفرد بالبيان * في الرقائق الأدبيه * والمحاسن العربيه * لم يلحقه في هذا الميدان فارس * ولم يدرك معارفه ممارس * وانسجام البديعيه * يقضي له بالأفضليه * مع بقية غرائبه الشهيره * وكواكب سمائه المنيره * التي شهرت للعيان * فأبصرها العميان * لاينكرها إلا الجاهلون * ولايعقلها إلا العالمون * ويليه الشاب الذي غرس غصن القريض فأثمر * وأطلع هلال البديع فأقمر * وفوق سهم الإجادة فأصاب الغرض * وعالج جسم العروض حتى نفسه من المرض * اللوذعي السري * المدره الجري * مجلي من خدور أفكاره كل بهنانة رعبوبه * ومبدي للوجود كل آية أعجوبه * المرجف بفخامة لفظه قلوب المران * والمخرس بجزالة نظمه السنة الخرصان * من رق حتى استعبد حر الكلام * وعف حتى تشربته قلوب الكرام * ان جلس للانشاء جثا سحبان على ركبه * وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه * غيث البديع الهامي * محمود بك سامي[2] * - ويليه بستان الكلام * وعنوان الكرام * الشاب الذي شمر عن زند الفهم وحسره * وحمل على جيش المعانى فأسره * البارع الذى فاح عطره على المعارف فنشقته * ورأت بنات الأفكار جمال ذهنه فعشقته * الفاضل الذي ألفته اللغة العربية * وعرفته المعاني الأدبية* فطلع في سماء العلم بدرا * وجرى في فيافي الفنون بحرا * الأديب الذي سمعه بلبل الذوق فأفصح * ورآه زهر البديع ففتح* ولزمته المحاسن لزوم النور للبدور* وهامت به المعارف هيام النفوس بالسرور * خد البديع المورد القاني * الشيخ أحمد

---

(١) الشهير بالساعاتي السكندري أصلا .

(٢) محمود باشا سامي البارودي رئيس مجلس النظار في الحوادث العرابية ونزيل سيلان الآن.

الزرقاني- * ويليه الأمير الذي دعا الأدب فلباه * وسياسه حتى رباه * فظهر للوجود بدرا * ما به أفول * وغصنا لم يعتره ذبول * فهو بين أهل الصناعة الرئيس * والجوهر النفيس * نظم من المباني أرقها * ومن المعاني أدقها * الشاعر الناثر * المجيد الماهر * من غاص بحر الأدب واستخرج الصدف من قاعه * وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه واتباعه * عقد جيد الزمان الفريد * محمد بك سعيد[1] فإنه امتد في البلاغة باعه * فأعيا معاصريه اتباعه * - وأفضلهم بستان العلم * وزهر الحلم *مجري جياد أفكاره في كل ميدان * محلي بجوار ألفاظه كل ديوان * رامي نبال وعظه إلى الاحشاء * ومفوق سهام بديعه إلى الانشاء * حامل لواء العلوم العقليه * وقائد جيوش الفنون النقليه * مطلع شمس الأماني * ومبارز فرسان المعاني * الهمام الذي أن أطنب أطرب * و إن أعرب أغرب * اللوذعي الذي إن ألف * لم يتكلف * بل يجعل الانسجام * زينة الكلام * وإن نثر كر بهجوم * على سرايا النجوم * فالنثر كتاب هو عنوانه * لويه ملك والنظم ديوانه * نفث في المعاني نفثة ماهر * لا نفثة ساحر * وخدم الفنون خدمة مجدي * لاخدمة مكدي * ورواه الصدق بنهله * حتى اعترف بالفضل لأهله * من ملأت من دنان أدبه اقداح سكري * عبد الله بك فكري[2] فهو واحد الدنيا * وممتطي العليا * فهؤلاء هم تجار البيان * ونبلاء الزمان * لاتنشر الرقائق إلا عنهم * ولاتقتبس المعارف إلا منهم * ومن عداهم رعاع * لم يضيء لهم شعاع * يسرقون الكحل من العيون * ويمزجون الجد بالمجون * فساق في صفة عباد * وسفلة في هيكل زهاد * ثياب منقوشه * وعمائم منفوشه * (واعباب) كبيره * ممتلئه كبيره *لايعرفون من العلم إلا اسمه

---

(١) نجل المرحوم جعفر باشا مظهر .
(٢) المرحوم عبد الله باشا فكري ناظر المعارف المصرية سابقا .

* ولا من الأدب إلا رسمه * فإن رأوك على بساط الأدب تطفلوا * فإن أخذت في البحث تنصلوا * على أن شهرتهم أكبر من الاجرام * ولحاهم أطول من إلية الأغنام *فعلمت أنه التزم الصدق * وقال الحق * وعجبت من حسن قريحته * وشكرته على نصيحته *.

(التنور المسجور)

وهي رسالة وضعها أيام صباه أيضا في المفاخرة بين السفينة والوابور وكانت مسودتها قد تمزقت وبقى منها جانب اعتنينا بتبيضه وإن لم يكن تاماً حرصاً على ما فيه من الفوائد قال:

حديقة معاني * ونادي مغاني * وبستان أفكار * به قصور أبكار * وجياد تجري بفوارس الألباب * وعروس تجلي وكانت دونها أبواب *

تسحر اللب ان تامل فيها * بمعـــان تمر خلف معاني

رافعات على البديع بنودا * ساحبات على البيان يماني

مثل جيش اجابه النصر يوماً * فتوالى كـــأنه الملوان

فكاهة نفوس * وزينة طروس * هزلها أدب * وجدها طرب * ان سئلت أوجزت * فان سألت أعجزت * لو أقمت لها حكماً * وجدها كلها حكماً * بكر ما نُيط عنها سجف * ولطف مركب من لطف * لايمل منها ناظر * ولاتسمها الفكر * لم يحم حولها فهم * بل ما ترقى لها وهم * ولا تصوَرها عقل * ولاحواها نقل * محاوره * في مفاخره * تأليف عجيب * وتركيب غريب * سر ضاق به الصدر * وصبح نم عليه الفجر * بحر كله درر * وأنجم كلها غرر * بل روض كله ثمر * وسماء ما غاب لها قمر * سفينة مشحونة برقائق * وساعة لم يخلها الدهر بدقائق * اكليل بديع رصعه الفكر بجواهر * وبدر تم باتت لها

الألباب سواهر * ولست أعني بها جواهر لعبت بها القيان * ولابدورا سترها الكسوف عن العيان * وإنما هي عقود سلوكها لطائف * في جيد آداب تخدمها من ابكار المعاني وصائف * الطف من النسيم في الرقه * وأحكم من الفكر في الدقه * وأفصح من قلم روى حديثه عن المحابر * وأوقع في النفس من خبر دعا أميراً * إلى المنابر * تتزاحم فيها المعاني مزاحمة الشفاء للأمراض * وتحن إليها النفوس حنين السهام إلى الأغراض * بكر صداقها الصدق * وأنسها الرجوع إلى الحق * لا يكشف لثامها * ويفيض ختامها * ويحظى بوصلها * ويفتخر بأصلها * إلا من رغب في صحبتها * فبادر لخطبتها *ليرى نفاسة حليها * وبراعة وليها * فإنه قال

أرسلت فكري في ميدان المفاخرات * ودخلت به حومة المحاورات * فرأيت كل ضد زاحم ضدا * وكل لبيب نظم منهما فرائد وعقدا * إلا السفينة والوابور فانهما لم يتفاخرا في جمع * ولا حاول ذلك بينهما فكر ولاسمع * ولا حواه منقول ولا مأثور * وليس لهما ذكر مسطور * فسرحت في حالهما النظر * وأطلقت فيهما سراح الفكر * فرأيتهما جلسا يوما للمناظرة والفخر * وقابل كل صاحبه بقلب كالصخر * وطلبا الركوب للبراز * والدخول في ذلك المجاز * فشمرت السفينة عن الذراع * وسحبت طرفها ونشرت الشراع * واعتدلت ومالت * وابتدأت وقالت

حمداً لمن اسبغ على عباده جزيل الانعام * وسخر لهم من فضله السفن والانعام * وجعلهما مطيتين لحمل الارزاق والأثقال * وحافظين للذخائر عند السفر والانتقال * وامتن بهما على عباده وهو عليم بما يصنعون * فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون * وصلاة وسلاما على من أسفرت أسفاره عن عظيم أخلاقه * فانفتح بتوجهاته الشريفة باب السياحة بعد اغلاقه * وآله وأصحابه

الذين تحملوا في الغزوات مشاق البرد و الحر * واقتحموا في نصر دينه عقبات البحر والبر * وبعد فإن المخترعات في الدنيا كثيرة *وقد صارت سهلة بعد أن كانت خطيره * ولكن من المعلوم لكل عاقل * عارف بأحوال الأوائل ناقل * ان شكلي أول غريب ابتدع * واحسن عظيم اخترع * ما تقدمني سوى الحيوان والكواكب* وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب * وكان البحر قبلي ظلمة ما طلع لها فجر * ولا انشرح لها صدر * بل غرضاً ما أصابه سهم * ومعنى ما ترقى له وهم * حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعي * وعلمه تركيب ضلوعي عند جمعي * فبذل في جهده * وباشر عملي وحده * وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فقال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولاتخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون * فاستمر حتى أتم عمله * وحقق رجاءه وأمله * وأنزلني البحر عروسا * وأطاب بي نفوسا * فتلقاني البحر على راسه * وجريت بين روحه وأنفاسه * وصار كل غريب حاضرا لدي * وكلما تلاطم البحر ضربته بيدي * لاترهبني منه الأمواج * ولاتردني عنه الأبراج * أحمل الذخائر والارزاق * وأجمع الأحباب والعشاق * ومع ذلك فإن أصلي معدن الثمر * ونزهة الأرقاء عند السمر * فمن له أب كأبي * ومن قبلي صنعه نبي * فمجدي شامخ ومجد غيري متهدم * والفضل كل الفضل للمتقدم * فالتهبت احشاء الوابور بفحم الحجر * وصعدت أنفاسه مشوبة بشرر * وزمجر وكفر * وصاح وصفر * وجرى حتى خرج عن الشريط * وقال السكوت على هذه من التفريط * ثم كر بعجلة وجال * وابتدأ رادا عليها فقال *

الحمد لله خالق كل موجود * الذي شرفني بالذكر قبل الوجود * حيث امتن على عباده بخلق عليها يحملون * ثم قال ويخلق مالاتعلمون * ويستأنس لي

بقوله وخلقنا لهم من مثله مايركبون * ولايغفل عن ذكري إلا الجاهلون * والصلاة والسلام على من تكلم بالمغيبات من غير شك ولا التباس * المنزل عليه وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس * وأصحابه الذين اتخذوا من معدني دروعا وتيجانا * وقاتلوا بها حتى أظهروا دينا وأرضوا ديانا * وبعد فالوقوف عند حد النفس انصاف * والخروج عنه من قبيح الأوصاف * الفخر لايكون إلا عن كبر أو غباوه * وهو أول داع للحرب والعداوه * فكم أثار حربا وأضرم نارا * وكم هدم قصراً وأباد دارا * ولكن شر أهر ذا ناب * وكوة فتحت بها أبواب * فإني ما كنت أظن أن السفينه * الحقيرة المسكينه * تخرج من الاجراف * وترفع في وجهي المجداف * ولكن قد يلقى الإنسان ضد أمله * والمرء مجزي بعمله * ومن سل سيف البغي قتل به * وأهم أمريك الذي أنت به فانتبه * فقابل أعداءك بأردا الحجاره * واياك أعني فاسمعي ياجاره * فإنك وإن كنت أول عمل للخلق * وصناعة نبي بوحي الحق * إلا أنك حمالة الحطب * قريبة العطب * ان هبت عليك نسمات * هلك من فيك ومات * وان كتبت لك سلامه * فلا حبا ولا كرامه * وان كسر ضلعك فار * علا فيك الماء وفار * بم تفخرين وأنت مكتفة بالحبال * وخدمتك ينادون بالوبال * إن سلكت طرق الامن ارتجفت القلوب * وان ساعدتك الصبا اهلكتك الجنوب * تغرقين ان زاد عليك (طرد) * وتهلكين ان نزل عليك (شرد) * فان أبيت السير سحبوك على وجهك * وان كلوا تركوك وباتوا على قلبك * ما أقبح أصوات الأوباش * حين يصعدون لسحب القماش * وما أفظع تلك الضجه * (اذا شحطت) وسط اللجه * كم عقت محبا عن حبيبه * واحرمت تاجرا من نصيبه * وكم جعلوك مطيه للفساد * وآلة لهلاك العباد * فان كنت ذكرت في الكتاب صراحة فقد ذكرت ضمنا * وان ظهرت قبلي لفظا فقد كنت معنى * ما تأخر لتاجر عندي سبب * ولاحرم

من صاحبني بلوغ أرب * طريقك معوج وطريقي مستقيم * لايملني صحيح ولا يسأمني سقيم * فسحبت السفينه (المداري) * وقالت له (باري باري) * كم تعرض وتصرح (واصفح واصلح)* ولكن مهلا يا أبا لهب * فقد خرجت عن الأدب * و لابد ما (ارسي) على برك * واحرقك بلهيب جمرك * حصرت بين (عجل وقضيب) * ووقعت في حميم ولهيب * وتغذيت (بالخشب والفحم) * وتفكهت (بالزيت والشحم) * وتولعت (بالمشاقة والكهنه) * وتحليت (بالنقش والدهنه) * وتمكن الغيظ فيك وانحبس * حتى صار فيك (نفس) * وجئت تقول اني حمالة الحطب * وانت حمال النار واللهب * واني قريبة العطب * وانت أبو البلايا والكرب * ان جريت فضحت عرضك * وان وقفت تاكل بعضك * وان صدمك شيء هلكت * ووقفت وما سلكت * وان كسر (ذراعك) وقعت * وقليل ان طلعت * وان دخن أنفك تعمى صورتك * وان ظمئت يوما طقت (ماسورتك) * تجري في الخلاء والقفار * وتقول النار ولا العار * ما أوسخ رجالك * واضيق مجالك * يامفرق الأحباب * ومفزع الركاب * غريقي أرجى من حريقك * وبحري أنجى من طريقك * كم هرست من شخص وطحنت من حيوان * وخلفت راكبا وتركته حيران * وكم جعل رجالك الناس مسخرة * اذا لم يجدوا معهم (تذكره) * وكم أضعت على تاجر فلوسه * اذا فقدت منه (بوليسه) * أعلى غير (الشريط) تجري * فضلا عن لجي وبحري * ادخل نفسك في (مخزن الوفر) * (وفضك من النفخ والصفر) تفتخر على أغصان الطعوم * وأنت (حديد يامشوم) ولئن سرت على (عجل) * فقلوب أهلك في وجل * أما علمت ان العجلة من الشيطان * وان الباغي جزاؤه النيران * شغلت بالأكل والتمني * ففاتك الرفق والتأني * وبالجملة فاني سابقة هذا الميدان * ولا ينتطح فيها عنزان * فتحرك الوابور تحرك ناقد * وتنهد تنهد حاقد * وقطع (قطره) وأبى (شحنا) * وقال

أسمع جعجعة ولا أري طحنا * أبعوض تطن في أذن فيل * وصورة تعد في التماثيل * ولكني قد أبيت مخاطبتك وعفت * وكرهت وجهك المدهون (بالزفت) * فإن حالك حال الحيران * وصباحك صباح (القطران) * وكيف أفاخر امرأة عقلها في (موخرها) * وهلاكها في تمزيق منزرها * تقاد بحبل طويل * وتنقاد لأدنى (عويل) * يديرها (شاغول) * وفكرها مشغول * تتبع هواها في السير * ولها جناح كالطير * أمية وفيها (قاريه) * ويد عاجزة لها (باريه) * ثالثة العيرين في ذل (الوتد) * حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد * ١هـ

(طالع الكرامه بحسن السلامه)

وهي رسالة كتبها إلى أستاذه المرحوم الشيخ محمد العشري وقد بلغه أنه كان راكبا عربة مع بعض الناس في زمن المطر فوقعت به العربة ونجا الشيخ سالماً وأصيب الذي كان معه فكتب اليه بعض الاخوان من الاسكندرية يهنئه بسلامة الاستاذ وكان اذ ذاك بينهما فكتب إلى الشيخ هذه الرسالة وهي سجعات مختلفة الأوضاع والأوزان من مبتكراته كما سيظهر للقاريء .

منحتنا اللهم سلامة الروح فلك الحمد على هذه المنحه * حمداً بلا عد * ووهبتنا صحة لب البيان فلك الشكر على هذه الصحة * شكراً بلا حد * يلوح بدره * ويفوح عطره *** روح هو عين الحياه * ومدد العقل * ولب هو منطق الشفاه * وسند النقل * طال عمره * وجال أمره *** غذاء النفوس * وبهجة المهجه * ونورالشموس * ومهجة البهجه * أمنا سره * وعمنا بره *** استاذي وقدوتي * وعين بشري * وملاذي * وعمدتي * محمد العشري * قام ذكره * ودام شكره ** سيدي * ومجيري * ومؤيدي * ونصيري * يخصك التحيه *** غرس بستانك * وغصن رقتك * وزهر احسانك * وثمر دقتك* الطيبة الشهيه *** ويهدي لسيادتك * الرفيعة الشريفه * ويعرض لسدتك * المنيعة المنيفه* سلام لسان وجنان *** ويميل لرأفتك* وعظيم فضلك * بل إلى رحمتك * وعميم عدلك * ميل حيران ولهان ***.

رمي بالعناء يطول التنائي * على أنه مخلص في الوفاء

لعبت به الأشواق * في مصارع العشاق * لعب الراح * بالأرواح * في مجلس الأنس * وجرت به الاتواق * في ميادين الانواق * جري السحاب والارواح * في حومة الشمس*** وقاد الهيام * إلى باب السلام* فظللته

الارواح * وطابت النفس * حـتى طرق البـاب* وتقـدم للجناب* فكتب في الالواح* مزيل اللبس ***

صار عين البديع بحرالمعاني * باب كنز الفنون سر البيان

وما زلت تغمسه في ألوان الفنون * حتى انصبغ * وتنشده الجد والمجون * حتى نبغ * وجرى خلفك * في ميدان النباهه * وصار الفك * في العفة والنباهه*

قد كابد الصبرحتى صار مطعمه * لا يسأل الناس الحافا والحاحا

إن تكلم بلسان * فبيان* من جنان * وان خط ببنان* فباحسان* عن عرفان* وان انتسب * فنعم النسب * مع الحسب* ولاعجب* فالى العرب* فن الأدب*

أباؤه الغر أهل الجود والكرم * وكلهم غاية في الحلم والكلم

ربيت فأحسنت * وغذيت فأسمنت * مؤدبا ليثا*** ولنت فسودت* وجدت فعودت * مهذبا غيثا*** وعلمت فأفهمت* وأشرت فألهمت* غرض سهمك*** وقد نلت ما املت* فيمن عليه عولت * بحسن فهمك***.

غلامك الشهير بالنديم * من صار في البيان كالنسيم

وكيف لايكون لساني قوس البديع * وكلامي السهم السريع * وانت باريه وراميه*** أم كيف لايكون مقامي الحصن المنيع* وقدري العزيز الرفيع* وانت معليه وبانيه*** فوجه جمال العلم انت غرته* وإنسان عين الحلم انت قرته * حاليه وجاليه *** وجبين العقل انت طرته* وكتاب الفضل أنت صورته* وطاليه وتاليه ***

على بابك العالي من الفضل راية * على رأس أرباب المعارف تخفق

فعلمك جنات وحلمك جنة * وكلك خيرات وغيثك مغدق

أرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه * من الفضل عريانا وغصنك مورق

اذا رمت انشاء فعن صدق فكرة * تهادي بأبكار وغيرك يسرق

ثم أنهي لفضيلتك وحضرتك السنيه * ما وصل اليّ *فلوجب الشكرعلي * مادمت حيا *** وهو سلامتك من تلك البليه * بمعرفة العربيه * وقد وقع في الري* من أدركه العي * ولم يع شيا*** أدخله التقصير * في جمع التكسير * فكنت في جمع السلامه* تحية وكرامة * اذ كنت تقيا*** وظهر تراعه الكسير* ظهور الضمير * ومذ رأى أولاده آلامه * وفهموا كلامه * صاحوا بكيا***

قد أتى أهله فساءت دياره * اذ وهت رجله وبانت يساره

ولو جاءهم الخبر * في الابتدا * لطلبوا الفدا * وقالوا انقبر * هل للصدى * رد الندى * ولو سلك الفحل * طرق الهدى * أمن الردى * وما وقع في الوحل * وترك العداء تجلو الصدا * فالحمد لله على السلامه * والنعمة والكرامه * اذ انقذ عمدتي * وانجد منيتي * فانه باب السلام * وبدر التمام *.

(نار الغدو وثار العدو)

وهي رسالة من غرائب المنثور فإنها سجعة وآية قرآنية مع تمكن الدخول على الآية من غير خروج وقد كتب بها إلى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ تنبيها وايقاظا حينما رآه يجتمع ببعض المغاربة ويشتغل معهم بخرافات باطلة واوهام ما أنزل الله بها من سلطان

لاحول ولاقوة إلا بالله * اشتبه المراقب باللاه * واستبدل الحلو بالمر * وقدم الرقيق على الحر * وبيع الدر بالخزف * والخز بالخسف * وأظهر كل لئيم كبره * ان في ذلك لعبره * سمعا سمعا فالوشاة ان سعوا لايعقلوا * ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا * فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر * وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر * وكيف تسمع الاحباب لمن نهى منهم وزجر * ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر * عجبت لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون * فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون * فقابلوهم بنبال الطرد في الاعناق * حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق * أيدخلون بما لاينفع * في بيوت اذن الله أن ترفع * سيعلمون مقام الهبوط والعروج * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * ويقولون اذا لم يجدوا ملاذا * ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا * فإنهم عزموا على الإقامة مده * ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عده * وانت ياعزيز العليا * ووحيد الدنيا * قد بينت لك فعلهم * فيما رحمة من الله لنت لهم * ولكنهم طعموا في عميم طولك * ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون * لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون * لهم قلوب لايدرون بها للحسد قرارا ً لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا * واني قد شيدت لك بقلبي حصنا صعبا * فمااسطاعوا ان يظهرون وما استطاعوا له نقبا * نسيت بالعاذل جميل الصوت وأنكره * وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره * رميت ايها العاذل بسيف الغدر في نحرك * اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك * فإن لم ترجع عن السحر وفعله * فلنأتينك بسحر مثله * كيف يسعى العاذل بين النديم والفه * وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه * فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب * ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب * واجعلوا سيف ثباتكم للعذال

مبسلولا* وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا * فإنهم ان قالوا كذب النديم او بطر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * وما قد صار أمر الحزبين عندك جليا * أي الفريقين خير مقاما واحسن نديا * أتظن عهد العاذل عند غضبك لاينكث * مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث * على انه لكم عدو كبير * ففروا إلى الله إني لكم منه نذير * فإنه جمع لقتالك الأولاد والاحفاد * وآخرين مقرنين في الاصفاد * تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه * وظني ان وصل اليك كتابي انهم يطردون ويردعون* وحرام على قرية أهلكناها إنهم لايرجعون * ايعجبك اذا مشى هذا اللاه * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله * وانك وان فرحت بعلم مايجهلون* قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون * فإن قلت ان اجتماعي بهم لاجل الصدقة او شيء من هذا القبيل * إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل * على أنه لاتحل الصدقة لدميم * هماز مشاء بنميم * وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذره * كأنهم حمر مستنفره * فرت من قسوره * وقد قال وفائي خاطب عزيزك هذه المرة وان لم يعمل فيك فكرا * وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى * فقال لساني إن الود هو الرسول المأمون * فارسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون * فقلت سيروا مع المحبة ذات الفتوه * ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه * وقولوا له عند الغايه * قد جئناك بآية * ولاتهابوا جيش الاعداء وان كبر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * ولا تظنوا من ظاهر الأمر حلول البلوى * اذا انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى* بل قاتلوهم قتال المستشهدين* وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين * واذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه* وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله* فسيروا ودعوا الاولاد والجنه*

وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنه* ولاتسألوا عن الميرة من أصله* وإن خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله* فإن الله قد أثاركم لقتال العذال العائبين * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين* واحملوا عليهم فإنهم متى طعنوا في جنوبهم* رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم* ولاتدبروا اذا أريتموهم اقدامكم* ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم * وان أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها* فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها* فإن أطعتم رفعتم واصلح الله بالكم * وان تولوا يستبدل قوما غيركم* ثم لايكونوا أمثالكم * وسائلو في خطبتكم عند قدومكم سالمين* فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين*.

(استعطاف المقرر قلب المحرر)

وهي رسالة مسجوعة بعث بها إلى المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحيم محرر الوقائع المصرية سنة ١٢٨٩وسببها أنه كان قد نظم قصيدة بديعة في مائة بيت وخمسة ضمنها وصف الافراح التي قام بها ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديو الاسبق لانجاله احتفالا بأهلهم وقد أتي فيها على شرح ما جرى في تلك الافراح بالتفصيل وارسل بها مسودة إلى ذلك الشيخ لينشرها في الجريدة الرسمية فتداخل بعض حساد النديم وكلفه أن لاينشر منها إلا القليل فنشر منها سبعة أبيات فقط ومزق المسودة فضاعت ورقا وحفظا وكان مطلعها

بيت السعادة مطلع الافراح * دامت سلالته غذا الارواح

وشطرة التاريخ (نورالخديوي ادوم الافراح)

أما الرسالة فهذه هي :

راكب جياد الآداب * في ميدان المعاني *ومطلع بدر الالباب * في سماء الاماني * وباري قوس الملح * لصيد البيان* ورامي سهم المنح* لغرض

التبيان* ومنتضى سيف الايضاح* لحسم المشكلات* ومفوق نبل الافصاح* لفصم المعضلات* لسان سمر* مطرب العقول بلفظه* في ثغر قمر* يشرح الصدور بوعظه* لزم الأدب لزوم الممنوح للشكر* فخدمته البلاغه* وقام بالانشاء قيام المعاني بالفكر* فأحسن الصياغه * فما ترى إلا جواهر في جيد عرائس * تجلى على الأذهان* وكنزا ينهب منه النفائس * إنسان كل انسان * ان قلت نبيه في فصاحة سحبان* خطاك حسن نسج لسانه * أو قلت بلاغة زياد بن أبي سفيان * كذبك لطف تطريز بنانه * وإنما هو سر ضاق صدر الأدب عن كتمانه* فاظهرته البراعة ظهور البدر * وكتاب بديع عرف بعنوانه * كما عرفت بالنور ليلة القدر *فإنهم وان تقدموه في الوجود* فكم تقدم الصباح فجر كاذب * وان حازوا أصول البلاغة والجود* فكم سبق العروس خاطب* كيف وهو ثمر أفنان المعاني* وزهرها العاطر * وبدر سماء التهاني* وغيثها الماطر* مجلي أبكار الأفكار * على كل كفؤ نبيه كريم * فمن يتوهم الانكار* على مخاطب أحمد عبد الرحيم * محرر الوقائع المصرية* و حافظ الحوادث العصريه* وما على النديم اذا وقف ببابه* كباقي الشعراء* وعرض على رحابه * تهنئة الامراء* أظنه يحظى بمشاهدة جلاله* ويتروح بتلك البدائع* ويذكر في طبقة أمثاله* ضمن صحف الوقائع* فإني أمرت بذلك وما تكلفت* كبعض الطفيليه* فقالت فكرتي هلا نظمت درا والفت* في الحضرة الخديوية * أما ترى سماء اجلاله * وسحبه الصيبه* منيرة هامعة بانجاله* في حياته الطيبه* انظر إلى الافراح* في ديار مصر* وابتهاج الارواح* في رحاب القصر * ألست مستظلا بهذه الدوحة العظيمة* دام ظلها* وغارقا في بحار نعمها العميمه* فاض نيلها* ألم يك أحب اليك * أن تشمر عن الذراع القصير * ولابأس عليك * فلك أسوة بكثير

وما عليك اذا ماقلت تمدح من * في مدحه يحسن الانشاء والكلم

فما أراد بليغ مدح سيده * الا تسابق فيه الفكر والقلم

فثرت وحقك من نومي بهمه * كأني عثرت على كنز لآلي * وصرت أهجو التأخير وأكثر ذمه * على فوات تلك الليالي * ولكني رأيتني ان دنوت من القول شبرا أخرتني الاشغال ميلا* فيغيب بدر فكري في محاق الافول* فان ذكرت نزرا من نعم سيدي أو جميلا * أرى الذهن صفا ويحب أن يقول* وما زلت على هذه الحال* عدة أيام* لا أذوق المر والحال* ولا طيب المنام* فناداني لبي عند ذكر الطول* وقال ما هذا الاهمال*

(جبنت وماعهدتك بالجبان)

فقلت له اذا الزمتني القول * مع ملازمة الاشغال*

(أنر لي فكرتي وألن لساني)

فوربك لقد رأيتني تحن إلى المعاني حنين السهام إلى الأغراض* في ملاعب فرسان* وتزاحمني الغرائب مزاحمة الشفاء للأمراض* في مسالك أبدان* فقمت بليلة طلع بدرها وقت الأصيل* فلم أر فيها ظلمات* حتى مال علي الفجر بخصره النحيل* وما بقى إلا كلمات* فشربت على ذكر سيدي راحات الراحات* برهه * وأجلت فكري في تلك الساحات* نزهه * فرأيتني تلثمت من شراب تلك النعم * حتى كاد يفترسني النوم* فما نمت ولاسعت لي قدم* في صباح ذاك اليوم* بل قلت لابد للسكران من كاس * لعله من سكره يفيق *. فأردفت كاسا بطاس* على محبة ولي عهدنا توفيق* ثم ملت إلى شراب خدمة صدقها اصفى من اللجين * تستدعى لشربها الصالح الحليم * فسكرت في

مدح دولة الوزراء حسن وحسين * وأصهار الخديوي طوسون وابراهيم * ومن سكري بحبابهم* وشكري لجنابهم * ما قمت ولا ارتحلت * حتى أتممت ما ارتجلت * وسميتها خدمة المملوك * في تهانيء الملوك* وهي بفضل الله بمدحهم وافيه* وان صعبت القافيه * وكنت قد أرسلتها بجملتها إلى ناديك* لتنشرها* فاضم هذه اليد إلى أياديك * واشكرها* ولكن خاب الأمل* بتعرض الحاسد* المتشاعر * فقل لي ما العمل* أيها الواحد* فإنك أمر* لا أرى سبيلا للوصول* غير العتاب* فقد ضاعت الأصول* وأغلق الباب*.

(درر النحله وغرر الرحله)

وهي رسالة بعث بها من الاسكندرية إلى صديقه الشيخ أحمد وهبي :

لك الحمد ياموفي كل عامل أجره* والصلاة والسلام على صاحب الهجره * وبعد فقد ألهمني خير من رحم * السعي في صلة الرحم* فخرجت آخر الصوم وقت العصر * من المحروسة مصر* بوابور يقطع الطرق قطع الصواعق للجو * والغيث للنو * كلما أطعموه نفر* وزمجر وصفر * حتى اذا التهب قبسه * وطلع نفسه * أرسل الدخان خلفه نوائب* والاخبار أمامه جوائب * ثم نبه رفقته للسير* وحثها على الطير[1]* وسار ولكن بحساب* وهي تمر مرالسحاب* فما ندري اهو النعمان يوم عبوسه* أم الحجاج يمر على حبوسه* أم عنتره يكر على آسر عبله * أم الكسعي يشفع قوسه بنبله * أم جبان رأى الصمصامة في يد عمرو * أم سياف صدر له من الخليفة أمر * تارة يرينا حملة عليّ على ابن ودّ* وهجومه على باب خيبر وقد سد * ويقول خذوا من

(١) المراد برفقته العربات المقطورة خلفه

اندفاعي* كيفية سير الأفاعي* فلم نعلم ابساط الأرض يطوي على عجل * أم ليالي الأنس تسرق الاجل* فانا كنا لاننظر في هيئته* ونعجب من مشيته * إلا وقد عدل عن السير وكف * وأدرك المقصود ووقف * اذ ذاك يضيق عليه المجال * لكثرة النساء والرجال* والاطباء تجس نبضه* وتتعهد طوله وعرضه * فإن وجد فيه اختلاج* بادروه بالعلاج* حتى اذا صح السقيم* وأخذ شهادة الحكيم* ودع القوم وثار* وأرسل العنان وسار * وأنا أقول فيه * لأكون من واصفيه *

نظرالحكيم صفاته فتحيرا * شكلا كطود بالبخار مسيرا

دوما يحن إلى ديار أصوله * بحديد قلب باللهيب تسعرا

ويظل يبكي والدموع تزيده * وجدا فيجري في الفضاء تسترا

تلقاه حال السير افعى تلتوي * أو فارس الهيجا أثار العثيرا
أو أكرة أرسلتها ترمي بها * غرضا فجلت لن ترى حال السرى
أو سبع غاب قد أحس بصائد * في غابة فعدا عليه وزمجرا
فكأنه المديون جاء غريمه * فانسل منه وغاب عن تلك القرى
أو انه شهب هوت من أفقها * أو قبة المنطاد[1] تنبذ بالعرا
لاعجب للنيران اذ يمشي بها * فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وما زال يقوم من محطة بعد محطه * وهو على نسق لايخالف خطه * حتى شممت الشذي العنبري * من النسيم السكندري * فتحركت الاعضاء واضطربت * وأحست النفس بالسرور وطربت * وتلعثمت تلعثم المخمور * وحرت حيرة اليحمور[2] * وزناد الانس ان قدح أذكى * وهكذا السرور ان زاد

---

(١) المنطاد هو البالون

(٢) اليحمور حيوان اذا رأى الماء دار به حيران ولايشربه .

أبكي * وما زلت أشرب السرور شيئا فشيئا * وافترس القصور هيئة وفيئا * حتى مزجت بالفرح * وتناساني الترح * فحصرت عن أن أقول شعرا * أو أكتب نثرا * بل اقتصرت على التمتع بنورها الطبيعي * وتروح الفكر بشكلها البديعي * فإنها نزهة نفسي * ومركز أنسي *

(وأول أرض مس جسمي ترابها)

فلما انجابت عني الكروب * ودخلتها وقت الغروب * وجدت السماء عابسة إليها * والمزن حاقدة عليها * ترمقها بعين الانتقام * وتوبخها على فوت النظام * والذي أدركته من كلامها وسمعته من ملامها * قولها : أيها الثغر المحروس * العامر المأنوس * جوك لله الحمد منير * وخيرك دون الثغور كثير * وبيوتك في غاية النظافه * وطرقك في نهاية اللطافة * ودرجة الكسب فيك عظيمه * وعاقبة الامور بك سليمه * وخيرك لم يكن قاصرا على القريب * بل هو متاح له والغريب * والصحة فيك سهلة الحصول * إذ كنت معتدل الفصول * وفيك من الرياض والبساتين * ما هو جنة للناظرين * وحولك نهر وبحر كالحرس لك وقت العجاج * هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج * وفيك من قديم المصانع * ما يعجز كل صانع * وكم فيك من مسجد يشرح الصدر * وعباد كأن وجوههم البدر * وكتب العلم تقرأ فيك وتسمع * في بيوت اذن الله أن ترفع * وبالجملة فانك مصر الامصار * ونزهة الارواح والابصار * فعلام تتعصب على أهل الأدب * وتحرمهم القصد والارب * وتجلب عليهم بخيلك ورجلك * وتجشمهم المشاق من أجلك * حتى اذا ضاقوا وملوا * تركوك لجة وانسلوا * ورحلوا بالحريم والاولاد * واستوطنوا غيرك من البلاد * وهذه عادتك مع كل أديب برع * وأخذ في جمع شمل البديع وشرع * وليس هذا من الانصاف *

ولاجميل الاوصاف * فقال الثغر أيتها السماء العالية * ذات الدراري الغاليه * من عهد ما أنشأني الله من العدم * لم تزل العالم في قدم * ولا خاب له في الحياة سعي * ولاضاع له بعد الممات نعي * ولا كدرت عليه عيشه * ولاقصصت منه ريشه * ولا ألزمته بكد * ولاضربته في حد * وهذا ما اعلمه من نفسي * فلم حجبت عني شمسي * فقالت السماء ان كان ما تقوله هو الحق * ولم يعص أحد منهم ولاعق * فكيف ارتحل عنك لسان العرب * وأصل الظرف والطرب* غصن روض النباهه * وزهر ثمر البداهه * مقلد جيد الكلام بلآليه * ومحلى جبين الايام بلياليه * غارس أغصان البديع في رياض ذهنه * وجاعل أبكار المعاني في ضمانه ورهنه * من أرضع البلاغة ثدي فكره حتى تربت * ودعا بطون اللغة فهرولت اليه ولبت * حتى عرف الأدب بخديم ركابه* واشتهر البيان بنديم رحابه* بليغ استجارت به الفصاحة من الاغبياء فأجارها* واستنجدته الغرائب فعبأ لها عساكره واثارها* من تتهافت عليه الرقائق تهافت الفراش على النور* وتحن اليه المحاسن حنين المؤمنين إلى الحور * أديب رقت برقة كلامه الأرواح * و تحلت بزهر معانيه الألواح * وانتثرت النجوم تشاكل نثره * وبدرت البدور تختلسه نظره * فضلت الشعرى في محاسن شعره * وأبت الزهرة إلا أن تسام بسعره* ونزل زحل من الافق الاعلى الى الحضيض * ووقعت نقود المشتري فاستنجد جاهه العريض * ونظر نعش الى بناته فكأنه ما ولد * وحمل العقرب على الشمس وهي في بيت الأسد * فتدلت تدلي كفة الميزان * وغابت عن الوجود وقد لحقها السرطان * والبدور رأت وجوه أبكار أفكاره كشفت * فأدركها ظلام المحاق لوقتها وكسفت * مجيد تلتذ بألفاظه المعاني * لذة الاسماع بالأغاني * قد شيد للبراعة أبياتا على أحسن أساس * فدارت أبيات غيره البلاد تقول لامساس* لبيب يكاد قلمه ينطق بلسان

* وفخامة لفظه تقتل بسنان * من أرضعته النزاهة لبانها * وسلمته القناعة عنانها* وقال الأدب هذا الفاضل دون أهل العصر حسبي * العالم النحرير السيد احمد وهبي[1]* فإنه نشأ فيك وتربى * ثم دعته الغربة فلبى * فلم لم تعظم له النحله * وتمعنه عن الرحله* أخرج حالة سهوك * أم كنت في حظك ولهوك * أم أنت زاهد في أهل الأدب * وكاره لسان العرب * أم حظك موقوف على أهل العي * ورجال الفجور والغي * فقال الثغر أيتها السماء ما منعته من الزلال ولا صافيه* ولا اخرجته زهدا فيه * وإنما لايخفاك ان الجار* كساكن الدار* وقد أوصى النبي على اكرامه * ومواساته واحترامه * وانت تعلمين أن مصر المحروسة * ذات الرياض المغروسه * لها علي حق الجوار * وملاحظتها وقت البوار* وكان قد بلغني ان الأدب فيها كسد * وعدم الروح والجسد * واندرس رسمه * وما بقى فيها الا اسمه * فساءتني هذه المصيبة * وخفت على تلك الحبيبه * فعينت لها هذا السيد المجيد * العالم الوحيد * ليجمع شتات هذا الفن * ويقطع باليقين رقاب الظن * ويحل معضلاته * ويبين مشكلاته * حتى يجيبه من العدم * ويعلمه ولو للخدم * فودعته وقلبي طائر * فوجدهم يسمون شقشقة اللسان * عنوان البيان * ويرون البلاغة والفصاحه * في الهجاء والوقاحه * ويعدون الغلط الشنيع * من أنواع البديع * فتحركت فيه همة حفظ الود * وشمر حرسه الله عن ساعد الجد * وقام باعبائه * واجتهد في ايحائه * حتى ظهر بهمته الشهيره * ظهور الشمس وقت الظهيره * فمالت إليه الناس * وتناولته بالكاس والطاس * حتى كادت تقتحم لجحه * وتعرف من أين أخذ حججه * فعاقهم عن ذلك حب الظهور * واشتغالهم بحساب الأيام

---

(١) توفي رحمه الله يوم العاشر من المحرم سنة ١٢٩١ بعد وصول هذا اليه بنحو العشرين يوما ومراثيه مذكوره في الديوان الثالث من دواوين شعري ، مؤلفه .

والشهور * وميلهم للسعي والكسب * ولو بالنهب والغصب * ولكنهم اغترفوا منه بطريق الشوق * ما طهر منهم الفكر والذوق * وصاروا من أهل الأدب لا الطلبه * ولزمهم هذا الاسم بالغلبه * فانسدت الطرق بالاشعار * وباعوها بأوهى الاسعار * حتى ملأوا البلد بيوتا من غير تحكيم * فهدم أغلبها وضاع في التنظيم * ولم يظهر إلا ما شيدته الاكابر * ظهور الخلفاء على المنابر * ولخوفه من ذهاب الادب بموت أهله[1] * ورجوع العالم لضلاله وجهله * أنشأ في هذاالفن بديعيات عده * هي للمتأدب سلاح وعده * ودون في الشعر ديوانا* جعله للأمراء ايوانا * ماغرس كدوحه غارس * ولادخل حومته فارس[2] * كيف وقد قاتل عليه بالرمح الرديني * حتى اشتهر بالشاعر الحسيني * وطالما بذل الهمة العلويه * في مدح الحضرة النبوية * فمن ذا الذي شاكله في فعله * ومن له فضل كفضله * كلا لم يدركه طالب * ولم يفته هارب * فإنه أمام الدنيا * وقبلة العليا * ولم أزل في وجد عليه * وشوق إليه * فإنه من سوء الدهر وغدره * كان يشكو بصدره * فلم أزل أسأل عنه كل حاضر * وأراسله مع كل صادر * حتى حضر الليلة أخوه وخديمه * وصديقه ونديمه * فسكن روعي بما أبداه * وأوصله لسمعي وأهداه * من أنه في صحة وعافية * وأحوال صافيه * منعم بنزاهة نفسه * ممتع بضياء شمسه * قد فتح باب الأدب بعد الاغلاق * واستغنى عن الخلق بالخلاق * لايقول إلا الحق الظاهر * ولايخدم إلا البيت الطاهر * فسررت بهذا الخبر* وألبسته عليه الحبر * واكتفيت منه بهذه

---

(١) قد وقع رحمة الله فيما خاف منه فان ديوانه وبديعياته عثرت عليها أيدي المتشاعرين فاختلستها من التركة ليدعوا ما لم يكن مشهورا فحسبي الله ونعم الوكيل. مؤلفه.

(٢) في فارس التوريه بالمرحوم أحمد فارس محرر الجوائب .

الإشارة * فهي عندي أعظم بشاره * فقالت السماء أو حضر النديم لبلده * لزيارة اهله وولده * فقال الثغر نعم قد حضر * وسرني بهذا الخبر * فقالت السماء يلزمنا مقابلته بالملابس الرسميه * والامطار الوسميه * فقامت وقعدت * وبرقت ورعدت* وأرسلت السحب كالبحار* وسوت بين الليل والنهار * فاستكنت في الأماكن الأبدان* حتى تطهر الثغر من الادران* ثم طلعت الشمس بعد أربعة أيام * وامتلأت الطرق بالظباء والآرام* فأردت الخروج للنزهه * واقامتي مع بعض الاخوان برهه * فرمدت بعيني اليسار * وأردت أن أزور فصرت أزار* فلما برئت من الرمد * أدركني الكمد * بخروج دمل تحت ابطي * كانه مخ الشرطي * فانه عاندني عناد السكارى* والزمني حاله الاسارى * وكبر الى أن صار كثدي الناقه* وآلمني بما هو فوق الطاقه * فاستعملت له اللبخ * حتى لان وانطبخ * ثم ضربته بريشة من الحديد * وشغلته بفتيل جديد * حتى تحققت انه برىء من سقمه * وتطهر من دمه * فقطعت الفتيل عنه * بعد فراغ الدم منه * فالتأم وختم * وضم ثغره وكتم * وبعد يوم ظهر في جبهتين * وكنت في بلوى فصرت في بلويين * فلبخت لهما أياما * وتحملت منهما آلاما* حتى صار يستحقان الضرب * ليزول عني الكرب * فضربت الذي لان بريشه* رجاء أن تصفوالعيشه * فلا تسل عن ضرب الحكيم جسمي العليل* ولاتنس هول تغيير الفتيل * وبعد يومين من فتحه * اكتحل الاصلي من قيحه * ففتحت عينه العميا * ورمت بالدموع رميا * فزاد الالم في يدي * واتسع حتى خفت على كبدي * وبين هاتيك الاحوال * مصائب وأهوال * منها أن الدم وقف باعضائي حتى يبست * وعدمت الاحساس لو بالنار لمست * ثم زادت الرطوبة حتى صرت كالبرد * وقد وهى جسمي كأنه انبرد * فتحقق لأهلي الموت * وضجوا بالصياح والصوت * وقد لزمتني الغمرات * وقامت بي

السكرات * فكأنى أنظر للروح تمشي مشية مدلٍّ بنفسه * وجسمي بعدها يتهيأ لرمسه * وعينيك ما تصورت نفسي سوى باريها * ومعدمها وذاريها * ولم أكترث بعيوبي * ولاكثرة ذنوبي * بل انحصر رجائي في ربي * واتسع أملي في حسبي * فطلبت الماء وتوضأت* واستقبلت القبلة وتهيأت * فبعد برهة تداركني الله بإحسانه* ولطفه وامتنانه * وعادت الروح للبدن * وشب جسمي من العافية وشدن * فادركت الجس واللمس* وتكلمت ولكن بهمس* ثم قلت الحركة عما بدأت * وسكنت الاعضاء وهدأت* فرأيت الفرح ينشر على أهلي راياته * والسرور يتلو عليهم آياته * وقد غص البيت بالجيران * وكثير من الاخوان * فلماتم لي الشفاء * ونور بيتنا الصفاء * تحركت الهمة القرشيه* ولرأفة الاخوية * في شقيقي عاشق أفعالك* ومحب أهل الأدب أمثالك * فأحضر جملة من حملة القرآن* ودعا مئينا من الاخوان * وأحيا تلك الليلة وليلتين بعدها * شكرا لله إذ أتم لهذه العائلة سعدها * وأحيا لها عديمها * وانطق فيها نديمها * والوالدة الرؤوفة * المحبه العطوفه * ما صاحت ولابكت * ولاندبت ولا اشتكت * بل لم تتحول عن القبلة ليلتها * فسبحان من قواها وثبتها * والناس يدخلون عليّ أفواجا * فرادى وازواجا * حتى اذا طوى الليل بساطه * وحل النهار رباطه * نمت ساعة أو ساعتين * وقمت وقد شغل ابطي بالبلويين * فما وجدت سببا لانسي * وراحة نفسي * سوى مخاطبة مقامكم العالي * واستهداء عذبكم الحالي * فإنه مرهم النفوس الجريحه * واثمد العيون القريحة * فكتبت والألم يطاردني * والأمل يساعدني * شوقاً إليك * ونداء عليك * فادرك اخاك ولو بحرف * او شرف ولاتستكثر الصرف * وعلى أية حالة فالقصد لفظك * ورقائقك ووعظك * فالشفاء كلماتك * والصفاء ذاتك * ثم إني اعرض لسدتك السنيه* وحضرتك البهيه * اني مع هذا المرض الأليم * توجهت

مرة إلى الشيخ سليم * فوجدت العدوى سبقتني اليه * وتخلف في بيته بعينيه * فسألت غن داره* من جاره * فافادني افادة ركيكه * وقال سل ابنه أو سل شريكه * فلشدة المطر * وخوفي من الخطر * رجعت إلى مسكني ولزمت مأمني * وقلت عند الشفاء أرجع اليه * وأسأل عليه * حتى لا أعود إلا بخبر صحيح * وقول صريح * فسجنت بعدها تحت العرش، ولزمت الوساد والفرش * وشربت صبر أيوب بالكاس * وأظهرت التجلد للناس * أسامرهم وأنا حريق * وأنجدهم وأنا غريق * وهم يضحكون وأنا الباكي * ويلعبون وأنا الشاكي * وقضيت على هذا عدة ليال * أسامر الصحب والآل * وقد صبرني الألم * كالرمح بل القلم * فكتبت ما كتبت * ودر ألفاظك طلبت * وأنا مخاطر بنفسي * مظهر لنفسي[1] * طامع في شراء الصدف * برديء الخزف * واستهداء اللآلي * بالخلق البالي * ولكن عادة كل أمير * أن يخاطبه الصغير والكبير * ولطفه يشمل الكل * ولاتمنعني من سروري * وارمق الخادم بلحظك * وداو كبده بلفظك * فإنه يستفتح باب ابياتك * ويقسم عليك بحياتك * وحاشاك أن تغلقها أمامه * وتجعل جوابه حمامه * وأنت السيد حيثما كنت * فلله أنت ثم أنت »

---

(١) النقس : العيب

(حفظ الودائع لدرر البدائع)

(وهي رسالة كتب بها إلى بعض أصدقائه شكرا على محرر وصله منه)

لبيك كوكب الصبح دام نداك * وسعديك نسيم الصبا طاب شذاك * وأهلا بك يا نور النهار * ومرحبا بك يانور النهار * فاني أرقت للقاء * مذ سمعت بالاسراء * وما زلت أسأل عن ركبكم في منازل البدر * واستفهم من ركبان النجوم حتى مطلع الفجر * فالشعرى تقول تركتهم بتلك المرحله * وعطارد يقول تقدمتهم بمنزله * والمريخ يقول اناخوا ركائبهم * والمشتري يقول أثاروا نجائبهم * والدجى تقول ليلهم قمري * والزهرة تقول هم ادلاء عليّ أثري * وكل ذلك وأنا هائم كحاطب ليل(1) * حتى طلع عليّ من جانب السحر سهيل * فهممت بتقبيله فأبى * وارتفع عني ونبا * فأشرت له بتلطف * وانشدته بتعطف *

سهيل انعطف وانزل بساحة مغرم * يراك بعين طول ليلتها عبرى
عسى يأخذ الأخبار منك عن الألى * سيصلي بهم حمر الغضا ولك البشرى

فسحب رداء التيه* وانشدني من فيه *

كأنك بالذكرى وقد بان ركبهم * اليك ونجم الصبح في القبة الخضرا
فشاهد محياه وقبل يد الصبا * لعلك باللقيا من الاصطلا تبرا

فقلت أثره الف الف * وحولت نظره إلى خلف * واذا ببريد النسيم يناديني * ودليل الفجر يناجيني * ويقول أنا الضمير المستتر * وما كنت تنتظر * فما لويت من وجهته جانبا * بل شكرته وإن كان كانبا * فلما رآني أجيب نداءه *

---

(1) حاطب ليل طائر لايسكن الليل كله

وعيني تنظر وراءه * تلطف في الكلام * وانصرف بسلام * ثم اعقبه السيد الأصيل * والأمير الجليل * منبع الاشراق * ومعدن الأرزاق * منبه القوم من الغفله * ومانح الانام ظله * شارح الصدور * وباعث النشور * ينادي امامه الفجر والوضاح * سبحان فالق الاصباح * ونسيم الصبا يميس بحسن القد * ويعطر الوجود بنشر المسك والند * وداعي الخير والصلاح * ينادي حي على الفلاح * فقمت أتعثر في أنيالي * لأقابل هؤلاء الموالي * فرأيت الصبح قد تقنع بقناع أحمر * وتحلى بنفيس الدر والجوهر * والنسيم قد زادت رقته * وازدانت دقته * والنور قد كشف اللثام عن وجه النهار * والروض شاكل السماء بتفتح الازهار * والقطر طيب الوجود بماء الغوالي * والغصون ماست تحاكي السمر العوالي * والارض توشحت بوشاح أخضر * وجرى عليها الماء حتى تقنطر * فقلت للصبح أيها الأمير * الزاهي المنير * هذه اللمعه * أنوار يوم الجمعه * أم ذاك فجر عرفه * وأنت صبح مَزدلفه * فقال أنا ذاك * لاعدمت شذاك * إنما أنا صبح الوسائل * ونور الرسائل * وهذا نسيم الطب * حامل كتاب الحب * وما تراه في الوجود زينة قدومه * وواجبات رسومه * فقلت من أين يامطلع شمسي * فداك روحي ونفسي * امن حبيب صادق * ام من عدو منافق * فقال بمن المخلص في وده * الوفي في قربه وبعده * الصادق في حبه * الواله في صبه * عنوان الادب * ومنتهى الارب * وكتاب الامان * وانسان التبيان * غارس المعاني في حديقة افكاره * وجاني ثمر البديع بعد قطف أزهاره * مجرى جياد القريض في ميدان البداهه * ورامي نبال الانشاء في غرض النباهه * اثيل المجد * أصيل الجد * فرع شجرة الجود المثمره * ونجم ليلة القدر المقمره * واحد السلاله المطهره * وزهر الدوحة المنوره * شقيقي نسبا * وصديقي حسبا * السيد الشريف * والمولى الظريف *

الصاحب الابر * والخليل الاغر

الماجد الحر اهل الجود والكرم * أباؤه الغر أصل الغير والنعم

شوقي إليك لطيف الـود حركه * فطرز الود في نوع من الكلم

فقمت لمقابلة النسيم على قدم الاجلال * ووقفت وقفة المستمنح من الجواد النوال * فوافـاني وقطر الندا يسيل من يمـينه * واشـعة الشـمس تشرق من مشارق جبينه *

سرّ به تنعش الارواح من طـرب * مخلق الثوب مطبوع على الرشـد

ناديته سيـــدي بلغ رســالة من * بلفظه تشتفي الاحشا من الكمـد

فجاء نحوي بكل اللطف ينشدني * ابشر نديم ببرء القلـب والكبـــد

هذا كتاب الصفا في طـي بردته * شفاء داء الحشا والصدر والرمد

اخـذته يمــين العهـد مستلمــاً * من غير واسطــة لكــن يداً بيد

ووضـعتـه على رأسي * ورِوحت به نفسي * ثم كشـفت لثـامه* وفـضـضـت ختامه * ونظرت له بعين الجلال * وللنجوم بعين الجمال * فإذا النجوم رسوم وهو حقيقتها * والمعاني غصون وهو حديقتها * ان شبهت مداده بالمسك كان عكس التشبيه * او حروفه بالدر كان عين التمويه * فانما المسك ترب شم مداده فتعطرت عكنه * والدر خزف شابه حروفع فلا ثمنه * وما هو إلا ترياق النفوس * وأنوار الشموس * تبتهج الارواح بتلاوته * وتتحلى الانواق بحلاوته وتضى العيون برؤيته * وترتاح القلوب برويته * كيف لا وقد رق النسيم بحمله * وحل البديع به على جمع شمله * كتاب تهيم فيه الالباب * هيام قيس بالرباب * وتميل اليه الأرواح * ميل النور إلى الصباح * وتنتعش به القلوب * انتعاش

الولي بعلم الغيوب * وتحن إليه الافهام * حنين الاغراض للسهام * كتاب لو سمعه الحريري لعاقه عن المقامات العي * أو علمه فرعون لرجع عن البهتان والغي * بل لو تلي على سحبان ما تفنن في خطبه * أو نشر على ابرهة لارتد على عقبه * كلماته أبطلت سحر هاروت * وألفاظه أوهت قوى جالوت * من بيانه اخذ الصاحب ابن عباد * وبحسنه تحسنت ذات العماد * كتاب لفظه عنوان الحماسه * ومعانيه اسرار الفراسه * تتبختر الآداب في رحابه * وتتيه محاسنه على أترابه * اذا قرأت لفظه * وسمعت وعظه * ورأيت ما فيه من المرقص والمطرب * والمنّعش والمعجب * وتلوت ما فيه من الرقائق * ونظرت ما حاز من الدقائق * علمت انه معجزة المتنبي وان تأخر زمانها * وفطنة المعري وان بعد مكانها * كيف لا وعطر نرجس بلاغته أزرى بطيب الريحانه * وحسن دمية بيانه نبه على ضيق الخزانه * وانسجام رقائق كلماته أغنى عن البديعيات * ورقة لطف سجعاته تاهت على الارتقيات * سكرت من سلاف معانيه رشفا * وقرأت ما فيه حرفاً حرفا * فاذا هو سفير عن فؤاد ودود * وترجمان عن ضمير غني عن الشهور * ضمير ظاهره المراسله * وباطنه المواصله * ما أصاخ اذنا للاحي * ولا اعتاض سكران بصاحي * قد سكن قلباً شعاره الود * ودثاره حفظ العهد * ما اساء محبه * ولا مل قربه * ولا رغب في صد * ولا غر بضد * ولا ابق من حب * ولاتحول عن حب * قلب اصفى من الصفاء * واوفى من الوفاء * كامن بحب ظاهر * في صدر طاهر * واسع رحب * عامر بالصحب * صدر كأنه اصداف اللآلي * او صفحة مقمر الليالي * ركب في جسم جليل * ورسم جميل * في غاية الجمال * ونهاية الكمال * يحار فيه الطرف * ويعجز عنه الوصف * جسم قده غصن البان * وانامله اقلام مرجان * وسواعده سبائك اللجين * وراحتاه صفحتا القمرين *

ووجهه طوق الهلال * وثغره منبع الزلال * وعيونه كأنها الصبح بعد السحر * بياض حول سواد كالقمر * وأنفه كأنه في اللطف ميزان النجوم * وخده في صفاء أسلحة الفرسان وقت الهجوم * وجبينه النهار وقت الرواح * وحواجبه قسي نبال الكفاح * قام بادرة الجميع عقل وافي * يدبره فكر صافي * عقل ما الف الا دقيق المعاني * ولا انف الا من كاذب الاماني * ولا اثمر الا فضلا * ولا جنى الا نبلا * ولا اتى الا بطرف * ولا اشتغل الا بتحف * فكم له في النظم ابكار * تتحلى بها الافكار * وكم له في النثر قلائد * تتزين بحسنها الخرائد * فمن كلامه الفائق * ونثره الرائق* ما اتحفني به في هذا الكتاب * وفتح برقته باب اللباب * يتوجع فيه من تأخير مكاتبتي * ويميل بحسن إلى معاتبتي * فما أحلى كتابه * وما الذ عتابه * ان عتابا يسوقه الود لعين الوصال * وكتابا يحث على حفظ العهد لنفس الكمال * فوده وعتابي * جدير بقول العتابي

ولقد بلوت الناس في حالاتهم * وعلمت ما وصلوا من الاسباب

فاذا القرابة لاتقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

فلا غرو ان قلت أخ عاتب شقيقه * ومحب كاتب صديقه * وكيف وغرس أصولنا واحد * ومنبت شعر رؤوسنا ذاك الماجد * سر الوجود * وبدر السعود * باب الحق* وأصل الخلق * سيد العالمين * وامام المرسلين * الهادي الى الجنه * والاصل في كل منه * منقذ الارواح من الشقاء * ودال السعداء على البقاء * النور المكوّن منه كل موجود * والذات المنتسب اليها كل محمود * العلم المرفوع فوق كل علم * والمولى الناطق بصواب كل قلم * الجواد الذي من فيض جوده زهرة الدنيا * ومن وطء نعال قدمه رفعة العليا * المفرد الكامل

المكمل الممجد * غياثي وملاذي سيدنا ومولانا محمد * عليه صلاة الله ما تحرك شبح مرّ عليه نسيم * وسلام وتحيات ما تعلقت رحمة بارادة كريم * ولو علم السيد ما انا فيه من معاناة الامور * ومعاداة الدهور * لالتمس عذراً لتاخيري * وضرب صفحاً عن تقصيري * ولكنه أصاب اذ متعني بنور خطه * وان اغرقني بحرّ معانيه في ساحله وشطه * فمن أين للنهر * معارضة البحر * ومن أين للراجل مجاراة الفارس * وكيف يقاس موري زنده بقابس * ولكن كم سيد كاتب عبده * وجعله كالرفيق عنده * وكم عبد عرض لمولاه ما نعمه به واولاه * وأنا أعرض على مسامع سيدي * ومالكي ومؤيدي * اني على ما رباني * منعم بما أولاني * حافظ لعهده * مغرم بوده * اتضلع حبه * وأمل قربه * هائم بذكره * مشتغل بشكره * وأرجوه العفو ولاصفح * عما يوجد في هذا من القبح * فقد حررته ليلة نوبتي * بعد عشائي وقبل نومتي * مع صفير الوابورات * وجعجعة العربيات * ونداء العده * مدة بعد مدة * وعندي من الاوباش * كل سكير حشاش * حزب يلعب الدمنه * وفريق يقرأ كليله ودمنه * وقوم يلعبون النرد * وشخص يقزح كالقرد * وكنت في بلوى كبيره * اذ صار المحل كبيره * فظني اني أسامح على الغلط * واعذر بكثرة اللغط * وكل هذا اذا صحبت كتابي نسمة قبول * ووقع عند سيدي موقع القبول * وإلا فهو لايصلح لمسامعه الكريمه * ولايليق بفكرته السليمه * ومع ذلك فاني مهديه من السلام * مايتعطر به زهر الاكمام * ومن التحية ما يرضاه * ومن الاجلال ما يهواه * فالشوق لايعبر عن لسان * والوجد لايملكه الانسان * ولا اقول شوقي اليك شوق المذنب للرحمه * والمعدم للنعمه * ووجدي بك وجد الشمس بالظهور * وحبي لك حب الايام للدهور * وشغفي بك شغف الطفل بالرضاع * وولهي بك وله القوة بالسباع * فانه تعبير تقريبي * يغضبك ويزري بي * لأن حبنا ليس

كحب الناس * فانه لازمنا ملازمة الحياة للاحساس * وان يسر الله الاياب * وصرف عني دواعي الذهاب * ووصلت حضرتك السنيه * ودخلت ساحتك البهيه * وحظيت من التحف بما لديك * لثمت خدك وقبلت ما بين عينيك * ان شاء مالك الملك * ومجري الفلك * جلت قدرته

وبلغه أن صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ فصل من تفتيش السكة الحديدية فكتب اليه من بنها يستفهم عن الحقيقة ويظهر الاسف فأجابه ذلك الصديق بان انفصاله من تلك الوظيفة هو عين مأموله ووصف له سرور أهله به في كل ليلة بعد أن كان مكابداً خطر الاسفار فردّ عليه النديم بهذه الرسالة وسماها

(تنبيه اللبيب * وتسلية الحبيب)

الحمد لله ذي الجلال والاكرام * وعلى نبيه الصلاة والسلام * وبعد فاحسن حالات العشاق * قبول العتب وبث الاشواق * لاسيما اذا لهج محب بالأحبة وغرد * ولزم خطابهم وأنشد

لست الملول مع التدلل والنوى * ان لم يكن روحي على هجري نوى
مادام يرضى منيتي فقد استوت * عندي الاقامة في شبين أو نوى
أطعمته أثمار ودي كلها * وغذيت من تمر المحبة بالنوى

نية المرء غذاؤه وطبه * ومن يتوكل على الله فهو حسبه *

خلاصة الوجود * ونتيجة السعود * وغاية العليا * وبهجة الدنيا * ولطف البها * ونور النهى * عزيز جدي * وحافظ ودي * رق لفظك وكلامك * فطاب عتبك وملامك * الا اني وان ظننت السراب ماء * وتخيلت السحاب سماء *

واستنزلت البدر الى الارض * واشتغلت بالنفل عن الفرض * وتوهمت الدر من الخزف * والسلامة في التلف * وتصورت الضحة في الاسفار * والبعد عن الامصار * واقتصرت من النقد على النحاس * وفضلت الدر على الالماس * وقلت ان مصبوغ القماش هو الديباج * وكساد البضاعة عين الرواج * واستبدلت البحر بالنهر * والدهر بالشهر

وفضلت النجوم على شموس * أضاءت بالاشعة كل وادي

فلست محطئا في فهمي * وان حسن خطابك * ولا مسترجعاً سهمي * وان لذّ عتابك * فما رأينا كبيراً الا عن صغر * ولاحسن أخلاق الا من سفر * لا بدر تم الا بعد هلال * ولاتمكن حب الا من دلال * وما سمعنا أن بيتا * بني بلا اساس * ولا جيشاً هزم من غير حماس * وانك وان كرهت التفتيش وبغضته * وابيت المرور ورفضته * وسمعت من اخوانك ما نفرك * وعلمت ان القدر قدم غيرك واخرك * فلا تنكر مقدمات الامور * وامتحانات الدهور * وركوب المشاق لبلوغ الارب * واستعذاب الصبر لتفريج الكرب * فمعاقبة المتاعب * علو المراتب * جهل اخوانك هذا فكدروك * ولو علموه لاستلطفوك واكبروك * الم يستعمل الله نبيه في التجارة * اكان ذا تمام اللذة ام نقصا في الاماره * كلا فان اللبيب من دار * لا من لزم السرير والدار * ومن لم يظهر بحذقه * لم يظفر برزقه * فانه وان كان مضمونا * ومن الغوائل مأمونا * الا ان البركه * في السعي والحركه * فالبطاله عيب الانسان * والكسل بئس العنوان * وان كان ليسا مقصودين لجنابك * ولا يتمثلان ان شاء الله ببابك * فإن المعالي حومة وأنت فارسها * والمفاخر روضة وأنت غارسها * والحسن ذات وأنت دلاله * والمجد عذب وأنت زلاله * والادب جيش وأنت أميره *

والبيان فلك وأنت منيره * والفصاحة باب وأنت مفتاحه * والمعارف بيت وأنت مصباحه * ظهرت فبهرت العقول بلفظك * ونظرت فأسرت القلوب بلحظك * فالمعارف والناس بين عاشق ومعشوق * والنديم وغزيرة بين راشق ومرشوق * ان حضرت عندي فذاتك شمس السعود * وان غبت عني فذكرك عين الوجود * واسفي على لؤم الدهر * لا على حساب اليوم والشهر * فأنت لله الحمد في غاية الرواج * لافقر أعاذك الله ولاحتياج * ولقد راقني وصفك الاهل * وورودهم المورد النهل * وركوبهم سرير النعم * وطربهم منها باصفى النغم * لا زالت الافراح تخدم موائدهم * وأيام السرور تحمد عوائدهم * وصعاب الامور إليهم مذلله * وتيجانهم بدراري سعودهم مكالمه * وجيد أيامهم مطوقا بصافي ابريزهم * وسماء وجودهم منيرة بشمس عزيزهم * القوة الفعالة في النفوس * والمغناطيس الجاذب نور الشموس * ونسيم اللطف الذي منه اوكسيجين الحياه * وزلال اللطف الذي فيه ادروجين المياه * والواسطة بين الذات والفوتغراف * والقوة الموصلة سلوك التلغراف * وميكروسكوب النظر القوي والضعيف * وبارومتر النسيم اللطيف * عجب عجيب * وسر غريب * اتحدنا في الفكر والعقل * واتفقنا حتى في النقل * فإني لما خرجت من مصر وانفصلت عنها * وحضرت من المحروسة إلى بنها * رأيت بركاب العاده * سليمان افندي واولاده * فقال أريد أن تعنون بعنوان الوكيل * فقلت حسبي الله ونعم الوكيل * فاتني أنسي * وحياة نفسي * ان عينت بجهة ليس بها عزيز * وفاتني من آدابه الحرز الحريز * وما ثمرة الحياة اذا تجردت عن اللذه * ما مزية النفوس اذا لم تكن أعزه * ولم أدر أن القصد اتحاد انتقالنا في وقت * وان صحبتك المعالي وصحبني المقت * ولو يدري الانسان عواقبه * لأمن عواطبه * ولكنها أقدار تجري وفق مجريها * واغراض أجسام نصبت لقضاء

باريها * ومن جعل الفرقة سيفا لجيد القرب * ولذ النوح للمحبين ولثم الترب * قادر على جمع الشتات * وعنم افتراقنا حتى الممات * فإني من بعد أيام قلائل * ظهرت علي من السقام دلائل * وتحيرت حيرة المديون * ولزمت قول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت اماقينا

شغلت بما لو شغلت به الكواكب لوقفت * او حل بعضه بشوامخ الجبال لنسفت * احشاء ملتهبه * واعضاء مضطربه * وقلب مجروح * ودمع مسفوح * وفكر في وهم * وعقل بلا فهم * وجسم نحيل * من خطب جليل * اثارته داهيه * ليست بوافيه * وما ادراك ماهيه * نار حاميه * لايخمدها الا الحنو * ولا يطفئها الا الدنو * متعن يالله بنور ذاتك * وابهجني بحسن صفاتك * خرجنا من هذا الباب * الي ما هو الصواب * ورفع الاكف الى الله * في طلب ما نتمناه * حتى ينتهي الامل * وينقضي الاجل * ونحن على ما نحب * من النعمة والقرب..

وكتب على لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري شيخ الطريقة العنانية كان إلى بدوي بك شعير لما بلغه أنه فصل من وظيفته ماصورته .

نور سماء الآمال * وبهجة رياض الصحب والآل * ليست التهنئة على قدوم كل مولود * ولا وجود مفقود * فالمولود مجهول الغايه * والمفقود عوده أيه * بل ليست التهنئة على حصول مرتبه * أو زيادة منقبه * فالمرتبة يشترك فيها الشريف والوضيع * والمنقبه سجية لكل ذي قدر رفيع * وانما التهنئة على قرب حبيب * او عودة غريب * فبعد الحبيب يوجب الهيام * وغيبة الغريب تشغل الاوهام * واذا واصل الحبيب احيا محبه * واذا عاد الغريب أزال كل كريه *

وأنت الحبيب إلا أنك في نفار * والغريب مع قرب الدار * وطالما تشوفت اليك ادارتك * كادت تطير اليك امارتك * والقدر يشغلك بالوظائف * ويحرمها تلك اللطائف * فضجت إلى الله بالدعوات * في الظهور الخلوات * حتى تقبل الله منها * وازال الاكدار عنها * فاعادك بدراً في أفق تلك السماء * وجعلك بركة في ذاك النماء * فغنت لقدومك الاطيار * ورقصت من الطرب الاشجار * كيف وأنت بحر ضاق عنه مجراه * وبدر لم يجد فضاءً لمسراه * اللهم إلا أن تكون رتبة على قدر همتك * وإدارة تسع عظيم سطوتك * اذ ذاك نود من الله دوامها * ونرجو زيادة الحالة وانتظامها * وأماما تركتها فقد كانت صغيره * والاسف على فوتها كبيره * فحركة ادراتك منها أسنى * والانس بالاهل أشهى وأهنا * ولذلك بادرت بالتهنئة على فات * راجيا من الله علو الدرجات * فالمحب يحب رفعة الحبيب * وكل آت قريب * ان شاء الله .

وكان قد بلغه عن صاحبه عبدَ العزيز بك وكان قد هجرا بعضهما فكتب اليه هذه الرسالة وسماها

(دفع العرام[1]* بذل الغرام)

بينما أنا راكب لجة بحرالفكر * مجد في طلب فريدة بكر * تارة أغوص ومرة أسبح * وآونة اقف وطوراً أصفح * لايقر لي قرار * ولايمكنني الفرار * ولايقصر عن طرح شباكي ذراع * ولايطوى لسفينتي شراع * كلما أدركني الملل * هاجت عليّ رياح الامل * حتى دخلت في بحر عجاج * متلاطم الامواج

---

(١) العرام : الحده

* فاقتحمت هذا القاموس الصعب * وتهت بين الجزائر والشعب * فتعلقت أفكاري بالسواري والحبال * وبت بليلة نجومها كواحل * لايرى فيها بر ولا سواحل * وقلت اشتداد الامر يستدعي ضده * ولا يأتي الفرج إلا بعد الشده * وعينيك ما سل سيف فجرها على مفرق مساها * حتى سمعت بسم الله مجراها ومرساها * فكان من تمام حظي وسعودي * ان تركت لجة اليم واستوت على الجودي * وانصرف خوفي وارتباكي * وبادرت بطرح شباكي * فإذا هي قد ملئت بأصداف الجوهر * وعلقت بها شجرة العنبر * فتفتح الصدف عن در يستخدم الاقمار * وفاح العنبر بما أذهب شذى الازهار

وصرت ما بينها كسرى الزمان له * شمـــس تنادمـــه في مجلس عطر

ونلت أقصـــى أمانٍ كنت آملهـــا * الانس في خلدي والنور في نظري

ولما جلوت الطرف * بما فيها من الظرف * ووقعت عندي الموقع الحسن * أردت أن أسومها بثمن * فإذا هي درة يتيمه * لايقدر لها أحد على قيمه * فاستهديتها من ربها * لشغفي بحبها * وجعلت القلب لها كنزا * والفؤاد لها حرزا * ألا وهي محبة العزيز الحافظ * أبدع مرئى وأبلغ لافظ * فلا تعتب أيها العاذل * فلست بالمحب الهازل * واترك التقول * واسمع ما أقول * غلب الوجد فلا عتب ولا ملام * ونأي الحب فلا وصل ولا منام * وما شكوت من سهد ولاسقام * ولا رغبت في كسب ولا مقام * ولكنها الايام ** رأت منيتي بالمقام الاسني * وقد ملك فؤادي بسرته الحسنى * فلما رأى أغصان محبتي مالت اليه لتجنى * دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * ثم انصرف بسلام ** فذبلت لبعده أغصاني * ووقفت لصده أجفاني * وجرت بعتبه أعياني * وحسن كلامه أعياني * وهذه عادة المدام ** كلماهبت الارواح المصريه * وخلقتنا

النسمات العطريه * وجاءت البواخر البريه * تحمل خلقاً من البريه* براني الغرام ** فأهيم * في الليل البهيم * حيث لانديم * ولا كليم * ولاهمام ** فجسمي للهموم هدف * والحظ قالوا صدف* بدر في صلف* وصب في تلف * أين النظام** بعدت الشقه* وزادت المشقه * فأخذني الوجد رقه * واستوفى مني حقه * بنبل وحسام ** دعوه دعوه * لقوم ودعوه * بحفظ المقام ** وزدني ياهوى* سقاماً وجوى * فقلبي في هيام** ما شاء الله كان * قد صار في الامكان * ان أنشىء الكلام* فيا لفظي الوجيز * اذا جئت العزيز * قبل الاقدام ** وتلطف في الخطاب * اذا دعيت للجواب * واحذر الاوهام ** فممطر الاحسان * عذب أسيره * وانه غضبان * وحجتي قصيره * تاهت بها الافهام ** وحاذر التزييف * وألفاظ النفاق * واستعمل التلطيف * وترج التلاق * تبرأ من الآلام ** واستشهد بالاشجان * وطول الارق * وزكها بالاحزان * ونيران الحرق* في مجلس الاحكام** واذا قدمتم اليه * فاستسعدوا الاوقات * ولاتهجموا عليه * في مجلس الدعوات *خشية الزحام * بل قفوا بالباب * واسألوا بالوزن * فان دخل البواب * وأتى بالاذن * فادخلوا بسلام..

وكتب إلى محمد افندي فتح الباب على لسان الاديب البارع الشيخ احمد ابراهيم الاسكندري شاكراً له ما صنعه مع والده (ناظرالدخيلة كان) من الجميل ما صورته الكرم بالهمم فوق الكرم بالمال* والتعاضد بالانفع لا بالآل فكم أخ لم تلده الام * ودعوة سمعتها الصم * والمصاهرة بالافكار * خير من المصاهرة بالابكار * فالمرء بهمته يعرف نسبه * ويحسن مساعيه يقدر حسبه * ولايلعم السعي الجميل * إلا في الخطب الجليل * ولذلك سنت المدائح * للمتفضل المانح * لاسيما اذا كان السعي للاحباب * وظهر الخير في فتح

الباب * فان الشكر يكون أوجب * ودوام المودة أصوب * ولا يشكر على الهمه * إلا من عرف قدر النعمه * وأنا ذلك العارف بقدرك * المستضيء ببدرك * العاجز عن القيام بالشكر * المتمايل براح همتك من السكر * واذا لم تقم الافكار بامتداح الامير * فلا أقل من الاعتراف بالتقصير * و هذا كف المفترف * به وقيم المعترف * فإذا كان له حظ * ولمحه منك لحظ * ترجم عن فؤادي * شكر تلك الايادي * وحمدك أيها الماجد * على ما فعلته مع الوالد * وهكذا تكون الرجال * اذا ضاق المجال..

فالناس بالناس والدنيا مكافأة * والشكر للحر دون الناس ميدان

واذا تقول الفكر * في بحر كله درر * ومعنى سره سمر * وروض حليه ثمر * سماء ما غاب لها قمر * فانك كوكب افق الانارة *ورب سرير الامارة * فقد طالعت من كتاب والدي ما أنار انساني * وأعجز لساني * فحررت هذه السطور* شاكرا سعيك المبرور * إلا أنها بلسان الامكان * لا بقلم التبيان * وفي طيها الود والوفا * وسلام على عباده الذين اصطفى * ولا فلو ألزمت فكرتي مدحكم بالحتم * لاستحال عليه الانتهاء والختم .

وزار يوما منزل المرحوم محمد باشا سيد احمد بشبرى مع المرحومين السيد عبد الواحد الحريري والسيد محمود العكام فلم يجده ولكن وجد هناك ولده حسين بك حسني ومعه الشيخ سليم عمر إمام مسجد القلعة فبعد المسامرة ساعة عرجوا جميعا على المدرسة والبستان ورأوا ما فيه من اللطائف والقصور المزخرفة بجميل الظرائف ثم خرجوا بعد الغروب فكتب له رسالة ومعها قصيدة دالية ابتدأها بمدح السيف ومطلعها

سبق الجياد إعانة المستنجد * وجلا السيوف اغاثة المستنجد

أما الرسالة فهي (نجوم الليالي * في عقود اللآلي)

ما شاء الله كان *و صار في الامكان * فترقت له الهمم العاليه * لرشف كؤوسه الخاليه * بعقها الوافي * وفكرها لصافي * فالعقل لايتصور إلا ما يراه * من صنع براه * واذا وصل الغاية وقف * وسكت عن السير وكف * وقال ليس في الامكان * ابدع مما كان * ويحمد الله على ما أوصله إليه * وما تفضل به من الاحسان عليه * ويصلي على ضمير غيبه الظاهر * ونور سره الباهر * سيدنا محمد بن عبد الله * وآله وصحبه ومن والاه * حتى اذا خرقت الأقدار العادات * وبزغت شموس السعادات * تحلى الوجود بآياته فوق تلك الغاية فيرمقها العقل بعين التدبير * ويعرضها على فكر التعبير * فيراها شمسا لابحجبها سحاب * ولا يعتريها اياب * فيستظل بظلها الوارق * وينظم في سلك المعارف * وهكذا في كل آن * يمتد ساعد الامكان * فيعد وينجز * لايفتر ولايعجز * بدليل نص الكتاب المعجز الوجيز * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على بعزيز* فقد فتح كنوز سره لقوم يعقلون * بارشاد قوله ويخلق مالا تعلمون * فكلما تعلقت به الارادة التي لايعتريها سكون * طلعت عليه شموس كلمة كن فيكون * وهذه كلمة واحدة كان بها الوجود أسفله وأعلاه * ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من سعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله * وحجة العقل المستكمل الادوات * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * وهذه نعمة من نعم العزيز الغفار * وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار * وخالق الارض والسماء * يزيد في الخلق ما يشاء * لايعجزه شي * ولايلحقه طي * ولايعتريه حصر ولا عي * ولايطلق عليه ظمأ ولا ري * ولايخفى عليه ميت ولا حي * ولا تنفعه طاعة

ولايضره غي * فعبارة ليس في الامكان * أبدع مما كان * بالنسبة لحد الافهام * وقصور الاوهام * لا بالنسبة لتعلقات الاراده * ورفع القدرة نقاب العاده * الا ترى انا قطعنا بالياس * من عود فطنة اياس * ولوينا اعنة الجياد * عن حومة ذكاء زياد * وقطع علينا ثعبان * طريق خطب سحبان * وحرمنا كل فائده * من بلاغة ابن زائده * وتكدر كل حي * بموت حاتم طي * ومات منا مدنف * بطلب حلم أحنف * وعدمنا الحظ ونقله * بذهاب ابن مقله * وفاتنا الانشاء البليغ المفيد * بموت ابن العميد وعبد الحميد * وتفتتت في طلب الأدب الاكباد* فلم تدرك الفتح ولا الصاحب ابن عباد * وقد حرنا حيرة المديون* في معارضة رسالة ابن زيدون * وأسف كل الملا * على حفظ ابي العلا * وقبضنا في شرف الانفس الجمر * طمعاً في هيبة ابي عمرو * وكم اصبحت الفرسان بعقل خرب * من الفكر في شجاعة ابن معدي كرب * وعجزنا عن القول المنبي * من حكم وأمثال المتنبي * فرفعت القدرة حجاب الاوهام * وفتحت للفكر باب الافهام وأطلقت العقل من عقل العجز * وفكت عن مقدماته عقود الحجز * وأطالت همته القصيره * وايدته بنور البصيره * ثم أتمت له اللذات * وجمعت له هؤلاء في ذات

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

روض الأدب المثمر * وفلك البيان المقمر * وبحر البديع الوافي * وجو الذوق الصافي * ونور شموس الصفاحه * وحسن بدور السماحه * مستأسر الدنيا بوجوده * وممتطي العليا بوجوده * ومستخدم النفوس بحسن اخلاقه * وفاتح باب الانشاء بعد اغلاقه* المفرد العلم * رب السيف والقلم * الذي تضاعفت به المحامد فعرف بمحمد* در كنز الفضل سيدي أحمد * بليغ ان

تناول قلمه تسابقت اليه البدائع * فاستخرج من اصداف لآلئها الودائع * همام لو توجه للسماك بهمته * لبسطته المعالي تحت أقدام وطأته * بحر اذا ورده العالم حالة الجدب * صدر وهو عاجز عن القيام باعباء الخصب * بدر تهتدي به العقول* في ظلمات المعقول والمنقول * سيف لايثلم حده * ولايعالج خده[1] * غيث أنبت أغصان السعاده * واثمر أفنان السياده * أمير تتحلى به المعالي * تحلي العقود باللآلي * مجيد تميل له المعاني * ميل النفوس للأماني * عذب اخضر به روض الجود * وأثمر بريه غصن السعود..

من يدعي موت الألى سبقوا وهم * أحيا جميعاً في صفات محمد

راجت به بضاعة الأدب * فوفد عليه الناس من كل حدب * وتشرفوا بمقامه العزيز * وهو يجيز كلا ويجيز * فكم أعطى سائلا * وافتي سائلا * وأظل قائلا * وأجاز قائلا * وسوى عائلا * وأغنى عائلا * وسقى ماحلا * فاحيا ما حلا * وأجاد كلاما * وأبرأ كلاما * ومنح قربا * ووصل قربى * وحسن اسفارا * وأحسن أسفارا * ورفع أعلاما * ونفع أعلاما * وأعظم براً * وعظم براً * وناظر حبرا * ونضر حبرا * واغاث مستنجدا * وورد مستنجدا *.

وكم له من أياد ليس يخلقها * مر الدهور ولاتنسى مدى الزمن

وطالما تعلقت مني الآمال * بمقابلة بدر الكمال * والدهر يبعدني * والحال يقعدني * والحياء يمنعني * والهيبة تدفعني * وأدبه يناديني * وحظي يعاديني * وبلاغته تجذبني * وعيي يكذبني * وقصوره ترمقني * وقصوري يسبقني * وحسن خلقه يقربني * وبؤس زمني يغربني * وأنا أشرب الامور غصة فغصه *

---

(١) لحد القطع

حتى اغتنمت من الزمان فرصه * وسرت لمقامه الشريف * ومقامه المنيف * مع افاضل امجاد * وكواكب اسعاد * فسبقني حظي بفرسانه * ولم أجده ببستانه * إلا اني وان حرمت برّه * فقد صادفت سرّه * كوكب صبح البيان * وشمس سماء الاحسان * مجري جياد فكره في ميدان الآداب * ورامي سهم نباهته في نحور الالباب * آسر المعارف بفكره * ومطلق الالسن بشكره * من علذ به الادب من الاغبياء وقال اغثنى * نجل الحضرة المكرمة حسين بك حسني * فسامرنا برقائقه * ونادمنا بدقائقه * واسعدنا بجوده * ومتعنا بوجوده * وتلا علينا من الآداب آيات * فكانت الدعوى للمتنبي ولحسين المعجزات * فعلمنا ان الولد سر ابيه * وغير غريب نجيب من نبيه * وفي اثناء اقتطاف ذاك الثمر * واقتباس نور هذا القمر * وتفضل علينا المولى العليم * حضرة الاستاذ الشيخ سليم * ومتتعا بمشاهدة بعض الآثار * ما تلألأ فيها من الانوار * فرأيت ما لو رآه العاشق لسلا * او الصبر لعلا * او المحزون لسر وفرح * او السائح لوقف وما برح * بل لو علمها من قبل قوم عاد * تركوا عمل التي لم يخلق مثلها في البلاد * من روضة هي الجنه * حيث لاكلفة ولا منه * تحلت بازهار ابهى من الاقمار * واقمار تنهبر الاعمار * وغصون يلاعبها النسيم * فتقبله بثغر بسيم * ان غضب مالت تقبل قدمه * وان سكن قامت تشابه خدمه * تارة يغني فتميل طربا * وساعة يهيج فتود هربا * رأتها البلابلَ مأمنا * فاتخذتها مسكنا * وغنت تعارض النسيم في نغماته * وصاحت طربا من رقة حركاته * والازهار تطيب ثغورا * وتضحك سرورا * والأوراق حازت الشرف الأكبر * فلبست من رقيق الديباج الاخضر * وكلما سكرت الاغصان من شراب الانهار * تنقلت بالثمر وقبلت الازهار * وقد كشفت عن حسنها نقابا * وكتبت مع النسيم كتابا * انه متى صح وطاب * وبريء من

الاوصاب* قابلته بالملابس الرسميه * وسكرا من الخمور الوسميه * وأباحت حسنها لكل واصف * وعذب نهرها لكل راشف وزهرها لكل خاطف * وثمرها لكل قاطف * فان اعتل مزاجه * وطال علاجه * تجردت من حليها ولآليها * وتغيرت على أهلها ومواليها * أسفا* عليه * وشوقا اليه * ومتى أحسن الحكيم حاله * قابلته بتلك الحاله * فهي ولهى بجزوع * وهو بجنوع * ومدرسة بكل بديع حسن موصوفه * فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعه ونمارق مصفوفه * سقفها أدب * لاخشب * وأرضها انبساط * لا بساط * وفرشها احسان * لا أقطان * ونقشها علوم * لارسوم * أساسها بيان * لا بنيان * تحلت بولدان * لا غزلان * صغار كبار *عندهم الكبار صغار * من زيادة الاداب * لا من نقص الالباب * قد جرد كل سيف ذهنه وقام به يسطو * وأباد مادونه اقليدس وارسطو * حيث لم يجدوا فيه حلوا يجني * ولا لطيف معنى * وتلاعبوا بمخترع المعاني * وحلوا بها المباني * وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين * من طعام وشراب ولباس وألسن * ومعلموها الاعلام * قد ذكت منهم الافهام * وسهلت أنواقهم * وعظمت أخلاقهم * وحسنت سيرتهم * وطابت سريرتهم * فهم أدرى بكل منقبه * وأجرى بتلك المرتبه * وقصور * عاقنى عن وصفها القصور * قصور عدم الاطلاع * لا قصور الباع * وهبني اطلعت على باطنها * ودخلت كل مساكنها * هل يمكن لساني * أن يترجم عن انساني * فان الانسان بسيط الطبع * واللسان مركب الوضع * والبسيط لين العريكه * والمركب عبارته ركيكه * وهبه مد للإنسان أشراكه * وتخلص من تلك الركاكه * فما عساه أن يقول * اذا لم يستصحب معه النقول * غاية ما يقوله من الابتداع * وسلامة الاختراع * قصر بنته المعالي * بحر اللآلي * على هندسة السعد * ورسم المجد * وشيده الانس * بسرور النفس * ونقشه البدر * بنور

ليلة القدر * وفرشته الاماره * ببسط الاناره * وملأه الحبور * بكراسي السرور * وزينه الانشراح * بسرر الافراح * وهيأه الصفاء * بأواني الشفاء * وفيه بدور مدى الدهر لايأفلون * وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون * وتنوره نوات الوقار * لاشمس النهار * وأمير الشجعان وقت الهجوم * لا بدر السماء والنجوم * خادم اهله عفه * ومنادمهم الفه * وحاجبهم عصمه * وما بهم وصمه * لباسهم ثياب الجلال * وحليهم عقود الاقبال * وشرابهم سلاف التهاني * ونقلهم مصداق الأماني * وطربهم رنات اللآلي * على غصون المعالي * وتفكههم بظهور ليلة القدر * من بين الجيد والصدر * يتمتع بها بدر سماء سعودهم * ونور شمس وجودهم * فهل هذا يقوم بوصف ذك الايوان * كلا فقد أدرك الحصر اللسان *و عاقه عن الحقيقة الاعجاز * فالتزم المجاز والايجاز * ولما انقض عقاب من العي على فكري ونسر * وعجز اللسان عن وصف ما رآه بالنثر * عدلت عن الوصف إلى المدح بالنظم المقفى * لعلى أسامح على التقصير ومن جرأتي أعفى * وعسى أن تهب نسمة قبول * فيقعا موقع الاستحسان والقبول * فقد ابتدأت نثري بمشيئة القدره * وحشوته بما يعرف قدره قدره * فناداني لسان المتأدبين في الختام * تحيتهم يوم يلقونه سلام * فانهم ما وصلوا مقامه إلا خرجوا شاكرين داعين * وأخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين *

وكتب إلي صديقيه الفاضلين محمد افندي كمال واحمد افندي علي رئيس قلم المبيعات بالدائرة السنية حالاً وهما اذ ذاك بالمنصورة وهو ببلدة اسمها بدواي من اعمال الدقهلية وقد أكثر عليه اللوم في عدم التحرير اليهما ما صورته

روى الواله بن الولوع * عن الساكن بين الضلوع * انه استخدم الناظر والانسان * في نقد كل إنسان* واستعمل رجليه في جوب الاوديه * ويديه في نقل احاديث الانديه * فالعقل لاه عن نعت الاكياس * والفكر مشغول بنقد الاكياس * والجسم دخول ولوج * لم يترك نادياً بلا ولوج * وكلما نفقت عير * نبا على عير * فهو جواب سائح * قناص لكل سانح * زاده من مزوده * وحدته من مروده * وريه من سقاه * لا من دلاء السقاه * وصرفه من كيسه * دون كيسه * ومأواه حجرات الأجر * لابيوت عجر وبجر * ان دخل مجلساً فبنزاهة * وأن ابدى بدائع فعن بداهه * وان نقل فعن صحيح * وان اسند فالى صريح * وان سأل أوجز * فان سئل أعجز * وأن انشد اطرب * وان مدح اطنب * وان وعظ سحر * وزال الوحر * وان تغزل خلب القلوب * وان الف اظهر الغيوب * يقطف زهر كل فن * ويقتحم لجة كل فن * ويردف المسائل * بانشاء الرسائل * بذهب سائل * لكل سائل * ويستكثر الاخوان * بدراري وخوان * حتى كثرت في الناس أخلاه * ولم يكن عن أخ لاه * ثم مال بزورق السباحه * ومطية السياحه * الى بندر المصنوره * دعته إلى تلك الدمن صوره * وجال فيها جوله * ورأى البندر وما حوله * ثم سأل عن أندية الآداب * ليتعرف بذوي الألباب * فدل على شرذمة قليله * سليلة جليله * فهرول اليها هرولة طامع * وجرى اليها جرى خامع * فالفاها سماء مكارم * وبدور أكارم * وشموس ابتكار * وخدور أبكار * ونجوم ليالى * وعقود لآلى * لايفارقهم منادم * الاّ وهو على النأى نادم * لما لهم من حسن الطويه * وغرابة الرويه * فطرب طرب

حاطب ليل طائر لايسكن الليل كله

المتلعثم * وابدى سن المتبسم * وقال حسبى هؤلاء من المدن والقرى * فكل الصيد فى جوف الفرا * فعاهدهم عهده * واخلصهم وده * وانتدب منهم اثنين لأنسه * وسرور نفسه * وتصادق معهما صدق القطا * وتلاصقا مودة لصق الفظا * الآ ان الدهر الغدار * لم يرض له قرب الدار * بل سلك به الطريق الفريه * ومنعه من يجب وقربه * فهما فى واد وهو فى واد * وهو منفرد وهما بناد * يتسلى بالبكاء * وصوت المكاء * ويترنم بالنوح * لفقد الروح لا الروح * ويتشاغل عن اللذه * وسوء البزه * بذكر من يهوى * وحسن ما يروى * لا يرى الا بعران اليعملات * ولا يسمع الاسفاسف الخزعبلات * من قوم يحتاجون لترجمة السلام * فضلاً عن الكلام * قلوبهم غلف * والسنتهم قلف * وصورهم أفظع من صورة نعش * وطباعهم أغلظ من طباع وحش * مشائين همازين * غمازين لمازين * أشد نفاقاً من نافقاء اليربوع * واشأم من أربعاء الاسبوع * وأبكى من عيون ينبوع * وانكى من وقوع متبوع * واغدر من أم عمرو * واحرق من لهب جمر * واجشع من تميمى رأى مأدبه * والأم من نوبى بلغ مأربه * وأشح من مغربى جاع غلامه * وأظلم من ليل حملق ظلامه * أطمع من طالب النحل مع المحل * وأحمق من سائق الرحل إلى الوحل * واتعب من حبلى حملت صخرا * وأرذل من خنزير طلب فخرا * أهر من كلب ضرب * وأفرغ من كاس شرب * وأجهل من ذباب رأى حلوى * وأعوى من ذئب حلت به بلوى * وأحزن من يهودى وقعت دراهمه * وأبلد من جمل دقت مناسمه * وأذل من قلب رشق بطرف كحيل * وأبعد عن الحق من وقوع المستحيل * عالمهم أضل من إبليس * وصالحهم بادي التدليس * ولولا بدر أميرهم وبدره * وحاجته إليهم وعذره * لسود وجه النهار بهجاهم * وانتزع بنبل القول حجاهم * فإنهم عن الضلال لاينفكون * قاتلهم الله أنى يؤفكون * إلا أنه متى استعاذ من تلك الحمير * برقة هذا الأمير * وتروح بمسامرة أنجاله * نقه من سقمه وأوجاله * وعاد له ما فقد * وإن لم يكن فقد فقد * وإن اغتنم فرصه * لمداواة

الغصه * ترك القرية المحصورة * وتوجه الى المنصوره * ثم اهتدى بالقلب والعقل دليليه * الى حسن مسامرة خليله * ثم يعود والفكر زمامه * والهم امامه * وطالما تعلقت أماله بالمخاطبة الخطيه * والدهر ينوده بالرماح الخطيه * حتى قال خليلاه * انه خلى لاه * فلما طال عليه الامد * وتمطى من فتور الكمد *قام يجر رجله * قاصداً خيل البديع ورجله * فلم تطاوعه لخدر لزمها * من طول ماضمها * فجلس جلسة مقعد * على سطح مقعد * وكتب ينثر عذر الاباء * وان كان المنثور من الهباء * ريثما أخذته رعدته واهتز * وابتدأ كلامه بقول ابن المعتز*

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * إن برّ فيما أتى فى القول أو فجرا

فقد أجلك مكن يرضيك ظاهره * وقد أطـــاعك من يعصيك مستترا

استغفر الله من العصيان لا بل تصوره * وأعوذ به من تهول الدهر وتهوره * فإنه ما فوق سهم الاغتراب * حتى أمرضنى ضنى بسهم الحراب * ولا منعنى سيف غدره * حتى ضمنى الهم لصدره * وشغل الفكر عن أغراضه * واستعمل الجسم فى أمراضه * حتى غفلت عن الاخوان * وتغافلت عن الخلان * ونام الفكر نومة عتود * ومال الذهن ميلة رقود * وضل العقل طرق الغرائب * حتى صار إحدى العجائب * وما زالت الغفلة تزداد * والكسل فى ترداد * حتى توجه إلى اللوم * على الإفراط فى النوم * من سيد ماجد * ومفرد واحد * غصن ثمر الآداب * وثمر روض الألباب * حليف الصفاء * وخذن الوفاء * سر الفضائل ومعناها * وبحر المكام ومغناها * سليل الجود * ظليل السعود * الطالع فى سماء المروءة بدرا * والمرتفع على صدر المعالى قدرا * الرامى إلى المحاسن بسهم أغراضه * المسبل على العورات ثوب أعراضه * من الفته البلاغه * فاحسن حديثه وبلاغه * وغازل الأدب والفصاحه * حتى عرف بالفضل والسماحه *

من كمل العليا بحسن صفاته * حتى تجلت فى صفات كمال

نجل الأمير محمد بدر الوفا * نور العيون وحسن كل جمال

ومن بديع الزمان * وبليغ الأوان * روح دوح النباهه * وراح راح الوجاهه * طراز حلية البداهة * وحليه طراز النزاهه * باسط بساط الأدب * لمن دأب * وباذل رضاب القلم * لمن ألم * ومظهر نتائج الحكم * لمن حكم * صائد القريض * بالباع العريض * وجامع الأجناس * فى أنواع الجناس * دافع النكايه * بالكنايه * وفاتح مجاز * كل مجاز * وجاعل اللفظ حديقه * لاغصان الحقيقه * وكاشف طلاء التمويه * عن وجه التشبيه * ومنور وجه الفسق * بحسن النسق * وكم أبدع والف * فى النشر واللف * فحسن الانسجام * للانس جام * الشاب الذى طلع في سماء الآداب بدرا * وجلس فى نادى البديع صدرا * أحمد الناس حقا * وعلى القدر صدقا * فهل للنهر مجاراة بحرين * أو للنجم معارضة بدرين * فأقول مالا يبتدع * والحق أحق أن يتبع * أنى مقصر فى الخدمه * ولست ناقضا للذمة * مغترف من الإهمال بذنوبى * مقر لخليلى بذنوبى * ملتمس من كل عفوه * وغفران هذه الهفوه * فسهام لومهم للنديم مسمومه * وسيوف عتبهم فى الصميم مشمومه * على أن التقصير ليس من شيمى * ولاصيب الإهمال من ديمى * فإن عذرى أظهر من النهار * وأشهر من النهار * خالفت وقد نهيت * فلبيت ودهيت * بحرب الدهر * وجلاء الظهر * فأنا راجل وهو فارس * وأنا مجدب وهو غارس * ولو ساعدتنى الأقدار لهزمته * وعلوته وهدمته * ولكنه شب عن الطوق * وتجرد الريف من الذوق * واحتوشتنى الأحزان * واسكنتنى الاجران * وأعادنى الدهر البطين * إلى الماء والطين * اصطبح بهائم * يسوق البهائم * يستطلع بدور الأنوار * من خلال مباعر الأثوار * ويروى أعراب القاموس * عن عراب الجاموس * يسبح الله بالرخو * ويقول دين الله رخو * ويذكر الثور نهاره * ويصلى بلا طهاره * ويعبد المحراث حق العباده * ويجعل الناس ملجأه وعماده * ويقول حسن نافى * لنومى نافى * إن كسرت لمحراثه ريشه * تنغصت عليه العيشه

* فإن عدم لثوره دواسه * قال ضاع زمام الرأسه * الشريف فيهم اللواط * ونسبه ينتهى إلى سخام ابن حواط * لهم وقائع فى الدين * كوقوعهم فى الطين * وان اختصموا فى فحول * يرجعون إلى جهول * ما سمع آية من قرآن * ولا علم حقيقة الأديان * نبذ كتاب الله وراء ظهره * واشتغل بالضلال فى سره وجهره * جعله القاضى نائبه * وسلطه على البلد نائيه * اجتمعت عليه مره * فوجدته فى عيشه مرّه * ينهب الكحل من الأجفان * ويخطف الثريد من الجفان * إن جاءته طالق بالثلاث * خلط فى الألفاظ وعاث * ونص فتواه * الشبيهة بنجواه * فى مذهب القمام * البراقة كالحرام * والزوج قد قذنب * وصار عليه قرنب * وعشرة قشلاق من الديس * وعقدتين دريس * وقفتين تبن * وقرصين جبن * والمرقة بعد الحيض * عليها مرجونة بيض * وقالب زبده * وطاقية ولبده * وصارت رادون * بعد ما كانت طالقون * والله قعلم .

أما يوم السوق * فإنه يلبس ثياب الفسوق * شال مسخمط * وزعبوط مشرمبط * وسرمة مقطعه * وقطعة طربوش مرقعه * إن سمع رجلا يحلف وهو مظلوم * يقول ثبت عليك المعلوم * وقرقورتين بطيخ * وحوتين فسيخ * قدبا لك وعبره * كما قفتى به الشيخ عبره * .

(الساق على الساق * فى مكابدة المشاق)

وهى حكاية حال فى شكل مراسلة بعث بها إلى بعض أصدقائه يذم إليه الدهر ويشكو من ضياع الأدب بين أهليه .

متى أدرك الحظوظ وهى سابقة * وكيف أجارى الخطوب وهى لاحقه * وأين السرور فقد أعيانى الطلب * ومن لى بالنصر على الهم وقد فاز بالغلب * تالله أن الشجاع فى هذا المضمار جبان * وقل أن يفوز مقتحمه بأمان * هذا أن صحب من مضارعيه قوما * وجال فيه ساعة أو يوما * فكيف بمن فرته حوافر الجياد * فرى المعاول للجماد * وطارت به أسنة الرماح * طير الغبار فى الرياح * وسكرت الهموم بدمه وتنقلت بأضراسه * بعد أن افترشت جلده

وتروحت بأنفاسه * وحقك أن هذا لهو الميت * لا من انتقل للقبور بعد البيت * فظلمة القبر أبهى من شموس الأحزان * ووحشة وحدته أهون من بعد الاخوان * كيف وهناك العمل نعم الجليس * وهنا الأمل بئس الأنيس * كم غر عاقلا بما صور * وارتقى حصون الفكر وتسور * وعاث فى رجال الرأس بسطوته * وهجم على حفظة القلب بقوته * واستصرخ كل أمير لسماع خطبته * بعد نزوله عن عظيم رتبته * فأجابته الامراء والباعه * بلزوم السمع والطاعه * ثم ارتقى منبر التخييل * وعدل عن أوامر التنزيل * وصور لهم أن الحق ما يقول * وأن الشرع ما تركته النقول * وأن الهوى سبيل الرشاد * وهدى الهدى أمام الفساد * ومن تقيد بالشرع زلت أقدامه * ومن تبع الآمال رفعت أعلامه * ومن سارع إلى الخيرات هلك * ومن تدرع بالمضرات ملك * ومن اشتغل بالعرف باد * ومن استعمل العنف ساد * ومن ركب المعاصى تمت لذاته * ومن سعى إلى الطاعات تشوهت ذاته* ومن لزم الأدب حقر * ومن عرف بالوقاحة وقر * ومن أم المحامد ساءت أحواله * ومن تكلم بالقبيح سمعت أقواله * ومن أصلح بين اثنين حان حينه * ومن أفسد متحابين قرت عينه * ومن اعتزل الناس لزمته الندامة * ومن حاصن معهم صحبته السلامه * ومن اتصف بالبشر فرت الناس منه * ومن عرف بالعبوس رويت المحاسن عنه * ومن جالس العلماء بارت تجارته * ومن سامر الجهال ظهرت إمارته * ومن عاشر الأشراف ساءت به الظنون * ومن خدم الأوباش رمقته العيون * إلى آخر ما افتراه واخترعه * وغاص بحر الخداع وابتدعه * حتى اختطف نور العقل اللامع * وشوش فكر كل سامع * ثم نزل وقد حفت به الرجال * حتى ضاق عليه المجال * وهو يقول ثمرة العلم العمل * * فلا ترعوا مع الهمل * ثم أظهر لهم الوقار * وودعهم وسار * فاشتغل القوم بلفظه * وإطنابه ووعظه * حتى سرى فى الدم والعروق * وأخذت شمس الضلال فى الشروق * فجدوا فى السير خلفه * ولم يجدوا فى السعي كلفه * حتى أدركوه بمدينة الشهوات * وهو يخدع من فيها بتلك

الدعوات * فحياهم بأحسن تحيه * وزادهم مقالة وعليه * ثم أجلس عن يمينه الفكر واللب * وعن يساره الصدر والقلب * وقال لهم أنتم أمناء سرى * ولكم خالص برى * فهلموا إلى ما به أمرتم * وأن تتجحوا أجرتم * فقاموا فرحين بالوظائف * مسرورين بهاتيك اللطائف * وسلكوا طرق الضلال المخيفه * وتركوا سبل الرشاد المنيفة * فخاب السعى * واستحقوا النعى * خيث تاهت الأفكار * واشتد عليها الانكار * وضلت العقول * فنسيت النقول * وضاق الصدر * بظلمة الغدر * وركب على هام القلب طائر * فهو كالمجرم ولهان حائر * والعين تعتذر إلى الآذان * والاعضاء تقول أينا المدان * فبينما هم فى جدال ونزاع * وقد فشا الخذلان بينهم وذاع * وإذا بالأمل يناديهم وسط ناديهم

أى فضـل لعـرفة الآداب * بعد سلبـى لحكـمة الألبـاب
قمت فيكم بكـل زور خطيبـا * مصـلت السيـف كاشر الأنياب
فاتبعتـم وقادكـم من بديعى * حسـن قول يـزف بالإرهـاب
ليت شعرى إذا ضللتم بقولى * كيـف نلتـم مفـاتح الأبواب
كـل أمـر يراد دون سبـيل * لارتقـاه فـذاك عـين تبـاب
أي خمر ينال عرش عقـول * أن رمتـه معـارج الأكـواب
لو وعيتم أوامر الحق عفتـم * حسـن قولـى ودقـة الأعراب
لكن الليل أن أتى بدجـاه * سـود الكـون كفـه بخضاب
والقضا الحتم أن يحل بقـوم * حول العقل عن سبيل الصواب

فعرفه القوم * وابتدروه باللوم * فاطرق اطراق مدبر * ثم قال بلسان معبر * كفوا اللوم * أيها القوم * فإنى منكم واحد * وعليكم واجد * وقصدى بوعظى النفع * لا ما يوجب الصفع * وحيث كانت أقوالى مذمومة * ونبال وعظى مسمومة * فاعرفوا قدركم * وخذوا حذركم * وعودوا لما كنتم عليه * وما تنسبون الخير إليه * ودعوا أقوالى عنكم * فسأنظر ما يكون منكم * وهذه

حالة الأمل فى كل وقت * ولا ينشأ عنه إلا المقت * أنعم به إذا كان فى الله * وجرى فى الخير وما والاه * فإنه يكون محمود العواقب * مأمون العواطب * ولكنه عشق النفس فأسر * وسمع أمرها فخسر * وقد كنت فى صغرى أذم هذه الأحوال * وأقول كيف تقع الناس فى هاته الأهوال * وأنا إذ ذاك عاشق معان لا مغانى * وشارب عذب أوان لا أوانى * أتغذى بنكته * وأتروح بسكته * وامشى خطبة خريده * فأحظى بوصل فريده * وأمسى تحت ظهر فكر * فأصبح على صدر بكر * حيث لا حجاب لهذا الحرم * ولا مانع لذاك الكرم * فن مللت وصال الحسان * وسئمت من خمر الدنان * ملت إلى البساتين والأنهار * وتمتعت بقطف الأزهار * مع رفقة هم النجوم بل البدور * عليهم راحات الأنس تدور * وطارحنا النسيم بالرقائق * وقابلنا الجلنار بالشقائق * وحرضنا الورد فقام بشوكته * وقابله الياسمين فمال لرقته * وإن مد لنا المنثور كفه * قطعنا أذنه وأنفه * والنرجس خفير علينا * ناظر بعينه إلينا * والأشجار تمطر الأثمار * والأقمار تنهب الأعمار * فنحن فى تيه الحلو بالحلوى * لا تيه المن والسلوى * نتناشد المعانى * بجميل الأغانى * وننظم الجوهر فى فرائد البحور * على قلائد النحور * وننثر الدر على بساط الزهور * فى صفاء الدهور * خمرنا السرور* وكاسنا الأجور * ونقلنا الصفاء * وحاننا الوفاء * وشادينا الطرب * ونديمنا الأدب * نعربد من أبكار الأفكار * بلا انكار * ونقطف ورد الخدود * بلا حدود * حتى إذا ملت النفس من الراحة * وحسن لها الأمل السياحه * جبت القرى والمدن * طورا بالوابور وطورا بالبدن * وانتظمت فى سلك التلغراف * وامتزجت بالأوباش بعد الأشراف * فضعف يقينى * ولم أجد من يقينى * فإن أغلبهم سكارى * وكلهم حيارى * لايعرفون الهدى * ولايتركون الردى * أعبدهم من إذا رأى الخمر هام * فلا يرد إلا بالجام * وأصلحهم نواسى العمل * وأقنعهم أشعبى الأمل * لايركعون ولا يتصدقون * ويحلفون ولا يصدقون * ولا يرون عيبا فى فحش * فهم أغلظ طبعا

من وحش * أن خدثوك كذبوا * وأن وعدوك هربوا * وأن أئتمنتهم خانوا وسرقوا * وإن هديتهم ضلوا ومرقوا * كم قمت فيهم خطيبا * وأسمعتهم وعظا رطيبا * وتلوت عليهم أحاديث وآيات * ومواعظ وحكايات * فلم يزدادوا إلا نفورا * ولم يحفظوا إلا كفورا * وقد أعيانى رد هذا الخطب * حتى ذبل غصن يقينى الرطب * فكاد طبعى تسرقه تلك الطباع * وتجرى به فى كهوف الضياع * فقد خضت معهم فى حديثهم اللغو * ولبست ثياب اللعب واللهو * فما طلبت واعظا إلا لقيت شبه شيطان * ولاقصدت صالحا إلا رأيت سكران * ولا أردت مؤدبا إلا وجدت فظا * ولا رمت نكتة إلا عدمت حظا * وفى خلال هاتيك الأحوال * وتعصب الأهوال * أدركت برهة من الزمن * لم أذق فيها سم الأحن * وقتما كنت بالقصر العالى * بحر الجواهر واللآلى * فقد استرحت هناك من الشياطين * وانتظمت فى خدمة السلاطين * وعكفت على كتب الآداب * رجاء تطهير الألباب * حتى خدمتنى الدنيا * وصحبتنى العليا * وفانقلب الدهر الغشوم * النحس المشوم * ورمقنى بعين الانتقام * وحسدنى على هذا الانتظام * وأخرجنى منه قهرا * فلم أر أقبح منه دهرا * صدمنى صدمة معذب * لا لطمة مهذب * فلتجلدى لحربه * مع ضعفى عن ضربه * قلت أعزى النفس وأسليها * وأحرضها على القتال وأغريها .

شلت يمين الدهر أدمت منحرى * فرمت بكف الذئب فك القسور
صالت وقد أرخى الدجاثوب الاما * ن على النديم فمزقته بخنجر
لم يحفظ العهد الذى عاهدته * إنى إذا نام الردى لم أسهر
جهل اللئيم مكان قدرى فاعدتى * ولو أنه يدرى به لم يغدر
كنت البليغ أخا الهدى غيث الندى * مجلى الصدى سيف العدا المولى السرى
إياك نفسى والفرار فإنما * يسعى الفتى للحين إن لم ينصر
ما الدهر إلا آلة كنفوسنا * يأتى بكل محتم ومقدر
من يدعى قدم الدهور فقوله * رد بتقسيم الزمان باشهر

وتداول الأيـــام ينبيء أنـــه * فــي ضمن كــن قد كـــان قبـــل تصور
هل ثم شيء غير ربى ثابـت * حـــق تـــراه ليـــس بالمتـغيـــر
أن تغلبى نفسى فإن مزية الـ * تدبيـــر تهـزم جيـــش مـلــك الأدهـــر
فالصبر سيف لايثلم حـــده * والحـــزم حصـــن للفتـــى المتفكـــر

فسمعت منى القول * وتبرأت من قوتها ولاحول * والتجأت إلى الجانب الذى لاتهدم دعائمه * ولاتسقط قوائمه * ولايدرك واصله * ولايغتال داخله * وكيف لا وهو جانب رب الأرباب * خالق الأجسام والألباب * فما هو إلا عهد قريب * حتى سهل المجيب * وأزال عنها الأتراح * وعوضها منها الانشراح * بالعود إلى الثغر المحروس * ثغر الاسكندرية المأنوس * فطمعت بعد الياس * واستبدلت الوحشة بالناس * إلا أنها كانت كطبعى الغيور * شديدة النفور * حيث لم تجد لآدابها سوقا تنفقها فيه * ولا محبا يتبعه ويقتفيه * فكادت ترجع لضلالها القديم * وإيذاء خادمها النديم * لولا أن الله تفضل عليها * بحضور بحر الآداب إليها * مخرس البلغاء بلفظه الوجيزه * سلالة الأدب والتمييز * فلان * فإنه بحر فضل تلاطمت أمواجه * وساحل نوق تحصنت أبراجه * وسفين فهم لاتغرقه الاهواء * وبدر مجد لا تزاحمه الانواء * فسكنت وحنت * ولولا ذلك لجنت * وهزمت جيش الهموم بنصره * ونسيت بؤس العصور بعصره * ودام هذا الحال عامين * كأنهما طرفة عين * ثم صال الدهر صوله ثائر * وانقض علينا كطائر * فمنا صاح حتى تفرقنا * وغربنا وشرقنا * وعاد البشر عبوسا * والنعمة بوسا *

سار السرور وأهـــله بســـلام * وحلت لديّ مرارة الأسقام
واستنزل البدر المنير من العلا * حقد الزمان وغيرة الأيـام

وما اعتدل الدهر ولا استقام * بعد هذا الانتقام * بل منعنى الصديق وقربه * وسلك بي طريق الغربه * وأنا فى كل وقت وحين * أطرب بذلك اللين * وأحن إليه * وأسلم عليه *

وكتب من القاهرة إلى صديقه الأديب أحمد أفندى على السابق الذكر بالمنصورة جل ربى خالق الأكوان * بلا شريك ولا أعوان * خص من شاء بما شاء بفضله * وقسم الأخلاق على عبيده بعدله * وباعد بين الصفات والأعراض * وباين بين المراد والأغراض * فانتظم الكون وفق الإرادة * ولم يقع فيه إلا ما أراده * فلو جلت بفكرك فى الوجود * وحققت النظر فى كل موجود * لمزجت السرور * بكدر الشرور * ورأيت الفرح * جليس الترح * وبدور الصلاح * فى سماء الطلاح * وشموس الجمال * فى وجوه الجبال * وتاج الحظ * على رأس كل فظ * فإن أردت الحقيقة * والوقوف على الدقيقة * أضناك الحال * واظماك الحال * فلا ترى خلا تقصده * ولا صديقا ترصده * لا تغيرت المحبة عداوة * والصداقة غباوه * والخلة نبحا * والحسن قبحا * والكرم ضنا * والصحة شنا * وهذا بحر شربته الناس وتناولته بالجفان لا الكاس * ومن فاته البحر أدرك الترعه * وارتشف منها رشفة أو جرعه * فلم يفق من هذا السكر إلا من عافه * وطلب من الله الكريم إسعافه * حتى تجرد من الأخلاق الدميمه * وبعد عن الموارد الذميمه * ورقى من الشهامة أعلاها * وسامر من نجوم المعارف أعلاها * كالبدر المهتدى إليه فى دجنة الأوهام * والشهم المرتقى اليه بمعارج الافهام * بيت المجد المرتضى * وسيف الفضل المنتضى * قوام اللطف الذى طابت عناصره * وعقدت عليه من الكمال خناصره * لا بل غزال المسك الذى طاب شذاه * ومعدن الأدب الذى استمال رضاه * صاحب القدر الجلى * أحمد الناس على *

فإنه فى هذا العصر آيه ولرهان الفضل غايه * لاتمل مجانسته* ولا تسأم مؤانسته * إن زرته زرت البدر * أو ليلة القدر * بل السحاب الماطر * والروض العاطر * فسلام عليه مار رفعت له اعلام جود * وأشرقت به شموس سعود * سلام يحاكى لطفه رقه * وفهمه دقه * وصفاء باطنه ودا * وصدق حديثه جدا * هذا وما الزمنى التقصير * وعاقنى عن التحرير * الأمرض قاسى * لزمنى فى

راسى * منذ أيابى من مدينتكم المأنوسه * إلى القاهرة المحروسة * فاحكم سكرى * وشوش فكرى * وإن شاء الله لو بقيت إلى أجل * وسهل الله عز وجل * عدت لانتشاق عطرك الندى * فقد اخلصتك ودى * فإنك لم تزل أوحد والعود أحمد * إن شاء مالك الملك * ومجرى الفلك

وكتب إليه من بداوى وكان مارا ببعض أطرافها فراى راكبا ممن يعرفهم قاصدا المنصورة بعد العنوان ما صورته

لولا عيان حروفك لقلت أنها أرواح * ولولا سواد السطور لقلت كوكب الاصباح * ولست أخشى أن قلت معناك جرم * والسكر منها لا من الثمار والكرم * وهكذا تكون رسائل المنشئين * فتبارك الله أحسن الخالقين * كم بليغ شهر بمعنى أو معنيين * حتى ضرب صيته صفحة المشرقين * وكلامك كله معان تؤثر * ولكنك كسر لم يشهر * أو كنز لم يفتح بابه * أو طلسم ماتت أربابه * وإلا فلو أنصفت لأخذ المتنبى بركابك * واندرج ابن عباد فى خدمة بابك * فحسبك من الحظ ما قام به لسانك * وابتهج برؤية لألئه إنسانك * أقول ذلك تسلية قدرك وجلاء لصدرك * وإن جل القدر عن الأنظار * وتطهر الصدر من الأغيار * ولو اتسع الوقت لأطلت الرسالة * فلا تؤاخذ على هذه العجاله * فإنها سطرت من قيام * عند وجود من يوصل السلام * سلامى على مقامك البديع * ومقامك المنيع * المأنوس بك وبروض الجمال * بدر الفضائل سيدى كمال * والسيد العظيم الجليل * شهم المحامد سيدى خليل * لاز الت المنصورة دار السلام * وأنت فى سماء لطفها بدر التمام .

رياض الرسائل * وحياض الوسائل

وهى رسائل أدبية فريدة فى بابها يدل عنوان كل واحدة منها على مضمونها فمنها الستر المسدول فى دلالة الانجيل على الرسول * والحصون المنيعه * فى الرد على أهل الطبيعه * والفكرة المطيعه * فى تطبيق الطبيعة على الشريعة * وتطهير الأنواق * فى حميد الصفات والأخلاق * والأبكار البديعه *

في الرد على المعتزلة والشيعه * والسهم السريع *فيما تضمنته * وقيل يا أرض * من البديع * واخراج الوديع من الظرف * في أن المعجز النسق لا الصرف * والشنه ورنه * فى أولاد مصر الزنه * والشجرة الفشاشه * فى أولاد مصر الحشاشه * وشد الدبلاق * فى أكتاف أهل بولاق * وحاوريني يا طيطه * فى الطربوش والبرنيطه * وصحبة السلامه * للابس العمامه * وغيرها كثير مما هو مدون فى مجموعة كان قد أودعها هى وديوان شعره الثالث عند من ضن بها لنشرها * ولم نظفر منها إلا بمقدمتها ورسالتين لم يسبقه أحد من كتاب العربية إلى مثلها كما ترى أما القدمة فهى يقول حليف الاحزان * مرجوح الاوزان * داء دهره * ودواء قهره * كاس الصبابه * ومدام تلك العصابه * كهرباء الغيد والغوانى * ومغنطيس الحان والأغانى * مسيغ مطعوم الوجد فهو له أديم * أسير الشوق ومولاه عبد الله نديم * يا مرسل الطرف فى رياض المعانى * ويامن هو للآداب معانى * خل ما تحب والتزم هذه البدائع * واستودع سمعك أطيب الودائع * وقف بجواد فكرك عند هذه الرسائل * فإنها لجميع مقاصدك أيم الوسائل * أمر قد وجب * وسببه عجب * من عهد مهدى أميل لصفاء الذات * وأرى تعذيبى بها أهنأ اللذات * فما زلت أصبو لهيفاء وأعشق ريما * وأصحب سيدا وأنادم كريما * حتى بعث الله مثير غرامى * وزند اضرامى * فاتح باب تهتكى * وناقض حبل تنسكى *ميدان حبى * وعنان لبى * قوس نبال منونى *وجفن مصقول فنونى* روض الجمال * وورد الكمال * كيمياء الأدب * وأكسير الأرب * روح الأرواح * ولطف الأرواح * لسان بلبل النباهه * وأكليل قمر الوجاهه * حبب شمول الأفراح * وحسام رؤوس الأتراح * غاية الدنيا * ومبدا العليا * زينة بيت السياده * ومفتاح باب السعاده * صفاء أفكار النهى * وبدر سماء البها *

لو أنه أذن العبيـــ * ـــد لكان ينطق باسمه
لكنه رسم التكتـــــــم فامتثلت لرسمه

حفظ * ما لفظ * ما بقى * شر ما يكدر مزاجه * أو يوجب علاجه * فعشقته وكان ما كان * وقلت ليس فى الإمكان أبدع مما كان * وملت إليه ميل الحديد للمغناطيس * وتروحت به تروحى بالظل وقت الوطيس * ولزمنى حفظه الله لزوم النشوة للخمر * والتوقد للجمر * وتصادقنا تصادق القطا * وتلاصقنا مودة لصق الغطا * لا يأفل لنا قمر * ولانحزم جنى ثمر * وكأن ذا بروضة بذرى * ومحل وفاء نذرى * فكاهة النفوس الزكية * زينة القطر وحليته الاسكندرية * فلما تحولت النحله * وتهيأت الرحله * فى مبدا عام «عج ضرره» = سنة ١٢٧٨ * بل بقبس توهج شرره * سافرت مع جنابه السعيد * إلا أنه حل بمصر وحللت بالصعيد * فلم يكن إلا نصف عام * حتى حضرت لمولى الانعام * ودار علينا صدق الوفاء براحات الألفه * وحملت جيوش المحبة على الطبيعة * فأهلكت الكلفه * واختلسنا النوم من جفون الزهر * وكحلنا به عيون الدهر * فذاك فتح وتنبه * وذا بالأموات تشبه * ونام ولا نومة عتود * وتحلى الوقت تحلى النحور بالعقود * وامتزجنا بالسرور امتزاج النور بالأحداق * وصاحبنا الصفاء مصاحبة الاجال للأرزاق * فصار مجلسنا الطف من جو مر به نسيم * وأظرف من ثغر بسيم * وأرق ما خفر فى بكر * وأدق من معنى فى فكر * تترامى علينا الأفراح ترامى الفراش على النور * ويلازمنا الأنس ملازمة السير للبدور * وبينما نحن فى تيه خريده * وثمل جريده * وإذا بالدهر انتبه من نومته * ونظر * فى حومته * فوجدنا فى قصر أنس حاجبه زهر * وخادمه نهر * وسقفه نشاط * وبساطه انبساط * وأرضه صفاء * وحوضه وفاء * وشموعه نجوم راح * وفراشه نسج أفراح * وطلاؤه مرمر البدر * معجون بليلة القدر * لانميل لسكته * ولانسكت عن نكته * خادمناخفه * ومنادمنا عفه * وحرفتنا الود * وكسبنا الجد * فدخل من غير اذن * وسقط سقوط المزن * ونظرنا نظرة حاسد * وتنهد تنهد حاقد * وقال عفا الله عما سلف * فدعا التيه والصلف * فقد بلغتما الغايه * وصرتما فى آيه * قد

سرقتما ورد السرور من الخد * سرقة يلزمكما عليها الحد * وحيث إن غذاكما النحافه * ولباسكما النظافه * فجزاؤكما التغريب * وعدم التقريب * وعينيك ما هى إلا ضربة تلغراف * أو حكة انحراف * حتى ارتد الحال وكفر * واستعد عين حياتى للسفر * وكانت إقامتى فى القصر * فاستودعنى فى مصر * فلا تسل عما صار * وقتما سار * فسل المزن عن دموعى * والنار عن ضلوعى * والطير عن قلبى * وأمس عن لبى * والقوس عن ظهرى * والأنجّ عن جهرى * والقاتل عن جلدى * والمسلى عن جسدى * ربما تعلم بعض ما نابنى * أو تتصور معنى مما رابنى * إلا أنه عند توجهه مصحوبا بالسلامة * دعا المسكين غلامه * وخاطبه بما سكن وجده * أعز الله مجده * وقال أحب أن تتواصل إلى رسائلك * وتسامرنى وسائلك * بشرط أن تكون أسطرها عشرين فما فوق * وأن يكون بعضها فى غزل وشوق * وبعضها نكتا أدبيه * وبعضها فوائد عربيه *هذه محاوره * والأخرى مسايره * تارة ظرائف خمريه * ومرة لطائف عمرية *وهكذا ترشف من كل دن * وتشطح فى كل فن * على أن تكون بحكايات ما طرأت الأفكار * ولا خرجت من الأوكار * وتلتزم الجناس فى الفقر * ليكون واقع فى الفكر * وأن لا تأخذ من شعر غيرك إلا بيتا أو بيتين * وأن تأتينى رسالة يوم الخميس ورسالة يوم الاثنين * وأن يكون أخر كل رسالة دخولا على أول ما بعدها * وهذه عروة نكرى لك فلا تنتقض عقدها * ثم توجه وأصبعى تحت نابى * والله يعلم ما بى * وكان معنا بعض أصحابنا * وجملة من أحبابنا * فالزمونى أن أكتب من كل رسالة ثلاث نسخ أو أربع * وهم ينظرونها بالاشتراك حيث لم تطبع * فصعبوا على الأمر * وأحرقونى بالجمر * ملاحظة عملى وبيتى وصحتى ونسخ وتأليف* إن ذا لأكبر عمل وأشق تكليف * ولكنى امتثلت * وما افتعلت * وأخذت عليهم العهود * إذا رأوا غير المعهود * أو عثروا على تحريف * أو قلب أو تصحيف * أن سلكوا صراط النصيحه * ويغيروه بعبارة فصيحه * أويتركوا الانتقاد وكشف الغطا * وينبهوا محررها

على الخطا * فنسأل الله تعالى أن يثير لها نسمة قبول * حتى تقع موقع الاستحسان والقبول * فإني لست من ركبان هذه الأفراس * ولامن أغضان تلك الأغراس * والصفح خير ما تدرع به عاقل * والعذر أحسن ما تردى به ناقل * وكل متكلم له غلط * وكم من إنسان خلط * فإن الناظر يقدح زند الافهام *والمؤلف يصيد شوارد الأوهام * وبالجملة فالمرء من ماء وطين * وله عقل ودين* فهو بالخيار بين الميل للطبيعة * أو الوقوف عند حد الشريعه * على أنى سامحت المتكلم قبل الوقوع * رجاء أن يكون للحق قريب الرجوع * هذا وقد سميت المجموع رياض الرسائل * وحياض الوسائل * ولكل رسالة اسم * ليكون لها كالوسم * فأول ما يهدى اليك * ويفد عليك *

(١) زند الأزهان * وزبد الأذهان

روى مديم الغرام * عن نديم الكرام * أنه قال * وقال في يوم * ثرت من النوم * في خجل * ووجل * من رؤيا منام * في بعض الأنام * ما رويته * بل رأيته * كأنه قيل * على فيل * سما * حتى السما * وثار * اذ سار * كالورق * بل البرق * يشق ثوب الدجا * لبلوغ الرجا * المزن تظله * والرواح[١] تقله * وقد أملته حدة الغيظ * عن شدة القيظ * قوته ذكر الظبا * وريه سيل الظبا[٢] * لا يرده بعد الشقه * ولا ارتكاب المشقه * فلما رأيته اقشعر جلدى * واكفهر جلدى ودار الإنسان بالحدق * ووقع القلب في الحرق * وعدمت الإحساس * ونسيت قصة ذى يزن وجساس * وكنت أقول في ابان سعدى * أنا صاحب عمرو بن معدى * ورامى نبل عنتره * وحامل لواء القنطره * أنا ساقى بزر جمهر السم * وقاطع خوذة رستم * وعينيك ما رايته حتى حرت * كانى سحرت * وتلفت تلفت السارق * ويئست يأس المارق (ومنها)

---

(١) الارواح جمع ريح
(٢) الظبا السيوف

فقدمت عليه * وتملقت اليه * بعد أن بدأته بالسلام * على عادة الكرام * فدل وتاه * وما نطق ولا فاه * ودام على كبره * والضن بخبره * فأدركني ماهو نا فع * بيت قلته * وأنا يافع *

إن المدامة لو صبت على جبل * خرت معاطفه تجرى بها الريح

وقلت فطنة اياس * ما بها ياس *

وثـرت كالليث قد لاحت فريسته * ناديت بدرا له الارواح فى أسر

وقلت هات لنا بكرا تغازلنا * مشمولة بوشاح عاطر النشر

وعاطفها ضيفنا واجلس بحضرته * وامنحه منك لذيذ الشهد بالثغر

حتى إذا لعبت بالعقل وانتعشت * منه الجوارح كن كالليل إذ يسرى

فطاف بالشمس يجلوها على يدها * بصورة طبعت فى صفحة البدر

لاحت أشعتها بالكاس فاتقدت * فالكاس فى خمرة والخمر فى جمر

والبدر فى صلف والشمس فى شرف * والضيف قد ألف الأمرين كالفجر

وحقك ماهى إلا لحظة * حتى دار لحظه * واخذت الكاس * حواس الراس *ولعبت الراح * بالأرواح

وبعد نثر وأبيان اسأله فيها عن اسمه آخرها

يا غافلا ان الذى * فى حيكم داعى الغرام

فقلت قد أبنت الاسم * وحقيقة الوسم * فأين الوطن * يا فطن * فأنشد وغردً وغنى وردد

قلب الكمى وصدره * هو مسكنى وبه المقام

حتى اذا ما شمته * حل به قوم كرام

فقلت وأين * قومك * حمد يومك * وهل هم على خلقك * وفى خلقك * أم أصناف * أبن بإنصاف * فقد خلبت الالباب * إذ أتيت باللباب * فقال قد دخل وقت الأصيل * وحنت ناقتى للفصيل * ولئن بقيت إلى يوم الاثنين * أخبرتك عن قومى وفائدتين * وبمشيئة من ذل الوجود لقهره *.

(٢) حوض الخمر * وخوض الجمر

فلما سمع مديم الغرام * قصة نديم الكرام * قال ما أحلى رؤيتك * وأعلى رويتك * إنها لمن أعذب القصص * وأصعب الغصص * تاهت لديها العقول * ولم تر قبل فى منقول * سياقها بديع * ومساقها مريع * ولكن عهدى انك جبان * ضعيف الجنان * يدهشك طنين الذباب * ويميتك عواء الذئاب * ان أبصرت غير جنسك * لم تدر يومك من أمسك * أو سلم عليك انسان * غاب منك الانسان * فكيف قوى فؤادك * وطاب لك رقادك * وصفا عيشك * وسارت عيسك * مع هذه الرؤيا الهائله * وقت القائله * ولو رآها انو شروان * ما رقى الايوان * أو علمها عبد المسيح * قضى قبل سطيح * أو قصت على ابن سيرين * ما كان فى المفسرين * فقال نديم * يا مديم * إن لله نعما لاتحصى * والطافا لاتستقصى * يلهم الصبر عن الملمات * ويمهل القلب عند المهمات * وانظر إلى النخله * ذات النحله * تميل مع النسيم * بوجه بسيم * وتثبت عند القواصف * والرياح العواصف * وهى كالأم الواجده * على حالة واحده * إن هذه الأوصاف * إلا ألطاف * وما تعهده فى طبيعتى من الجبن * وكلامى من الخبن * كان فى الصغر * قبل ركوب السفر * ومعاناة الأمور * ومعاداة الدهور * فإن من ألف الراحه * وأنف السياحه * واقتصر على مصره * ورجال عصره * كان كطير القنص * اذا وضع فى القفص * يفرح بمطعوم جنسه ومائه * ويمرح بين أرض حبسه وسمائه * فإن غابت عنه الميره * ادركته الدهشة والحيره * يستغيث فلا يغاث * حتى يصير كالبغاث[١] * وان فتح له الباب * غاب عنه اللباب * وعدم فكره وضل وكره * وضل وكره * فربما

---

(١) البغاث ضعاف الطير وعليه المثل حتى البغاث بأرضنا تستنسر

فر من شبكه * ووقع فى ملكه * ولا يزال على هذه الحال * فى الحط والترحال * حتى تفيض أمنيته * وتفيض منيته * أما من زاد التنفل * وأراد التنقل * واختار التغرب *على التقرب * وقال قولا ما به جدل* فاغترب تلق عن الأهل بدل * فهو كالكركى * تارة شبامى ومرة تركى * وأونة مصرى * وأخرى بصرى * لايحرم من القفار نيلها * ولامن الأنهار نيلها * ولا يفوته خير سيحون * وفضل قوله تعالى السائحون * وعلم ما فى البربى * من صفات العرب العربا * ورأى الطائف وكرومه * وغرابة كنيسة رومه * وتمتع بالأنيسة والأنيس * من ظباء وغوانى باريس * ونظر قرى كل اقليم وبندره * وتحقق حسن صنائع لندره * وسمع الصبا والعراق * من أغانى العراق * وعلم أن أحسن ما يكون الفرند * من صنعة حذاق الهند * فان شام * بر الشام* ورام رياضه * ودخل عياضه * وتنزه فى دوره * وتمتع ببدوره * اتخذه جنه * وقال هو الجنه * وتارة يطلب النجازً بارض الحجاز * وفارسا لفارس * مع صناديد فارس * ويعضد ايمانه ودينه * بزيارة ساكن المدينه * صلى عليه الله * وما هو أهله أولاه * ويسأل الغرفات * فى جبل عرفات * ويرى ما بأرض الحبش * من أفعى وحنش * ونازى ومحريب * وتيزى وعرديب(١) * فوارس صنديد * وجبار عنيد * فإن نظر من الجوب بريقا * وتوجه إلى أمريقا * وتفرج على صنائعها * وما يظهر من دوائعها * علم انها الدنيا * وسلم العليا * فإن ارتحل إلى الصين * وانتقل بعده إلى الشين * ورأي الصنعة التى تدهش العقول * ولم تر قبل فى منقول * هنالك يقوى قلبه * وإن كثر بالأسفار

---

(١) النازى نبات يقتل دود البطن والمحريب نبت يمنعالمغس والتيزي الفول السودانى والعرديب التمر هندى

غلبه * ولئن أطلت * قلت مطلت * أو دللت * مللت * وفى قصة ذات النقاب والحجاب * أطلعك على العجب العجاب * وأراك استعظمت ما سمعت * وفى خبر الأقوام طمعت * فقال مديم * يانديم * فاخذ نديم فى البراعه * وقال سمعا وطاعه * لما جاء يوم الاثنين * وتذكرت القوم والفائدتين * نمت * كأنى مت * رغبة فى الفائده * ورهبة من العائده * فكانى انظر إلى رحله * وقد دهمنى بخيله ورجله * بجيش كالليل * مدلج كالسيل * فقلت أهذا صاحبى * وذا به صاح بى * وقال منى عليك السلام * يانديم الكرام * صرت علينا محسوبا * وَالينا منسوبا * وجدناك لطيف العباره * فمنحناك الزياره * ولكن إن كنت لخبر الاقوام مشتاقا * أخذنا عليك ميثاقا * لئن خالفت سنة العشاق * وحالفت سنة الفساق* ليطافن بك فى الاسواق * نكالا لا دعاتك الأشواق * فإن كنت بهذا راضيا * وعلى نفسك قاضيا * أخبرناك الخبر * والبسناك الحبر * والا فعش والها بالشعير والبقله * مولعا بالحمار والبغله * كأحد العيرين * وثالث البعيرين * فقلت ماهذا الكلام * الموجب الكلام * وكيف أكون والها بالقبلة والشعير * وقلبى مذ فارقته فى السعير * أم كيف أكون مولعا بالبغلة والحمار * ومنادمتك اكسبت عقلي الخمار * فقال على بالمدام * وزده وصفاً مع الغلام * فقلت حبا وكرامه * اصفها وقوامه * أصخ لى سمعك * وكف دمعك * فالأوقات الصافيه * فى شرب الصافيه * حيث الراحات تدور * على راحات البدور * وليس للسرور سبيل سوى السلسبيل* ومتعاطى الحميا * يطأ باقدامه الثريا * بل لا يصفى الفكر * إلا الكميت البكر * ولا يقيم الفقار * غير العقار * تشيم المسك الفتيق * من السلاف العتيق * وإذا أردت اللحظ * فى مجلس الحظ * خرقت الحجب * ورأيت العجب *

كسرى وقيصر والساقى اخلاء * إن رتبت لقوام الروح أنداء

والأنجم الزهر فى الكاسات طالعة * والبدر ساق وشمس الأنس غراء

فللسرور سحاب ثم ممطره * وللصفا فى سماء الروح اسراء

قل للطبيب اسقنى بكرا تغازلنى * وداونى بالتى كانت هى الداء

فقال يانديم الكرام * إذا أتيت بالمدام * وقصرت الملام * أخبرتك خبر الأقوام * بما هو جدير بالتسطير والتحبير * ولا ينبئك مثل خبير * فأتيته بالسلاف * كعادة الأسلاف * فزاد فى الشراب* عن الشرب * واضطجع وتوسد * وانطلق وانشد *

قوى لاخل الهوى عز ومسكنة * ذل ومكرمة انس واحزان

لو لو تروا وترا فى قوس حاجبهم * صاد الورى بهلال النيل انسان

فالوجد قائدهم والسقم عائدهم * والشوق رائدهم والحسن سلطان

لو مر قائدهم بالنار لانحدرت * والماء منه اشتكى الاجراق ظمآن

أوحل عائدهم بالهر أو نظر الـ * بدرين لاندرست للكل أعيان

أو رام رائدهم شم الجبال غدا * للكل فى سائر الأحوال أشجان

سلطاننا لو رنا للكون قاطبة * فالكل فى أسره قيل وأعوان

والجسم في عرفهم كالعود قد سكنا * ضدان فى قلبه ماء ونيران

ماء الحياة سرى بالروح أن وصلوا * فإن هم هجروا تفقده أغصان

فقلت أعوذ بالله من سوء قومك * وشؤم يومك * أيرضى عاقل بهذا * ويتخذهم ملاذا * أم يدخل معهم حديقه * بعد أن علم الحقيقة * لك الحمد ربى

على الجهل * والاقتصار على الأمل * فإن من كلف العزل هوى * ومن تكلف الغزل زعم أنه ذو هوى * وكنت منحتك من المحبه * قيراطا وحبه * والآن تخلصت من القياد * وحصلت على الفؤاد * فقد صدق القائل * ومنح السائل *

فلم ترني الأيام خلا تسرني * مباديه إلا ساءني في العواقب

أتريد أن أتحمل الأثم وما حواه * وأدخل فى قوله تعالى ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه * تأمل قوله جل شأنه واتبع هواه فتردى * واسمع أفمن يمشى مكبا عى وجهه أهدى * فقال ياجاهل * عدمت الكامل * لو تأملت القرآن وما فيه * وعلمت قوله تعالى فذلكن الذى لمتتنى فيه * أو لم تكن ممن اتبع هواه * وسمعت قوله يحبونهم كحب الله * تحققت ولكن الله ألف بينهم * وحمدت قومى ويومهم * ثم مد يده لصدرى * فأضاع نور بدرى * وقال ترى هذا فارغ أم ملآن * من زمن أم الآن * فقلت دعنى * أى شىء تعنى * فقال أراه فى الهوى * قد غوى * فقلت الهوى خبل * ونحن فى جبل * وما أسباب الهوى * أقرب أم نوى * فقال قد اعترفت * ومن بحره اغترفت * أليس اسمك نديم الكرام * يا أسير الغرام * فقلت اسم وضعه غير أبى * وهو أبى * فقال نظر لك بالفراسة * فاركبك افراسه * واعلم أن من بصرك * فقد نصرك * ومن وعظك * فقد أيقظك * فقلت اذا فقد العقل حجابه * ساء سمعا فاساء أجابه * ما عقلت * وما نقلت * فقال يا أحيل من ثعلب * وأمكر من تغلب * ظهرت فيك العلامات * وحظك فى العلامات * وما أنا تاركك كاليحمور * إذا دار كالمخمور * ولئن بقيت إلى يوم الجمعه * لأمتعن نظرك بما يجرى دمعه * وأرى قلبك الشوق ومثواه * بعزة الله *

***

(القسم الثانى)

منتخبات التنكيت والتبكيت

منتخبات من العدد الأول الصادر بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٩٨هـ (٦ يونيو سنة ١٨٨١)

(إعلان إلى النبهاء والأذكياء من أبناء بجدة اللغة العربية)

اليكم يراعى فاستخدموه فى مقترحات أفكاركم العالية وصحيفتى فاملأوها بآدابكم المألوفة وبدائعكم الرائقة فاليراع وطنى يخاطب القوم بلغتهم ويطيعهم فيما يأمرون به والصحيفة عربية لاتبخل بالعطاء ولا ترد الهدية وأنتم كرام اللغة وإخوان الوطنية فشدوا عضد أخيكم بالقبول والاغضاء عن العيوب وساعدوه بأفكار توسع دائرة التهذيب وتفتح * أبواب الكمال وكونوا معى فى المشرب الذى التزمته والمذهب الذى انتحلته أفكار تخيلية وفوائد تاريخية وأمثال أدبية وتبكيت ينادى بقبح الجهالة وذم الخرافات لنتعاون بهذه الخدمة على محو ما صرنا به مثله فى الوجود من ركوب متن الغواية واتباع الهوى اللذين أضلانا سواء السبيل .

***

المقدمة

حمدا لله تعالى فاتحة كل كتاب * والصلاة على انبياءه منهج ذوى الألباب

(أيها الناطق بالضاد)

أتقدم بين يديك بخدمة وطنية دعانى إليها حبى فيك وخوفى عليك وماهى بالعظيمة فتشكر ولا بالبليغة فتمدح وإنما هى صحيفة أدبية تهذيبية تتلو حكما

وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات بعبارة سهلة لايحتقرها العالم ولايحتاج معها الجاهل إلى تفسير تصور لك الوقائع والحوادث فى صور ترتاح إليها النفوس وتميل. ويخبرك ظاهرها المستهجن بان باطنها له معان مألوفة وينبهك نقابها الخلق بان تحته جمالا يعشق وحسنا تذهب الأرواح في طلبه .. هجوها تنكيت ومدحها تبكيت ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ولا مفتخرة برقة قلم محررها وفخامة لفظه وبلاغة عبارته ولامعربة عن غزارة علمه وتوقد ذكائه ولكنها أحاديث تعودنا عليها ولغة الفنا المسامرة بها لا تلجئك إلى قاموس الفيروزابادى ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولاتضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها ولا شيخ يفسر لك معانيها فهى فى مجلسك كصاحب يكلمك بما تعلم وفى بيتك كخادم يطلب منك ما تقدر عليه ونديم يسامرك بما تحب وتهوى فاجعل لها نصيبا من عمرك الجليل ومتعها بنظرة تجلو مرآتها و تبصر خباياها ولاتفوق سهام الرد قبل أن تدخل معها المضمار ولا تنكر عليها ما تحدث به قبل أن تطبقه على أحوالنا ولا تظن مضحكاتها هزؤا بنا ولاسخرية بأعمالنا فما هى إلا نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا فإن صدقت فى الخدمة فاجرى منك المساعدة وأن قصرت فقد بلغت جهدى وصرفت ما فى إمكانى فإن شئت عذرت وإن شئت أطلقت عنان أفكارك فى ميدان يكبو فيه جوادى

ولسنا بدار الحرب أو أرض فتنة * ولكن لنا فى العالمين نظير

سهروا الليالى فاستراحوا دهورا وما بلغوا مقام العزة بلهو ولا لعب ولا إفساد ولا خروج عن حدود الإنسانية وإنما نظروا إلى الإنسان فرأوه فعالا ما اضطر أو اضطر وقد اضطرهم تقدم الأمم إلى النظر فيما يعظم ثروتهم ويؤيد

حكومتهم ويعلى كلمتهم ويظهر وطنيتهم فماتركوا خفيا إلا أظهروه ولا مجهولا إلا علموه ولا مشكلا إلا حلوه ولا معمى إلا فسروه فباتوا غرقى فى بحار الخشونة والخرافات وأصبحوا فى سفن السياحة يعبرون بها بحار الوجود لمباح يملكونه ومهدر يختلسونه وتجارة يوسعونها وأمة يسوسونها وأنت أنت تفخر بعزة الآباء وتمرح فى أرض اتسع غامرها وقل عامرها وضعفت حجابها وفتحت أبوابها فهى كدار الضيافة يقابل فيها القادم بالسلام والترحاب ويتمتع فيها الضيف بكرم لايدخل تحت حساب مع تعظيم يجل عن مقامه واحترام برقيق الكلام وإن انتهب حقا سامحناه وإن أغتصب لايبلغه فى إشراف قومه إن غضب ترضيناه بتقبيل الأيدى والأقدام وإن فحش قابلناه برقيق الكلام وإن انتهب حقا سامحناه وإن اغتصب مالا زدناه فإنه عزيز فى الوجود رفعه العلم إلى درجة يعدنا فيها من البهائم وأوصلته محبة الجنسية إلى مقام يصعب علينا الوصول إليه فهو فى عالم ونحن فيه عالم وإن جمعنا فى مكان .

ويا أيها المصرى ألا تذكر ما كنت فيه من حضيض الخسف وحفرة الذل وتراجع ما كنت تقاسيه من دفع المغارم وتحمل المظالم وتقابل ماضيك بحاضرك لتعرف فضل النعمة وقد الإحسان . الا ترقب حكومتك فى أعمالها لتهتدى إلى سبيل التقدم وطريق العرفان ألا تقرأ ما ينشر عليك من الأوامر الداعية إلى الائتلاف المحذرة من الاختلاف الداحضة حجج أهل البغى والفساد. ألا تنظر ما تعقده من المجالس لتخلصك به من مخالب المصائب التى أوقعك فيها جهلك وبعدك عن التبصر فى العواقب وإهمالك فى حقوق الوطنية وواجبات الإنسانية . أظنك لو تدبرت أمرك لاستحييت من مقابلة من لم يولد فى أرضك وعلمت أنك فى احتياج إلى مهذب يرشدك ومؤدب يوقفك عند حدودك

ومنبه يوقظك من غفلة الكسل ونومة الإهمال. على أنك أهل الذكاء ورب البلاغة ومنبع المعارف ومبتدع الصنائع ولكنك جهلت تاريخك. وسأتحفك بغرائب قومك ومناقب أصلك أقدمها إليك شذورا مردفة بما نحن فيه من التبكيت لتعذر المتتهد وترحم المسكين وتكون من الذين أعادوا مجدهم وأحيوا أوطانهم فأصبحوا ببقاء ذكرهم فى الوجود من الخالدين .

(مجلس طبى)

(على مصاب بالافرنجى)

كل هذا المصاب صحيح البنية قوى الأعصاب جميل الصورة لطيف الشكل ما رآه فارغ القلب إلا صبا ولا سمع بذكره بعيد إلا طار إليه شوقا نشأ فى العالم روضة ودار به أهل يحفظونه من الأعداء ويدفعون عنه الوشاة والرقباء وقد مات فى حبه جملة من العشاق الذين خاطروا فى وصاله بالأرواح والأموال وكلما وصل إليه واحد سحره برقة ألفاظه وعذوبة كلامه وسلب عقله ببهجة يحار الطرف فيها وعزة لا يشاركه فيها مشارك وهو هو غزال فى الخفة غصن فى اللين بدر فى البهجة جنة فى المنظر تمر عليه الدهور فتزيده حسنا وتتوالى عليه العشاق فتزداد خياما وأهله فرحون بهذا البديع الفريد والطالع السعيد يعشقون الموت فى حياته وقد اتفقوا على توحيد كلمتهم فى حفظه وجمع شتاتهم فى رحابه وصرف حياتهم الطيبة فى بقائه فى الوجود معززا بأهله مؤيدا بعشائره حتى لا تمد اليه يد عدو ولا يوجه إليه فكر محتال ولا يقرب منه مغتال.

وبينما هو يتيه بحسنه ويدل بجماله صحبه أحد المضلين واستماله بنفاق تميل إليه النفوس وتملق يخجل فظن أهله أن هذا المضل من الاتقياء الذين

لايعرفون اللهو ولا يميلون إلى المفاسد وسلموه جنة حياتهم وروضة ثروتهم فدار به فى الأسواق والطرقات وعرضه للعشاق تقبله جهارا وتسلبه حلى أصابعه وزينة صدره وقد علموا أن الجمال يأسر الجميل فأحضروا من الغوانى من تعارض الشمس بحسنها وتكسف البدر بنورها فدرن فى سبيل بيته يغازلن

أهله بنغمات تحرك الجبان ومؤانسة تستميل الشجعان حتى سلبن العقول وحولن الطباع ويغضن المحبوب إليهم والهين كل ذى لب عن أفكاره وانسين كل مدبر ما كان يتصوره من نوابغ الحكم وغريب الأمثال وجعلن الجمال مبذولا بلا قيمة والوصال ممنوحا بلا مقدمات وذاك الصاحب مكب على هواه مغرم بجمع الغرباء واستدعاء الاعداء ومصاحبة الاشقياء ومسامرة الاغبياء ينام ومحبوبه قلق ويضحك ومعشوقه كئيب إلا أن هذا الغزال الطاهر العرض لما رأى أهله أهدروه وأهملوه واشتغلوا بالغوانى وولعوا بخدمة الأجانب وانكبوا على الملاهى

يتتبعون آثارها استسلم للقضاء وترك النفار والتحمس ومال مع أعراض هذا الصاحب وسار معه فى طريق لايرى فيه أحدا من أهله فما هى إلا رشفة كاس حتى اصفر وجهه وارتخت أعضاؤه وذهبت بهجته فسلم جسمه الشريف إلى الفرش يتململ عليه ففطن له واحد من أهله وزاره فى خربة لم يجد فيها غير شبح يعلل نفسه بالأمانى ويصعد الزفرات وقد برزت عظام وجهه وغارت عيناه وتشوه وجهه وتبدلت محاسنه بقبائح تنفر منها الطباع فبكى وانتحب وقال

أي حياتى أى جنتى أي نزهتى أى مطلع عزى ما الذى أصابك أين جمالك البديع أين محياك الزاهى أين حسنك الذى أفنى الكثير من العشاق اين صحتك التى أشابت الدهور وهى فى عنفوان الشباب أين قوتك التى أسرت بها الأشباح أين رقتك التى جذبت بها الأرواح أين ما كان عليك من الحلى والزينة أين تاجك

الذى ما لبسه إنسان إلا افتخر على الوجود، أية نفس تراك فى هذه الخربة ولاتفيض حزنا أى قلب يرى وهنك ولايتفطر كمدا أية عين ترى تشويه ذاتك ولاتطمس أسفا زحزح الهم عنى بجواب يبين الحقيقة لعلى أتدارك من أمرك ما بقى واحفظ من صحتك ما عساك أن تنشق به نسيم الحياة فتنفس المصاب تنفس الضعيف ورمقه بعين لايكاد يتحرك جفنها وقال بصوت خفى (لا يعز عليك جسم أمرضه أهله) فإنكم تركتمونى لصاحبى يدور بى أينما دار فعرضنى لمن لم أعرف طبعه ولا عادته ولا لغته ووكل بى من يغرنى ويسلك بي سبيل الغواية فلم أجد بدا من الموافقة ودرت معهم فى أماكن اللهو حتى أصبت بالداء الإفرنجى فلم أعبأ به فى أول الأمر وتركت نفسى وكتمت خبرى فإنى لم أجد أحدا من أهلى حولى ولم أعلم أن الداء سرى فى دمى وعروقى وتمكن من عظامى وأعصابى حتى لم يترك عضوا من أعضائى إلا نشب فيه فلما ضعفت قواى وتعطلت حواسى سقطت فى هذه الخربة أقلب جسمى على الأحجار وأرمق بعينى آثار أهلى وقصورهم المتهدمة ولكن لا أستطيع حراكا حتى كنت أغالب هذا الإفرنجى وأصل إلى قمرّى ومنشا عزى فأعالج نفسى بحشائش تربتى وعقاقير أرضى من يد أطباء بلادى وصيادلة ديارى فإن قويت على فاحملنى وأن تأنيت من صديدي فاجمع إلىّ قومى لعلى أجد فيهم من يقبل على جيفتى ويسعى فى نجاتى فقام هذا الزائر يضرب الكف بالكف أسفا ويعض أنامله غيظا وأسرع إلى الحى ونادى أيتها القبور الصامتة انشقى وانفرجى وابعثى من فيك من الأموات فقد أتت الطامة الكبرى وانكدرت نجوم النشور. ويا أيتها الأرواح الخامدة هلمى إلى أجسامك البالية فأقيميها من موتتها وابعثيها فى الوجود لتنظر هذا الذى تشقى بعدمه وتحاسب عليه فلم يكن إلا كلمح البصر حتى ملىء الفضاء بإناس لا عداد لهم يقدمهم طبيب بارع قد استصحب

معه جملة من الأطباء وساروا إلى تلك الجيفة واحتاطوا بها يقلبونها عن اليمين وعن الشمال ويقرعون صدرها ويجسون نبضها حتى وقفوا على دائها وعلموا أصل مصابها فحكموا على صاحبها بانتزاحه عنها وعدم قربه منها وفوضوا أمر هذا المصاب إلى الطبيب البارع يتولى علاجه ويداوى جراحه فطلب من بقية الأطباء أن يرافقوه في هذه المعالجة ليتقوى بأفكارهم على ما يصلح به هذا الجسد الشريف وبعد تبادل الأفكار بينهم قر الراى على أنهم يركبون له دواء يوقف سريان الداء الآن حيث تحكم وتمكن وبعد ذلك يتداولون فيما يزيل المرض ويعيد الصحة فتعلق بهم أهله يسألونهم الاسراع في معالجته والاجتهاد فى دفع مصابه فترضتهم الاطباء وسألتهم الهدو والسكون ومساعدتهم فى خدمته وتنظيف محله وتطهير أعضائه وحفظه بحيث لا يتركون الغرباء يتولون خدمته ولايمكنون الأجانب من الوصول إليه خوفا من إفسادهم العلاج وسعيهم فى إتلافه أكثر مما صنعوه به فكثر صياح أهله وعلت أصواتهم بالعويل ووضعوا أيديهم على أكبادهم وتصبروا وابتدوا يعملون بمشورة الأطباء ويبذلون الجهد فى وقايته وصيانته من كل من كان من جنس مصيبيه . قال الراوى وبينما أنا أبكى وأنوح مع هؤلاء المساكين وإذا بالمؤذن ينادى حى على الفلاح فقمت لأقضى الفرض وأعود لمباشرة الخدمة مع إخوانى إذ لم أر قبل هذا اجتماع مجلس طبى على مصاب بالافرنجي..

(عربى تفرنج)

ولد لأحد الفلاحين ولد فسماه زعيط وتركه يلعب فى التراب وينام فى الوحل حتى صار يقدر على تسريح الجاموسه فسرحه مع البهائم إلى الغيط يسوق الساقية ويحول الماء وكان يعطيه كل يوم أربع حندويلات وأربعة أمخاخ بصل

وفى العيد كان يقدم له اليخنى ليمتعه بأكل اللحم بالبصل وبينما هو يسوق الساقية وأبوه جالس عنده مر بهما أحد التجار فقال لأبيه لو أرسلت ابنك إلى المدرسة لتعلم وصار إنسانا فأخذه وسلمه إلى المدرسة فلما أتم العلوم الابتدائية أرسلته الحكومة إلى أوروبا لتعلم فن عينته له فبعد أربع سنين ركب الوابور وجاء عائدا إلى بلاده فمن فرح أبيه حضر إلى الاسكندرية ووقف برصيف الجمرك ينتظره فلما خرج من الفلوكة قرب أبوه ليحتضنه ويقبله شأن الوالد المحب لولده فدفعه فى صدره وجرت بينهما هذه العبارة

زعيط.. سبحان الله عندكم يامسلمين مسألة الحضن دى قبيحه جدا

معيط.. أمال يا ابنى نسلم على بعض ازاى

زعيط .. قول بون اريفى وحط ايدك فى ايدى مره واحده وخلاص

معيط. لهو يابنى انا بقول منيش ريفى

زعيط. موش ريفى ياشيخ انتم يا ابناء العرب زى البهايم

معيط. الله يسترك يازعيط والله جا خيرك يا ابنى فوت روح فوت فلما وصل به الكفر قامت أمه وعملت له طاجنا فى الفرن مملوءً لحما ببصل فلما رآه قال لها ، ليه كترتى من الـ معيكه من ال ايه يا زعيط. زعيط من البتاع اللى اسمه ايه. معيكه.. اسمه ايه يا ابنى الفلفل.. زعيط نو نو ال دى البتاع اللى ينزرع . معيكه . الفله يا ابنى. زعيط. نو نو دي اللى يبقى له راس فى الأرض. معيكه . والله يا ابنى ما فيه ريحة التوم. زعيط البتاع اللى يدمع العينين اسمو أو نيون . معيكه . والله ياابنى ما فيه اونيون ولا . دا لحم ببصل زعيط سى سا بصل بصل.

معيكه.. ويازعيط يا ابنى نسيت البصل وانت كان أكلك كله منه

مـعيط. شكاه لأحد النبهاء وقال ولدى توجه إلى أوروبا وحضر يذم بلاده وأهله ونسى لغته فقال له النبيه ولدك لم يتهذب صغيرا ولا تعلم حقوق وطنه ولا عرق حق لغته ولا قدر شرف الأمة ولا ثمرة الحرص على عوائد الأهل ولا مزية الوطنية فهو وإن كان تعلم علوما إلا أنها لاتفيد وطنه شيئا فإنه لايميل إلى إخوانه ولايستحسن إلا من يعرف لغتهم على أنه أصبح كالغراب لما أراد أن يقلد الحجل فى مشيته وعجز عن التقليد واستحال عليه عوده لطبيعته الأولى فأصبح يقفز قفزا وقد خرج عن حد الجنسية وطباع النوعية ولايفعل فعل ولدك إلا لئم جاهل بوطنه فكم من شبان تعلمت فى أوروبا وعادت محافظة على مذهبها وعوائدها ولغتها وصرفت علومها فى تقدم بلادها وأبنائها ولم ينطبق عليهم عنوان عربى تفرنج .

(سهرة الانطباع)

دخل أحد المهذبين بيتا من بيوت رجال الملاهى فوجد عشرة من الرجال جالسين على الأسرة مبهوتين ساكتين لايتكلمون ولا يتحركون ولا يرفعون أبصارهم هذا واضع عنقه على كتفه وذا مكفى على المخدة وذاك يتمايل كالنائم وآخر واضع يده على خديه فظن المهذب أن رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكدرون مما أصابه مشفقون عليه فجلس فى ناحية من المجلس وسأل رب الدار قائلا لعلكم بخير هل من أمر نزل بالسيد حفظه الله قال لا ولكن عادتنا أن نجتمع كل ليلة للأنس والمفاكهة.

المهذب . أظنكم تتذاكرون فى تقدم صنائع أوروبا وانتشار تجارتها فى سائر الأقطار حتى عظمت ثروتها وتقوت شوكتها.

رب الدار. ما لنا علم بأوروبا ولا أهلها فإننا ما خرجنا من مصر مدة حياتنا

المهذب. عدم الخروج من البلاد ليس شرطا فى وقوف الإنسان على حقائق الأشياء وعلمه بأخبار من بعد عنه فإن التواريخ وصحف الأخبار تقص علينا أحاديث الأمم ونحن جلوس فى بيوتنا.

رب الدار. التواريخ لا يقرأها إلا العلماء والصحف لا يسأل عنها إلا الخواجات فإنها عبارة عن حكاية يتسلى بها الشبان.

المهذب. الصحف يا سيدى ألسنة الأمم وترجمان الملوك تنقل لك ماقاله هذا الرئيس وهو بأقصى الغرب وما أجاب هذا الأمير وهو فى أطراف الشرق وتخبرك بالمحاورات السياسية وأغراض الملوك وأحوال الأمم وسير التجارة وأعمال العقلاء وصنائع العلماء وخطب النبهاء وتاريخ الأذكياء وما قامت به هذه الأمة من عمار وطنها وحمايتها له وحفظه من امتداد أيدى الغير إليه وما أهملت فيه تلك الأمة حتى خالطها الغريب وتداخل فى شأنها وحجر على أهلها عوائدهم ومذاهبهم .

رب الدار . هذا شىء يوجب وجع الدماغ ويشتت الفكر ولايشتغل به إلا من ليس له شغل.

المهذب . أظنكم تتحدثون فى شؤونكم وتتذاكرون فى أشغالكم الخاصة بكم لعلكم تهتدون لأمر يزيد فى الثروة أكثر مما أنتم عليه لتفاخر بكم حكومتكم وتكافئكم على أتعابكم واجتهادكم بالرتب العالية والعلامات الشريفة .

رب الدار . هذا أمر لايهمنا فإن البلاد إذاتقدمت أو تأخرت لاتفيدنا شيئا أحسن مما نحن فيه .

المهذب. ما هو الذى وصلتم إليه يا سيدى من التقدم.

رب الدار. لله الحمد كل منا له بيت عظيم بحوش واسع ومضيفه لطيفه وعنده من الخدم ما يقوم بإدارة أشغاله وقد تركت لنا آباؤنا أموالا لا تفنيها الأيام فنحن فى نعمة عظيمة ترى المسكين من الناس يقوم فى الفجر لأشغاله ويبيت يكتب ويحسب ونحن لانخرج من البيوت إلا قبل الظهر بقليل ونعود إليها وقت العصر للمسامرة بالمضحكات والنكات اللطيفة .

المهذب. إذا كانت هذه عادتكم فلم تجتمعون في هذه السهره

رب الدار. عادة الكيف أنه لايفرح إلا إذا تعاطاه الإنسان فى مجلس أنس بضحك ولعب فنحن نجتمع ليتعاطى كل منا منزوله ثم تدور النكته بيننا فإذا ونّن الإنسان وخدر قام ودخل محل النوم حسب العادة فيبيت مبسوطا لا يسأل عن الدنيا ولا من فيها ثم التفت إلى أقرانه وقال رأيكم ايه يا أسيادنا فى هذه العبارة فأجابه الجميع بصوت واحد «مفيش غير كده إحنا مالنا ومال الدنيا والتجارة والتواريخ إحنا رايحين نبقى زى الافرنج اللى كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه زيى اللى الدنيا ملكهم هأ هأ هع».

المهذب. هكذا تكون حال من لم يتهذب صغيرا فإنه يخرج أسير شهواته بعيدا عن إدراك المعاني جبانا بليدا غبيا ولكن قد كسفت شمسكم وظهرت أنوار المعارف والآداب وأصبحت الحكومة فى جد واجتهاد تقدم بهما رجالهما وتبعثكم من قبور الغفلة إلى جنات المعارف والأمة تبيت تبحث عن أسباب تأخرها وما يوجب تقدمها فهى الحكومة يد واحدة فى إحياء الوطن وتوسيع تجارته وتأييد كلمته ولا نلبث أن نرى البيوت والمجامع كلها محافل آداب

ومجالس مباحثات وتصبح الأطفال تبحث فى حال من تقدمها وتعجب من جبن آبائها وسعيهم فى إعدام المعارف بما ألفوه من اللهو والبطالة وفساد الأخلاق وما كانوا يفعلونه من القبائح والرذائل فى سهرة الانطاع .

(تخريفه)

(الجنون فنون)

جلس أحد المحتالين على قهوة وأخذ يقرأ أكاذيب سماها قصة عنترة فاجتمع إليه عدد كثير من الرعاع والهمج الذين أولعوا بسماع الأكاذيب والخرافات فلما رآهم منصتين إليه أخذ يفترى عبارات ينسبها إلى عنترة وكلمات يعزوها إلى عمارة وقد افترق القوم فريقين وكل فريق يدفع لهذا المحتال نقودا ليؤيد مشربه ويتمدح بمن يميل إليهم والمحتال مجد فى التخريف متفنن فى الكذب حتى قرب الفجر فقال وبينما هم فى قتال ونزال وقد انكشف الغبار أن أسر عنترة وسنخلصه فى الليلة القابلة. فقال له أحد المجانين لابد أن تخلصه الان وخذعشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون وعلت أصواتهما بالقبائح وآل الأمر إلى الضرب والإهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر أن عنده قصة عنتره ولكنه أمى لا يقرأ فقصد غرفة ولده وأيقظه من النوم وهو يبكى وقال له يا ولدى أبوك رزى بمصيبة عظيمة فقال له ولده هل مات أخى قال أهون - هل هدم البيت الجديد- كان أهون- هل ماتت أمى - كان أهون - أصدر عليك حكم بالليمان فى قضيتك - كان أهون - سرقت نقودك - كان أهون- ماالذي أصابك يا والدى- يا ولدى فى هذه الليلة أخذوا عنترة أسيرا فهات الكتاب وخلصه وإلا قتلت نفسى- الولد من عنترة يا والدى أتتكدر على حكاية مكذوبة وقصة كلها تخريف ومالنا وعنترة إن هو إلا عبد أسود أخذ

شهرة بما صنعه من الشعر وقتل بعض الناس بلا حق لولوعه بالنهب وسعيه خلف مقاصده- الوالد أنت تشتم عنترة ياابن الـ.. ونزل عليه بعصاه حتى أسال دمه وحلف عليه بالطلاق لا يبيت عنده ولا يعاشره فخرج الولد المسكين وهو يسب الجهل وأهله ويعجب من فساد أخلاق والده الذى أحدثه عدم التهذيب حتى ألحقه بالبهائم وسلخ عنه جلد الإنسانية فعارضه أحد جيرانه وسأله عن حاله فقص عليه قصته مع والده - فقال طالما قلت لأبيك فضك من عنترة وتعالى اعمل زغبى فما سمع كلامى- فضحك الولد من خسافة عقل الاثنين وقال لا شك أن الجنون فنون .

(محتاج جاهل فى يد محتال طامع)

احتاج أحد الزراع لاستدانة مائة جنيه فقصد بعض التجار وطلب منه المبلغ فجرت بينهما هذه الحكاية بحضور أحد النبهاء.

الزارع . عاوز ميت جنيه بالفرط ياسيدى

التاجر: فرط المائة عشرين كل سنة

الزارع : اعمل اللى تعمله

التاجر : شيل عشرين من المائة يبقى كام

الزارع : لهو أنا كاتب شوف يفضل كام

التاجر : يبقى سبعين

الزارع : يبوب كده

الاجر : دلوقت صار لى مائة جنيه ضم عليهم عشرين واكتب الكمبياله



الزارع : اكتب وخد الختم اهو

وفى وسط السنة قدم له الزارع عشرة قناطير قطن وعشرة أرادب من السمسم وعشرين من القمح وثلاثين من الفول واربعين من الشعير وجاء يحاسبه فكانت الحكاية هكذا.

الزارع : طلع لى ورقه بالحساب ياسيدى

التاجر : انت جبت قطن بعشرين جنيه وقمح بعشرة جنيه وسمسم بثمانيه جنيه وفول بعشرين جنيه وشعير بعشرة جنيه يبقى الجميع كام

الزارع : ما قلت لك من ديك المره معرفشى الحساب

التاجر : يبقى أربعين جنيه شيلهم من مائه وعشرين يكون الباقى كام

الزارع مين يعرف شيء لبده

التاجر : الباقى تسعين جنيه وفرطهم عليهم عشرين يبقى مائة وخمسة عشر طالب أنت كمان ثلاثين يبقى مائة وستين ضم عليهم أربعين فرط يبقى الكمبيالة تتكتب بمائتين وعشرة ونصف.

الزارع : هو ايه موش الأصل سبع عشرات وعشرنتين وجالهم ثلاثين وثلاثين شلت منهم تمن البتوعات اللى جبتهم يبقى لك دلوقت ميتين وعشرة بس. والنص ده جبتو منين،

التاجر : النص أجرة كتابتى ليس من الأرباح

الزارع : آي دلوقت صحت الحسبه والسنه دى أبيع لك خمسين فدان فى عشرة جنيه يبقى لك ايه بعد كده يا جنيهين يا تلاته خدلك بهم جاموسه ويبقى على رأي المثل شيل ده عن ده يستريح ده من ده .

فقال النبيه للتاجر : اما تتقى الله فى هذا المسكين أخذت محصوله وصار دائنا لك فلفقت له حسبة لا أصل لها وجعلته مديونا فإن حسبتك معه هكذا .

عدد

٧٠ بفائدة عشرين فى المائة فالمطلوب عدد ٨٤

وهو أورد لك هذا القدر

قنطار	سعر	جنيه
١٥	٢	٣٠ طن
أردب		
١٠	٢.٥	٢٥ سمسم
٢٠	١	٢٠ قمح
٣٠	١	٢٠ قمح
٣٠	١	٣٠ فول
٤٠	٠.٥	٢٠ شعير
		١٢٥

يكون له عندك واحد وأربعون جنيها فكيف جعلته مدينا بمائتين وعشرة ونصف بعد ذلك أن هذا لهو السلب بلا خوف .

التاجر : ياخبيبى الزراعء خمار وأنا إذا كان موش يعمل كده موش لازم

يبجى تاجر بنكير بعد خمسه سنه. فقال النبيه قد تغيرت هيئتنا وتنبهت الحكومة لرجالها فهى تسعى فى عمل نظام يحفظ الحقوق ويمنع تعدى مثلك على هذا المسكين حتى لايقع بعد ذلك جاهل محتاج فى يد محتال طامع .

(غفلة التقليد)

بنى أحد حمير الأموال بيتا وزخرفه وملأه بالفرش والكراسى والمنصات الثمينة ثم صنع وليمة عظيمة لبعض أحبابه عند انتقاله اليه وكان فى جملة المدعوين رجل من النبهاء فلما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم سبب بناء هذا البيت ومقدار ما صرفه فيه وما قاساه من مماطلة العمال ومعاكسة الزمان وشرح لهم بيان ما فيه من الأثاث والمتاع حتى انتهى إلى خزانة كتب فقال واشتريت هذه الخزانة بألف قرش وأخذت هذه الكتب بمائة جنيه بواسطة أحد العلماء الأفاضل .

فقال له النبيه : أظنك مغرما باشعار العرب لتقف على أحوالهم ووقائعهم الشهيرة وحماستهم التى كانوا عليها والغيرة التى خصوا بها والحمية التى نشأوا فيها والأمانة التى امتازوا بها والعزة التى بها يعرفون والكرم الذى به يمدحون والوفاء الذى به يمتازون والشجاعة التى عليها يتدربون والحكمة التى بها يولدون والبلاغة المقصورة عليهم والفصاحة المنسوبة اليهم والسياحة التى امتازوا بها والرحلة التى ألفوها وتعلم ما فى منشأتهم من التشبيهات الغريبة والمعانى البديعة والتصور العجيب والاقتدار المفحم والسلاسة اللفظية والرقة المعنوية والتراكيب الآخذة بالعقول والتفنن الدال على قوة ذكائهم وغزارة مادتهم وصفاء عقولهم فإن ذلك كله فى إشعارهم يشهد به الشرقى ويعترف به الغربى ولا ينكره إلا من انتزعت منه الإنسانية وجذبته الجنسية فالقته فى مهواة

الحقد والكبرياء فاصبح لايعرف إلا السفه ولايميل إلى القبائح ولا يمتدح إلا بجنسه وإن كان مذموما صفة المائل بطبعه إلى الشهوات البهيمية البعيد بذاته عن مظاهر الإنسانية .

فقال رب الدار . ليس فيها من أشعار العرب ولا نثرهم شيء

قال النبيه. أظنك مشتغلا بمطالعة التاريخ لتعلم كيف كان بدء الوجود وانتشار الإنسان وكيف تعلم الإنسان الصنائع وأدرك المعارف وتقف على مخترعي الصنائع وما لاقوه في ابتداعها ومؤسسي الممالك وما عانوه فيها من الحرب والغربة والأسفار الشاقة وما نابهم من فقد الكثير من الأرواح والألوف من الشجعان وما سهروا في حفظه من تربية أيتام أكلت الحرب آباءهم وحفظ أرامل حال الموت بينهن وبين أغراضهن وما تعبوا في جمعه من أموال يصرفونها في صيانة الأمم وعمار الأوطان وشراء السلاح وآلات الدفاع وتهذيب الأطفال وتدريب الشبان وتحنيك الشيوخ وتبحث في التواريخ على تاريخ قومك وأهل عشيرتك لترى نفسك في أي جنس وجدت وفي أية أرض ولدت فإذا تحققت الجنسية وعلمت نشأة عصبيتك التي بها صح انتسابك وعرف عنوانك سرحت نظرك في أخبارها وتتبعت سيرها في الوجود وبحثت في مادة قوتها وعناصر تركيبها التي أقامتها جسدا صحيحا وأظهرتها إنسانا كاملا واشتغلت بمعرفة الوقائع وما جرى فيها من المداولات والسياسات الأدبية والاحتياطات التي وقت تلك الأمة من العوارض وقوت أمرها ورفعت شأنها وشغلت الأفكار بها وأرجفت القلوب وحيرت الألباب وألزمت نفسك معرفة الرابطة التي تأسست عليها والوحدة التي نشأت منها والقطب الذي دارت عليه والغاية التي وصلت إليها لتعلم أأنت أنت كما كان آباؤك أم غيرت وبدلت وتركت عاداتهم وتساهلت

فى معتقداتهم وأهملت سرهم الجامع ونظامهم البديع حتى رأيت التغير فى نفسك وفعلك وبعدك عن الوصول إلى مدركاتهم ونفور المعالى منك وجهلها إياك فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

قال رب الدار . أنا لا أعرف التاريخ ولا البحث فيه لاشتغالى بأمور كثيرة

قال النبيه : أحسبك تشتغل بالعقليات لتعرف ما كان عليه قومك من السهر فى تدوين كتبها وحل مشاكلها وتعب الأجسام فى تجربة المخترعات وسبر المبتدعات وما كانوا عليه من القوة فى هذه العلوم وماذا ينسب إليهم من الطب الذى هو أساس نظام الحياة ومظهر الصحة وما عرفوه من الهندسة التى هى قاعدة المدنية ودعامة الحصون والمعاقل وما أدركوه من النجوم التى أوصلتهم إلى معرفة الحوادث الجوية والخوارق الكونية فاهتدوا بها لافتتاح لجج البحار واكتشاف المجهول من الأقطار والأمم وما وصلوا إليه بالرحلة من معرفة حدود البلاد وعوائد العباد والطرق الوعرة والسهلة ومقدار مساحة الوديان والغابات والمحالك وما تفننوا فيه من الآلات الدفاعية والصناعية والزراعية وغيرها حتى عظمت ثروتهم واشتدت سطوتهم وتأيدت قوتهم وما ألفوه من الحكم والآداب والعلوم الابتدائية التهذيبية والبدائع المروضة للنفوس.

قال رب الدار . ليس لى إلمام بشىء مما ذكرت

قال النبيه . أتخيل أنها كتب دينية تشتغل بها لتكون على سنن أسلافك ودين آبائك لئلا تفقد حرارة الدم والغيرة التى يولدها الطعن فى المذهب وسعى الغير فى إعدامه خوفا منك على وحدة النظام وقاعدة الاجتماع ورهبة من تذبذبك وميلك مع كل ريح فتصبح براء من مذهبك أجنبيا من غيره فلا تتمكن من الحماية بقومك ولا الالتجاء لغيرهم فلكل أمة مذهب يجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم

ويبعث فيهم روحا يحيا به ذكرهم ويدوم مجدهم ويتأييد اتحادهم وتخشى من تغيير مذهبك الذى يذهب بك إلى النفرة وكراهة مواطنك وعداوة أبيك وبغض أخيك وحقد صاحبك وأنفة جارك منك ويميل بك إلى مهواة يعز عليك الخروج منها وترمي بك فى حضيض لا يرفعك منه إلا إعدام يواريك التراب فيذهب شخصك وينسى ذكرك وينكر أثرك.

قال رب الدار . أنا لا أعرف المذهب إلا سماعا من أبى وأمى ولا أفقه له معنى غير أنى مثل قومى .

قال النبيه . أظنها كتبا بغير لغتك تجيل فيها فكرك لتعلم أخلاق الأمم وسيرتهما وما هم عليه من الآداب والمحاسن الإنسانية فتأخذ منها ما يكون صالحا أمرك نافعا لقومك مؤيدا لوطنك وتعرف ما لهم من طول الباع فى المخترعات واتقان الصناعة وإحسان أسباب الثروة وتدرك بماذا تقدمت هذه الأمة ومكنت المدنية فيها وبماذا غلبت تلك الأمة وأضاعت أقطارها وخسرت رجالها وبماذا اتسعت تجارة هذه ودارت فى المسكونة مع الرغبة فيها والأمن عليها لعلك تهتدى لشيء مما تقف عليه تنفع به بلادك وترشد إليه قومك .

قال رب الدار . أنا لا أعرف من اللغات غير ما كانت تكلمنى به أمى فى صغرى وتربيت عليه.

قال النبيه . ماهذه الكتب إذا وما داعية اقتنائها عندك

قال رب الدار . دخلت بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والأمير فلان فرأيت فى مضيفة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشة من الريش والخام كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فعلمت أن هذا طرز جديد (موده) فى بناء البيوت فرتبت مضيفتى

مثلهم لأكون فى صف المتمدنين. فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال أن دام تقليد الناس لبعض الأفراد فيما يفعلونه من غيرنظر فى المنفعة ولا تعقل لما يراد ضاعت العلوم وتحولت الطباع وانحلت عرى الوحدة وأصبح الكل نائما فى غفلة التقليد ..

***

منتخبات العدد الثانى

إضاعة اللغة تسليم للذات

أيها الناطق بالضاد

بم تستبدل لغتك وما لها من مثيل وإلى من تتركها وأنت لها كفيل وما الذى استحسنته فى غيرها واستقبحت مقابلة فيها. وأي شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما. ترى أنك فى عصر تمدن يقضى عليك باستعمال أرق اللغات لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى. ناشدتك الله أوجدت فى اللغات لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى. ناشدتك الله أوجدت فى اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة أم رأيت حسنا فى اللغات التى تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره فى لغتك الفطرية الخلق المجموعة فى زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون أترى إذا عبرت عن شيء بلفظ فى غير لغتك وأردت أن تتصرف فيه بعبارة أخرى هل تجد له مرادفا واحدا كما تجد فى لغتك للفظ جملة مترادفات. أم أنت الجاهل بقدر لغتك الغافل عن عظم قدرك فى تاريخ العالم قديما وحديثا. أظنك فى احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة ما يترتب على ضياعها ولا تثريب عليك فى أمر لم يبحث فيه إلا بعيد الغور فى حساب العواقب شديد الحرص على بقاء وحدة الهيئة الاجتماعية .

لبيك أيها الأخ الشقيق وإن لم نحمل فى بطن واحد. اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الإنسان والبهيم. بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات

---

(١) البغاث ضعاف الطير وعليه المثل حتى البغاث بأرضنا تستنسر

الأفكار وبها يعشق المرء وإن كان دميم المنظر. إن رقت استعطفت القلوب القاسية وأن غلظت أخضعت النفوس العاتية وإن فحشت حركت الطباع. وإن لطفت رفعت الأوضاع. وإن حسنت ألفت القلوب. وإن سهلت أظهرت الغيوب . وهى التى بها جذبت قلب أمك واستعطفت جانب أبيك وتملكت فكر أخيك واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك. فهى أنت إن كنت لا تدرى من أنت. وهى وطنك إن لم تعرف ما الوطن. أما كونها أنت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وأنت إذا فقدتهم صرت وحيدا غريبا فى الوجود لا ترى من يقول لك من أنت . وأما كونها وطنك فإنه إنما يعمر ويسمى وطنا برجال يتعاونون على احيائه وإظهاره فى الوجود محلا للسكنى ودارا للإقامة وقد علمت أنك بمفردك لاتهتدى لشىء ولا تقوى على أي أمر كان ومن فقد المواطن فقد الوطن.

اسمعك تقول إذا فقدت لغتى اعتضت عنها بأخرى. أجل أنك اعتضت عنها ولكن بما أضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية فإنك لا تخاطب بها إلا أجنبيا من البلاد مغايرا فى الجنسية وأنت تعلم أن لمعانى الألفاظ تصورا لايقوم به مقابلها فى غيرها فإنك لو سمعت قولى

ومن غرر الأخلاق تهدر الدما * لتحفظ أعراض تكفلها المجد

وأردت أن تلقيه بلغة أخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الألفاظ وربما عبرت عنه بما لا يؤدى معنى ولو سمعت قولى .

---

(١) النازى نبات يقتل دود البطن والمحريب نبت يمنع المغس والتيزي الفول السودانى والعرديب التمر هندى

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها وما يصل لفهم المقصود وهبك توسعت فى غير لغتك وتفننت فيها أتناجى ربك فى أوقات عبادتك بها أم تقرأ بها كتابك المعجز بحسن نسقه ام تخاطب بها باعة الفجل عند ما تشتريه أم تستعطف بها قلب أمك وقت ما تغضب عليك أم تعاشر بها عامة قومك وهم أهل البلاد. أراك استجهلتنى وقلت إن الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها. مهلا أيها المدل بنفسه فإن فى قولى (لمعانى الألفاظ تصور لايقوم به مقابلها فى غيرها) حكما يقضى به كل ذى لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به فربما كانت حماسة هذا اللفظ فى لغتك تخنثا فى غيرها وبالعكس وهذا مما يأخذه الذوق من غير بحث فى اللغات. وأراك تعدنى من الجاهلين بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك. رويدا فقد قدتك إلى الحق ورميتنى بالإضلال. فانى لم أحرم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ومشكل تحله. وإنما أردت تذكيرك بأن لغتك كان منطوقا بها من غير تعلم محفوظة فى غير كتاب بمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع دونت فى بطون الأوراق وبقيت قوتها فى اللفظ والكتابة ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب ومنشئون ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لاقاعدة تمشى عليها ولا كتاب يحفظها ولاضابط يجمعها ولاحروف تؤلف منها وإذا أردت معرفة لغة آبائك أفنيت الكثير من السنين فى طلبها وهيهات إن أدركتها وقد عظمت المصيبة بفقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامى بعبارة طويلة ثلثاها أجنبى عن لغتيه الأصلية والاصطلاحية. ألا تعلم أن اللغة تقضى على المتكلم بأتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز فى عبارة أجنبية يلزمك

الثبات بها فى لغتك وتستحسن أمرا عنون بغير لغتك وهو مستقبح فى عادة بلادك ومعتقد أهلك. ولا شك أن هذا يسير بك فى طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وأنت وطنى حر وتصبح وأنت فى يد أجنبى يصرفك كيف يشاء. وناهيك بالأندلس الذى كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية ويترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجعل المعتقد جهل طفولية فمن يجتمع معك فى جدك السابع أو الثامن من أهله أصبح يعبر عنك الآن بلفظ (أرابو) أى عربى وساءت تلك المبادىء وبئس هذا المنقلب. هون عليك فالأمر سهل فإننا لانحتاج لحفظ لغتنا أكثر من إحداث درس فى جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية لايصعب الأخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الأمة على تكثير المدارس بالجميعات وصرف ثلث وقت الطفل فى تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الأخلاق وحفظه من معلم أجنبى يغرس فى طبيعته الساذجة حب بلاده ويحسن لأفكاره الخالية طباع أهل جلدته وإذا تمت هذه المبادىء رأيت لبلادك نشأة جديدة وخلقا بديعا وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية إن إضاعة اللغة تسليم للذات .

***

(كانت المقالة السابقة سببا لمناظرة طويلة بين جماعة من كتاب مصر انتهت بإقامة النديم نفسه مقام حكم موفق بين أفكار الكل كما يراه القارىء فى المقالة الآتية وقد قدمناها على غيرها لأنها هى وسابقتها متلازمتان ونصها]

(كلمة زهير بنى أبى سلمى العربى)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

(كلمة إمام المحققين عبد الرحمن بن خلدون المغربى)

(اللغة ملكة صناعية متقررة فى العضو الفاعل لها)

(كلمة لامرك الفرنساوى المؤرخ الطبيعى)

(الوظيفة تكون العضو)

(كلمة شافى الفرنساوى المحقق الفلسفى)

(اللغة ليست بارادة الإنسان)

(كلمة عبد الله نديم الاسكندرى)

(إضاعة اللغة تسليم للذات)

(كلمة الفاضل أمين شميل الشامى)

(اللغة آلة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعانى بين أفراد الإنسان عموما وخصوصا)

(كلمة الفاضل المصرى - هو إبراهيم بك الهلباوى)

(استقلال الأمة موقوف على حفظ لغتها)

(كلمة الأديب الاسكندرى - هو احمد افندى سمير)

(اللغة هى عنوان الأمة)

(سادتى الأدباء)

أعيرونى من أيام أنسكم وقتا أدخل فيه أنديتكم الأدبية لأتلو عليكم بحث اللغة وأنا كامن فى أسطر صحيفتى وهى لسانى فما المرء إلا اصغراه قلبه ولسانه فقد طالت المناقشة والبحث باق على حاله وإن استفدنا منه حكمتين ولست ممن يدخل فى البحث ليبخس الناس أشياءهم وإنما أتكلم بعبارة أحقق فيها كلمات الحكماء بقدر ما يصل إليه إدراكى من التصورات التى بنيت عليها حكمتى آخذا على القلم عهدا أن لايخرج بما يلفظه عن حد الأدب ولا يتشيع للغة ولا للجنسية فإن قواعد البحث مختلفة المصادر ولكل أمة باعتبار لغتها فيها نصيب على أنى لست من السائرين خلف الأغراض وإنما أنظر للإنسان من حيث النوعية فى الاختلاط المعاشى ومن حيث الوطنية فى الاجتماع العصبى وقد قامت ثماني كلمات من الحكم وهى إما مختلفة بالوضع والاعتبار أو متفقة بالوضع أو بالمآل فنتكلم عليها بطريق المزج محققين معنى كل كلمة وما قامت به وما دلت عليه وهذا يقضى على بتقسيم البحث إلى فصول. الأول فى تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو أو قيام العضو بها وانفعال الأجسام بمدارك اللغة. الثانى فى إظهار سقطات المناقشة وما خرج عن الموضوع. الثالث فى تسوية المسألة بين المتناقشين وحفظ النفوس من عوارض النفور وهذا يلزمنا بطول الشرح ولكن صدر الجريدة لايسعه فنحن نجتهد فى الإيجاز ونقدمه فصلا بعد فصل حتى نأتى على آخر الفصول إن شاء الله غير أنى ألتمس الصفح من القراء والمتناقشين عما يرونه من القصور أو الركاكة فإنى فى تيار الرحلة أكتب ما أقدر عليه من التصور بلا مراجعة ولامذاكرة مع حكماء واختلاف الأماكن وكثرة التنقل مع الاشتغال بالإخوان على اختلاف عباراتهم

وتحرير غير البحث من أوراق الصحيفة كل ذلك يسهل العفو ويحقق لى الرجاء فتشتيت الفكر فى هذه الحالة لا يخفى على من تعود على الخروج للنزهة لا لمعاناة الأسفار .

(الفصل الأول فى تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو أو قيام العضو بها الخ)

قرر العلماء والفلاسفة والطبيعيون أن للإنسان مدارك جسمانية ومدارك روحانية فإنه مركب من جزء جسمانى وجزء روحانى ومداركه بحسب مركباته غير أن المدرك لحوادث الجزئين هو الروحانى وإنما يختلف باختلاف الوسائل فإن كان المدرك جسمانيا أدركه بواسطة القوى الدماغية والحواس الجسمانية وإن كان روحانيا أدركه بنفسه من غير واسطة وهذه المدركات عند حصولها تندفع قواها المعنوية إلى اللسان فيترجم عنها بما يقتضيه مقام الشعور من ألفاظ فرح أو حزن أو إرهاب أو استعطاف أو غير ذلك ولهذا المعنى الدقيق أشار زهير العربى بقوله «لسان الفتى نصف ونصف فؤاده» ولايقوم اللسان بخدمة الجزء الروحانى وترجمة مدركاته إلا بتمرينه على الكلام وتكرار المسموعات وتعوده على النطق بالألفاظ الدالة على المعانى واشتغاله بها حتى تصير اللغة ملكة فى هذا العضو المعبر عن الإنسان ما هو ولهذا المعنى أشار ابن خلدون المغربى بقوله «اللغة ملكة صناعية متقررة فى العضو الفاعل لها» ولايتمكن الطفل من هذه الملكة إلا إذا قررت إليه أصول اللغة ومشتقاتها ومنع من تناول لغة أخرى حتى تصير الأولى ملكة سليمة من العوارض كما كانت عليه العرب الأولى فإن استعمالهم اللغة على أصولها وتداولها بينهم غير ممتزجة بأخرى صيرها لهم ملكة صناعية يأخذها الولد عن والديه فينطق بها كما ينطق

البليغ من قومه وقد وهم بعض الملفقين فقال إن اللغة كانت للغرب فطرية غريزية وقد علمت بطلان هذا بما تقرر من أن أحكام الصناعة فى التلقى والتلقين هو الذى صيرها ملكة اللسان ولهذا أشار الفاضل أمين شميل الشامى بقوله «اللغة عبارة عن آلة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعانى بين أفراد الإنسان عموما وخصوصا».

وبما تقرر تعلم أن اللغة ليست فطرية وإنما هى مظهر الانفعال الجسمانى أو الروحانى فإن المولود إذا خرج من بطن أمه ورأى النور اهتز واضطرب لانسه الجسمانى بهذه المدركات الجديدة وإذا رأى الظلمة انتحب وبكى لتألمه من هذا الانقباض الجسمانى وإذا سمع صوتا مال إليه بالقوى الدماغية الجسمانية وهو فى جميع الأحوال يشير ويعالج النطق بفطرته فلا يتمكن منه حتى تكرر عليه الألفاظ وترسخ فى ذهنه فينطق بها ويكررها إلى أن تصير ملكة فى لسانه ولهذا المعنى أشار المحقق شافى الفرنساوى بقوله « اللغة ليست بإرادة الإنسان» غير أنه يحكم على الانفعالات الجسمانية باتباع المادة المتكونة منها ويقول لو جئنا بطفلين عربى وأوروباوى وسلمناهما لمرب أصم أبكم أعمى وتركناهما معه عاما أو عامين ثم دخلنا عليهما لوجدنا العربى ينفعل انفعالات عربية تبعا لمادة تكوينه والأوروباوى ينفعل انفعالا غربيا تبعا لمادة تكوينه كذلك بمعنى أن كلا يصيح بأصوات تماثل أصوات المشتقات وقد انفرد بهذا الرأي وتبعه قوم من بعده وبمذهبه يقرر أن تغيير اللغة فى الآباء يغير فطرة الانفعال فى الأبناء فإذا تعلم الأعجمى العربية وعلمها ولده تجنس بالعربية وانسلخ من جنسية الأعاجم كما وقع لكثير من الأعاجم الذين تركوا لغتهم بالعربية وللعرب التى تنصرت بالروم فإن الأولين انسلخ اسم العجمة عن أبنائهم والآخرين وانسلخ اسم

العروبة عن أبنائهم كذلك وما نقلهم من الجنسية إلا ترك اللغة واستعمال غيرها حتى غلبت عليهم ولم يكن تسليم الذات مخرجا لها عن الجنسية فى العرب التى تبعت الفرس والروم والترك لتمسكها بغلتها وعدم التهاون فيها باستعمال غيرها فبقيت عصبيتها قوية ودمها الجنسى ساريا فى عروقها تظهره القوة ويخفيه الضعف ولو تركت لغتها واستعملت غيرها لفقدت الجنسية الأصلية وعنونت بجنسية اللغة التى صارت ملكة فى لسانها وعدمت الانفعالات العربية وكذلك الألبانيون والرومانيون واليونان وغيرهم لما ثبتت لغتهم فى ألسنتهم ولم تتمكن منهم لغة أخرى بقيت العصبية محفوظة مع ضعف القوى حتى إذا قويت الانفعالات وتجمعت حواس العصبية غلبت على أمرها وتخلصت من اللغة المستلمة ذاتها ولم يضع تسليم الذات اللغة ولو أضاعت اللغة ما نظرت إلى الذات فقد تقرر أن المدركات الجسمانية تترجمها اللغة وهى تستعمل الذات فيما تقوم به من المعانى ولهذا أشرت بقولى «إضاعة اللغة تسليم للذات» .

وقد قرر المؤرخ الطبيعى لامرك الفرنساوى أن الوظيفة تكون العضو الطبيعيون من قبله يقولون إن العضو يكون الوظيفة فيحكمون على أن اليد هى التى تكون الحركة واللسان هو الذى يكون الكلام والعين هى التى تكون الابصار وهكذا . ولكن تحقيقات لامرك ومجرياته عكست هذا القول وأثبتت أن الوظيفة. واللسان إذا ترك بلا تكلم مع صاحبه ولاتعليم للغة كان عضوا، معطلا فإذا استعمل فى وظيفته ظهر وعلم وعرفت ثمرته فالوظيفة هى التى كونته وأظهرت المعانى القائمة بالألفاظ المنبعثة من الانفعال الجسمانى ولهذا أشرت بقولى فى خصائص اللغة «إنها سر الحياة والحد الفارق بين الإنسان والبهيم بها يترجم اللسان خواطر القلب إلى آخره» ومما ذكرته تعلم أن اللغة تصير

بالصناعة ملكة للإنسان باعتبار المدارك الجسمانية وإنسانا باعتبار قيامها بالانفعالات الجسمانية والروحانية وترجمتها المدركات الحاصلة من الحواس والقوى الدماغية والتصورات العالية المجردة من الانفعال الجسمانى. وليعلم أن صناعة الكلام غير اللغة فإن الرفع والنصب مثلا تقوم بهما الألفاظ وتحفظها من الخطأ ولكن لاتساعدك هذه الوسائل الصناعية على اتقان اللغة والمخاطبة إذا كانت مجردة عن بدائع اللغة فكم من نحوى لا تغيب عنه قاعدة من قواعد النحو لو كلف كتابة جواب أو عبارة صحيحة لا خطأ فى الرسم وخرج عن حد الانشاء كما أن اللغة وإن صارت ملكة لاتؤدى معانى صناعة الكلام إلا إذا أخذها الطفل عن والديه على أصولها فيوافق بنطقه صاحب صناعة الكلام وإن كان لايدرك القواعد الصناعية. فالصناعة إذا ملة فى اللسان غير ملكة اللغة وهى بمقام لغة أخرى فى اللسان ومن هذا تعلم أن النصب والرفع وضرب زيد ومات

عمرو ليس من اللغة فى شيء لاستقلاله بنفسه فإنك ترى الأعجمى إذا لزم فن النحو أتقنه وهو لايعرف العربية أو لغة غير لغته وترى ساكن نجد ينطق بالعربية الصحيحة واللغة الحقة وهو لايعرف من النحو زيدا ولا عمرا وما صير أهل الأمصار محتاجين إلى صناعة الكلام لتقويم الألفاظ بها إلا لاختلاطهم ومزج لغتهم فلفقوها وصيروها لغة اصطلاحية لايستدل على أصلها إلا بالمحفوظ فى الكتب ولايقومونها إلا بعلم الصناعة وقد أضاعوا ذاتهم الملكية وسلموها للغة اصطلاحية فإذا تركوا الاصطلاح الموصل للبحث فى أصل اللغة واستعملوا غيره من اللغات فقدوا الجنسية رأسا وتجنسوا باللغة التى يستعملونها وسلموا ذاتهم لانفعالاتهم الجسمانية والروحانية والانفعالات تصير الجسم آلة لمظاهر

الألفاظ وغرضا لمواقع المعانى وهذا بعينه هو التسليم وإن كان الوازع من التحولين إذ لا ينفعهم بقاء الوازع مع جهل تاريخ مبداهم وسيرة شعوبهم فإن

اللغة الطارئة بعد أن تصير ملكة للسان تستخدم الفكر فى تاريخ أهلها ووقائعهم وسيرتهم وهذا الاستخدام يهيئ الذات لانفعالاته وتتبع المدركات الحديثة وليستحيل على الذات الرجوع لحركات جنسها الأول بعد فقد الملكة المترجمة عن المدركات وتحويل المدركات لما تقوم به هذه الملكة الطارئة. فإذا كانت أمة مستقلة وغيرت لغتها بغيرها ضعف فيها الاستقلال بقدر ما يضعف من لغتها فإذا تم التغيير فقدت الاستقلال ووقع فيها الخذلان بتباين الطباع وانعكاس الانفعالات وعدم اتفاق المدركات فإنه يستحيل توافق التغيير فى جميع الأفراد وان تم اختلفت المدارك اختلافا يبعد الذات عن روابط الاستقلال وهذا الذى أشار إليه الفاضل المصرى بقوله «استقلال الأمة موقوف على حفظ ذاتها» والأديب الاسكندرى بقوله «اللغة هى عنوان الأمة» .

سيأتى مزيد من بيان مهم لهذا المبحث فى منتخبات الاستاذ فإنه لم يكتب فى التنكيت والتبكيت بعد ذلك من هذاالموضوع شيئا .

(جرائد الأخبار مدارس الأفكار)

والعهد وذمته والشرف وحرمته أن قلمى فى خدمته لمن الصادقين ولسانى فى أخباره لمن الناصحين . ناشدتك الحق ياشقيق الإنسانية إذا ما تأنيت على خادم أفكارك حتى يفرغ من حديثه وإن شئت أنبّت أو أحببت فإنك فى الأولى تحمد العاقبة فتندم على إهمال المبادىء وفى الثانية تمدح المبادىء وتعشق النهايات فإن اكتفيت بالإشارة تركتنى أعانى غير هذا الموضوع وإن أبيت إلا الشرح تكفهاً لا جهلا فما دعوت إلا سميعا ولا أمرت إلا مطيعا كانت نشأة الجرائد فى أوروبا كنشأة زراعة القطن عندنا ووجه الشبه إن القطن عندما أمرنا بزراعته كنا نزرعه ورجال الحكومة خلفنا بالكرباج ثم كنا نقلعه بعد

ذهابهم ونحرث الأرض لغيره فما زالت الحكومة تعالج رجالنا معالجة المريض حتى أرتنا الثمرة فألفناه وعشقناه واجتهدنا فى خدمته حتى صار معدن ثروتنا. كذلك الجرائد التى كانت توزعها كتابها بلا مقابل فنلقى فى الطرقات والمحافل ولا تقرأ فلما عجز أرباب الأقلام فى تفهيم فنون السياسة أخذت تذم الأخلاق الفاسدة وتمدح أخلاق المهذبين فتورط المهذب وصار يطالع الجرائد وتحرك الغبى فصار يتصفحها لينظر ما يقال فى أمثاله فصارت قراءتها من الفروض العينية بل من معدات الحياة. فلما رأت الكتاب أن جرائدها نفذت فى الأمم وتعلقت بها الأفكار انقسمت قسمين قسم يهذب بضرب الأمثال وسبك الوقائع فى قوالب مألوفة وقسم يؤدب بنقل الأخبار وتفسير الأفكار فارتفع شأنها وعظم قدرها واشتدت سطوتها حتي صارت لسان الأمم ثم ترقت إلى درجة كانت فيها الآمرة بالصلح المثيرة للحرب القاضية بالحكم فما نسمع إلا قولهم من رأى جرائد ايتاليا فى مسألة كذا كذا. ومن رأى جرائد فرنسا كذا. وهذا حد لم تبلغه الجرائد بنفسها بل بقرائها الباحثين فى فصولها فإنها إنما تتكلم بلسان أمة أو طائفة من أمة. أراك تعترض وتقول إن جرائدنا ليست فى قوة التكلم: رويدا فإننا الذين حجرنا عليها أفكارها بما ابتلينا به من التهور وعدم التبصر فى العواقب فإننا لو علمنا أننا فى مهد التهذيب وحضانة الآداب لوقفنا عند حدودنا وحصرنا أفكارنافي ما يزيد ثروتنا ويقوى سطوتنا وتركنا تشويش الأذهان وتكدير الخواطر خلف ظهورنا واشتغلنا بما يضمن صلاح مستقبلنا واجتهدنا فى توسيع دائرة المعارف واحياء ميت الصناعة حتى تخلص النفوس الطيبة من الجهالة وتفتح البيوت التى أقفلها الاهمال والإعجاب بمصنوع الغير وإن كان مغشوشا. وإذا انتهينا إلى السعى فى منفعة الوطن وتركنا رجال هيئتنا تشتغل بتصالحنا ونتج من هذا الاجتهاد تعميم العلوم ونجابة الابناء

ظهرت الجرائد فينا ظهور الشمس فى كبد السما، وأطلقت لها الهيئة حرية لانصل بفكرنا الآن إلى حدها فإنها تكون آمنة إذ ذاك مطمئنة لما تراه من سلامة باطن أهلها وحرصهم على بقاء عمود الوطنية تدور عليه الأيام وهو فى قوة وصلابة. اسمعك تقول إذا لا لزوم للجرائد الآن لا تعجل أيها الأخ فنحن فى عصر لم تبق فيه قرية فضلا عن مدينة إلا وفيها قاريء فحق على كل من خط بيده وقرأ بلسانه أن يكون بيده جريدة يشاهد فيها العالم بأسره وهو على كرسيه أو فى سرير نومه ولايفعل فعل بعض الناس من اجتماعهم حلقة على جريدة يقرؤنها . نعم انها وان كانت مبادىء حسنة إلا انى لو كنت فى تلك الحلقة وأردت أن أراجع أمرا مضى وأنا فى بيتى هل أسأل عمن عنده الجريدة واذهب اليه أو أبقى فى حيرة لا اهتدى إلى مقصدى، فمن هذا القبيل أقول حق على كل قارىء أن تكون له جريدة باسمه ليحفضها ويراجع فيها ما يشاء فى أى وقت شاء. لاتبدأ بالطعن فى قبل أن تعرف قصدى أتقول أنى أريد رواج المحررين لاكون فى جملتهم. لم أيها الأخ وأنت تعلم أن المحررين يخدمون الأفكار ابتغاء الإنسانية ولقد صبروا على جفائك وتباعدك عنهم حتى نضبت ثروتهم فهم يستردون منك ما أنفقوه عليك. وهذا العاجز يخدم الوطن خدمة زائدة على اشغاله المستغرقة أوقاته حبا فيه وطمعا فى تقدم اخوانه ولو وجد من ينفق على صحيفته ويستخدمه بأجر الانتساب إلى الوطن لأرسلها إليك تقبل يديك شاكرة تفضلك عليها بقبولك الحميد غير سائلة منك ولا أجرة البريد. ولكن عدم رضا الوراق بالعفو أبى عليه إلا تقدير قيمة الورق على أنك لو نظرت لقيم بقية الجرائد لوجدتها لا تذكر فى جانب بعض مهامك التى لا تعبأ بها وما يقصد المحرر إلا خدمة الأفكار بقلمه لما يعلمه من أن جرائد الأخبار مدارس الأفكار..

(هف طلع النهار)

لِيمَ أحد المهذبين على مشيه مع ولد أحد الأغنياء حتى أتلفه فقال ما كنت معه فإنى أعلم قدر نفسى وحقيقة أمرى فلا أسعى فيما يضر بى أو ينزل بى إلى درجة الأوغاد وإنما هو الذى عمد إلى ما تركه أبوه من الميراث وأخذ يصرف منه فى الملاهى وأماكن الفساد فقد ابتدأ بشراء عربة تماثل عربات الامراء الكبار وبنى قصرا بديعا صرف فيه نحو خمسة آلاف جنيه واشترى جوارى ومماليك يعجز أحد الأمراء عن الصرف عليهم واتخذ له اخلاء يحسنون له لعب القمار والحمام وإعداد مجالس السماع والطرب والسهر فى الحانات وبيوت الفاجرات والتفنن فيما يذهب العقل من الحشيش والمعجون والمربيات والمشروبات الروحية فأعد قاعة بها خزانتان فى الأولى عرقى الزبيب والمستكى والبرمود والكنياك والروم والعنبرى والبتر والشبانيه والبونش والبيره والنبيذ وغيرها من الأشربة الروحية وفى الثانية الحشيش البلدى صنع اللايانى والحوامدى والكافور التركى وارد ازمير وسلانيك ومعجون الهندى والترياق ومربى الجوز الهندى وجوزة الطيب والزنجبيل والتين وأقراص العنبر والزعفران وحبوب المفرحات والمهيئات يصحب هذا عدة جوزات منها المدندشة والمشخلعة والحدقة والنكته والحاجة الصنعه ومجمعه الأحباب وقد حلى الجميع بالفضة والذهب وأنواع الجواهر الثمينة ولايقوم بإدارة عمل الكيف إلا الحليوة المدلع والواد المجدع فإذا أخذ الشراب والكيف منهم جوهرة العقل كان يقوم ويقلع ثيابه ويترامى على حجر خلانه وهم يتناولونه بالأيدى ويرفعونه على الرؤوس وهو متلذذ مسرور فإذا انتهى بهم المجلس إلى الموتة الأولى نام هذا على الأرض وذاك عند الزير وآخر فى الفسحة بلا غطاء ولا وطاء ولايزالون فى

سكرة تزيدها سلطة إلى الزوال فيقومون كالقردة عند ما تخرج من غاباتها وجوه مقلوبة ونفوس مقبوضة وعيون عمى وعقول غائبة وأفكار ضائعة واعضاء منحلة وقلوب خائفة ومعد جائعة وأكباد مصابة وجيوب فارغة وقد تعطل الصانع عن عمله والتاجر عن محله والمستخدم عن ديوانه فيظهرون إليه الأسف والخوف والتضرر مما أصابهم من سهرته فيلاطفهم ويترضاهم هذا بألف قرش وذا بألفين وآخر بريال وغيره بجنيه ثم يطلب الأكل فتدور حركة البيت. خادم يجرى وطباخ يشتغل وعربجى يمسح الخيل وقمشجى يغسل العربة وسفرجى يحضر الأوانى وقهوجى يولع النار وطبلجى يمسح الطبلية وجارية تشوى اللحم الخصوصى وسرية تكوى المحارم ومملوك يملأ الكؤوس وخادم يكسر الحشيش وتابع يهيىء المربيات وعواد يصلح العود وكمنجاتى يشد الأوتار وراقص يصلح الصاجات ومغنية تتنحنح وماجن يرتب القوافى ووكيل يصرف بلا حساب فإن تأخر أحد فى عمله قام فكسر الصحون وكب الطبيخ ومزق الفرش وكسر النجف وأحرق الكيلار وهدم المطبخ وأراق القنانى وقطع عدد العربية وضرب الجارية بالخشبة والمملوك بالشيش والخدام بالجزمه والطباخ بالسكين وطلق الست وقلع عين الدادة وكسر رجل اللالة ومزق ثياب المرضعة وابكى اخته واحزن أمه وطرد أخاه وشتم صهره وشخر ونخر وزمجر وكفر ولعن الدنيا وسب الدهر الذى يعانده فى سيره ولايمكنه من أغراضه والإخلاء تقبل قدمه وتبوس يديه وتلثم خدوده وتترضاه بألفاظ يميل إليها وعبارات شب عليها كقولهم شوف كيفك أنت لسه شباب ايش من ألف صحن مذهب بمائة جنيه وعشرين نجفة بأربعمائة جنيه وعربيه بمائتين وجارية بخمسين ومملوك بسبعين وفرش بخمسمائة وابسطة بثلثمائة وكاسات بخمسين ومشروبات بثلاثين وحبة حبشتآن وشوية جرواش ودمعة دهنه تعيش راسك انبسط ياشيخ وروق شويه كده. ثم يلتفتون

لى التوابع ويقولون بس يا واد سيدك وضربك يعنى ايه معلهشى ياست صغار ولسه بيدّلع. قومى يابنت بلا تباتيك. فضها يا أوسطى ماتبقاش مجنون. سد ياخورشد بلاش عياط بقى . اقعد يامقدم بلا قلة عقل. تفضل ياسيدنا ماتزعلش نفسك ينعل أبو الدنيا وأبو اللى يبكى عليها. فيجلس وقد فارقه الغضب وعادت إليه شهوة الطعام والشراب ويقول العبارة إيه احنا مالنا ومال الخدامين والزعل والأمور والهذيان احنا فى نكتتنا والا فى ضرب وشنق خشوا بنا آفيه خشوا هأ هأ هاي. «وقد زاد على ذلك أن أعد لاخوانه فى بيته ملعبا للقمار غريبا حيث يأتون إليه كل ليلة بجيوب أفرغ من فؤاد أم موسى فيقرضهم من المال ما يقدرون به على اللعب معه فإن خسروا فقد ردت إليه بضاعته وإن كسبوا فازوا بما كسبوه وخرجوا إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم كما يزعم» ثم ما زال على هذه الحال عامين حتى فرغت النقود فأخذ يبيع الأطيان ويرهن البيوت والجواهر حتى لم يبق عنده شيء ففارقه الخلان وتركه الخدم وطرده الحرم وأصبح يدور يسأل الناس لقمة أو سجارة وما ذاك إلا من عدم تهذيبه وتأديبه فإن أباه تركه للمعلم (الخوجه) يعلمه الخط فى السلاملق داخل الخزانة تحت الستائر وهو يقبل يده لثقل التعلم عنده ويجيب دعوته خوفا من شكواه لأبيه ولم يجد غير خادم يحمله ومملوك يوافقه على أغراضه حتى خرج كالبهيم لاعقل يرده ولا علم ينفعه ولاصنعة يتكسب بها ولا أدب يعيش به فآل أمره إلى ما رأيت يصرف بالألف وأصبح ولسان الفقر يناديه هف طلع النهار .

(كم فى الزوايا خبايا)

حكى أن أحد المأمورين فعل خطأ فى عمله فأرسل له رئيسه الأكبر كتابا يوبخه فيه ويسأله الإجابة فطلب أحد رؤساء الكتاب وأعطاه الكتاب ووقف يفهمه

المقصود نحو نصف ساعة فأخذ ألكتاب واجتمع بجملة من أمثاله وبعد التيا والتى كتبوا هذه العبارة «معروض قوللر يدركه»

ورد لنا الأمر الكريم وما صار معلوم وكان الواجب علينا خلاف ذلك ولكن الخطأ من رأى الصواب وقلو أن عبدكم لم كان يقصد الخطا ولكن من حيث أن المقدر كاين والعفو من شيم الكرام وكان الواجب علينا عرض القضية فى بدارى الوقت ولكن الرأى لمن له الأمر افندم .

فلما سمع المأمور هذه العبارة قال كيف أخاطب أميرى بهذه الألفاظ السخيفة ألم يكن فى الديوان من يعرف الكتابة الصحيحة فنهبه وكيله على أن بالديوان شابا لاتزيد ماهيته عن ثلثمائة قرش لو طلبه المأمور وأمره بكتابة الجواب لكتب المقصود فاستحضروه وقال له خذ هذا الأمر واكتب رده استعطافا واعتذارا فتناول القلم وكتب وهو واقف بين يديه سيدى ومولاى .

«إنى وإن جنيت على نفسى وخرجت عن حد الأدب فيما يجب على العبد لسيده فإنى عبد نعمتك وصنيع إحسانك وذنبى وإن عظم وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة فالعفو عنه بعض حسناتك التى فطرت عليها والاغضاء عنى سر من أسرارك التى تميل إليها فاجعل العفو عنى قربة إلى مولى الموالى واترك العبد عتيق مكارم الأخلاق وإلا فضع سيف نقمتك فى نحر عبد نعمتك وأنت حل من دم أراقه أهله وآلا أمره إلى وارث لايسعه إلا النزول عن المطالبة به ألا وهو مقام جلالتكم السامى وحاشاك أن تعدم الصادق فى الخدمة بهفوة لم يقصدها وذنب أقلع عنه وعلى كل فالعبد بين يديك وأمره منك واليك وقد ألقى إليك مقاليد الأجل فافعل ما تشاء واتق الله عز وجل».

فلما قرأه على المأمور كاد يطير فرحا بنجابة هذا الشاب واقتداره على

الإنشاء البديع وقال كيف يكون هذا بثلثمائة ورئيسه بألف قرش فقال له الوكيل هذا من أولاد الفقراء وليس له محسوبية على أحد الأمراء ولايعرف النفاق ولا يفعل أفعال المحتالين التي تقدمه عند ذوي الغايات ولئن تأخر مثله في زمن ترقت فيه الجهلة بالمحسوبية والمجون والتوسط في القبائح فسوف يتقدم في هيئتنا الحاضرة فإنها لاتبالي بالمسحوبية ولاتريد أهل الخيانة ولاترقى إلا أهل المعارف والآداب حتى لايبقى في الزوايا خبايا .

(التبكيت) أعظم مصيبة من رئيس كتاب لايعرف الإنشاء وجود مأمور لايحسن كتابة جواب من شأنه أن يكون من أسراره الخفية.

(جواب عن سؤال ورد إلى التنكيت)

السؤال. بأي سبب ماتت صنائع الشرق وافتقر أهلها وبأية وسيلة تحيا وتعود ثروة أهلها.؟

الجواب . ماتت الصنائع بتحاسد أهلها وتباغضهم اللذين أورثاهم الفقر وفقدالأمن والثقة بهم. وذلك أن أصحاب الأعمال إذا أرادوا فتح عمل كالبناء مثلا أحضروا طائفة المعمار ووضعوا لهم ورقة يسمونها قائمة المزاد وأمروهم بالتناقص في المقدار المعين لذاك العمل فإذا كان العمل يساوي ألف جنيه قال واحد عليَّ بسبعمائة فيتحرك بغيضه ويقول على بخمسمائة ثم يتحرك بغيض الثاني ويقول على بثلثمائة وهكذا حتى ينتهي المزاد إلى مائتين فيرى صاحب العمل أن الألف لايقوم بعمله فضلا عن المائتين ولكنه يفرح بهذاالتناقص فيطلب من العامل تأمينا وضامنا غارما ثم يتركه لايصرف له شيئا مقدماً فيبتدىء المسكين ببيع مصوغات زوجته وحليها وأمتعة بيته وإذا انتهى العمل وجه إليه صاحبه واحدا من المعلمين فيبتدىء بسب أخيه ولعنه ويقول له هذا

العمل مغاير لما فى الشروط فإن الحجر أحرش والبلاط معصرانى والقصر مل كله تراب والهيصم مرمل والجير قليل وقلب البنيان فارغ والبياض قشرة واحدة والجبس بارد والسلم قائم والسقف واطى والجدار ناقص وسمك الحائط ناقص عشرة سبنتى متر وهذا كله يمنعنى من التصديق على نظافة عملك فإذا صافحه برابط المحبة (الجنيه) قال له لا بأس من تنازلك عن عشرة فى المائة من أصل المطلوب لك فيضطر المسكين لختم الكشف والتصديق على ما يقوله معلمه الأكبر وقد خرج من العمل بخراب بيته وكثرة ديونه وأوقعه التباغض والتحاسد فى الفقر وفقد الأمن والثقة. فإن قلت لمَ لمَ تفتقر الأجانب وهى تأخذ الأشغال العظيمة والأعمال الجسيمة. قلت نحن مغرمون بحب الأجنبى والإعجاب بكل ما جاء به من الأعمال حسنت أو قبحت وإذا أراد أحد مقاولة أجنبى وساومه على عمل قيمته مائة جنيه قال له «دى عملتلوا احنا ميتين كمسين جنيه» واذا قدم لآخر من جنسه قال « ياخبيبى دى راجل مجنون دى اسوى تلاته ميه كمسين جنيه» وقصده بذلك أن يأخذه أخوه وهو يشتغل معه من باطنه ليربحا معا وهذه فضيلة جميلة ووسيلة لزيادة ثروتهم وأراك تسأل عن الطريقة التى بها يتوصل أهل الصناعة لإعادة ثروتهم وتقدم صناعتهم فخذ الجواب من مشفق عليك طامع فى إنقاذك من مخالب الفاقة وناب الذلة .

يعلم كل وطنى أن هيئة حكومتنا الآن غير ما كانت عليه قبل وغاية آمالها تقدم أبناء الوطن وتهذيبهم ونمو ثروتهم تشهد بذلك أعمالها الجليلة ومساعيها الخيرية فإنها وكلت إلى أمراء يرون أن لادولة إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال ولا مال إلا بتقدم الصناعة والفلاحة. فإذا اجتهدنا فى مساعدتهم على أفكارهم الحسنة لزمنا أن نسعى فى عقد جمعية لكل طائفة تحت رآسة عقلائها فإذا طرأ

عليهم عمل من الأعمال كان أمره مفوضا لمجلس الرؤساء من الطائفة يساوم من يشاء ويأخذ ما يشاء ثم يوزع فيه من العمال بقدر ما يحتمل وعندما يطرأ غيره يوزع فيه من لم يكن فى الأول وهكذا. وهذا العمل يلزمه رأس مال يديرونه به فعلى رؤساء الطائفة أن يفرضوا فريضة على كل صانع بصفة سهام على قدر قوته واقتداره والمجموع يكون فى صندوق تدور به الأعمال وعندما توزع الأرباح يحجز المجلس من كل صانع جزءا يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لايشعر. وحيث أن الغالب من أهل الصناعة لايقرأون ولايهتدون لأسرار الجمعيات فعلى النبهاء من إخواننا أن يتنازلوا لهؤلاء الضعفاء بحثهم على عمل صناديق الاقتصاد وإدارة الأعمال بالاتحاد والوفاق ولا بأس من تفهيمهم بعض ما يقرأونه فى الجرائد من تقدم صناع أوروبا واجتهادهم فى زيادة الثروة ومقدار ما وصلوا إليه بحسن التدبير والاتفاق لتنبعث فيهم الغيرة والحمية ويحرصوا على تقدم صناعتهم فإن الإنسان مقلدا طبعا لاتطبعا وإذا تمت هذه المبادىء وعقدت جمعيات الطوائف وفتحت صناديق الاقتصاد اختصتهم الحكومة بأشغالها وأعمالها لما تراه فيهم من الثقة والنشاط وظهرت الصنائع فى عالم الوجود بحالة لايتصورها العقل الآن فإن الفكر الشرقى والعقل العربى والذهن المصرى لاينبه بأكثر من الإشارة. وإلا فإذا لم تعقد هذه الجمعيات وتفتح تلك الصناديق وتلم الحكومة شعثهم وتعيد ثروتها بمساعدتها لهم فلا نلبث أن نرى أهل الصناعة (وهم السواد الأعظم) خدما للمتمولين (وليتهم منا) يصرفونهم كيف شاؤا ويستعملونهم فيما يريدون وتفقد رجالنا بلا حرب ولا وباء وتعدم الهيئة الاجتماعية قوتها بتعذر التحصيل من فقير لا يأخذ من سيده إلا القوت أو غنى إذا طولب لجأ إلى الغير. ولا يظن عاقل أن ضياع أهل الصناعة لايضر بهيئتنا وماليتها فإنهم قسم وأهل الزراعة قسم فمن هذا

القبيل نفقد الثروة ومن القبيل الثانى يختل نظام الهيئة الاجتماعية بكثرة لاسيما وأننا مغرمون بحب الغريب والميل إليه فترى الرجل اذا خدم غريبا سمى باسمه ومدح فعاله وذم أهل بلاده وعاداتهم كما نرى ذلك فى كثير ممن يخدمون الغرباء. واذا استمر حال الصناعة على ما نراه من التأخير فى جانب الوطنيين خسرنا رجالنا وفقدنا قوتنا بإعدام الثروة وأصبحنا أسرى معاشنا ارقاء صناعتنا وتحولت طباع الأمة وفقدت اللغة وضاع المذهب بالإهمال والتقليد ونحن فى بحار الغفلة غارقون .

(تخريفة)

(خذ من عبد الله واتكل على الله)

سافر لأحد الأغبياء ولد فلما طالت مدة غيبته توجه إلى بعض الرمالين وقال له «خط لى الرمل وشوف نجمى ازيه» فخط فى الرمل وقال له ما شاء الله أنت طالعك سعود وأيامك سعود شوف النجم بيخبر أنك بتاكل وتشرب وتقوم وتقعد وتفرح وتزعل وتركب وتمشى وتنام وتتيقظ وتكسب وتخسر وفوقك سما وتحتك أرض وفى فكرك كلام وطالب حاجة وبدك تبقى غنى. فغمز الغبى رفيقه وقال له شفت أنا ما قلتلكش يعرف كل شيء مين قال له على اللى بعمله دا كله النجم يبين كل حاجة ثم التفت إلى الرمال وقال له شوف أبو الزلفى ابنى ماله غاب كده. فقال الرمال دلوقت حصل سحاب كثير والنجم ميصحش فى السحاب فقال الغبى أظن نجم الواد ساقط. فقال الرمال الظاهر.كده فشنق الغبى نفسه فى عمته ونادى آه يابنى آه ياعز الرجال يا أبو الزلفى فسمعته أمه فخرجت صارخة. مولولة قائلة أيو اللى جرى لابنى فقال لها أبوه النجم خبر عنه أنو مات فصاحت وصوتت واجتمع إليها النساء من كل فج وأحضرن الدف وابتدأن

بالندب والعويل حتى قامت الناس على ساق وجلس أبوه يقبل العزاء ودموعه تسبل على خدوده وبينما هم فى شياط وعياط وإذا بالولد دخل عليهم حاملا زكيبة الزواده فابتدره والداه واحتضناه وقالت أمه لأبيه (شفت الرمال بتاعك الكداب ده) فقال لها والله ياوليه الراجل مالو دعوه الراجل قال لى السحاب كتير مسمعتش منه وإلا برده كلامه حق وبعد أن جلس مع ابنه برهة شكا إليه ولده إطلاق بطنه فأخذه وتوجه به إلى الرمال وقال له شوف لنا حاجة تحوش بطن الولد أحسن جه بالسلامه وبطنو ماشيه عليه فقال له الرمال الولد ده كنشى يعجب بنفسه فى البلد. فقال له الغبى ايه عوار يتلف عينك لهو فى البلد كام أبو الزلفى. فقال الرمال أيوا قولى لى كده أجرن أخته مسكته. فقال الغبى وإيه اللى يخلصه. قال مافيش حاجه تبخروه بجلدة فسيخه وهو يروح صح سلامه ولم يشعر الغبى وهو جالس إلا وقد حضر إليه بعض الأطباء وقال له أخوك أرسلنى إلى الولد فرأيت عنده إسهالا خفيفا وحيث أنكم لا يمكنكم حفظه فأنا آخذه إلى الاسبتالية وأعالجه هناك . فقال الغبى استباليه؟ دا الداخل فيها مفقود والطالع منها مولود. قال الطبيب الاسبتالية معدة لأولاد الأمراء والمعتبرين وفيها أطباء مهرة وأدوية لطيفة وإذا دخلها إنسان اعتنى به عدة من الأطباء واذا دخلها ولدك لم يقم فيها أكثر من ثلاثة أيام. فقال أنا رايح أشوف النجم يقول إيه واعلموا له والسلام. فقال الطبيب ما للنجوم وهذه الأمراض النجوم لايؤخذ منها شيء يدل على الدواء فإن هذا أمر موقوف على رؤية المريض ومشاهدة حركاته وتشخيص دائه ومعرفة الأسباب والدواعى وهذا لايقوم به إلا الأطباء فقال الغبى والله ياسيدى أنا لا أعرف الأطبا ولا غيرهم أنا رايح أبخره بجلد الفسيخه وربنا يشفيه. فقال الطبيب الروائح الكرية مضرة به وربما أحدثت عنده مرضا آخر فإياك أن تبخره بالفسيخ. فقال الغبى والله يا

سيدى أنا اتوكلت على الله ورايح أبخره ياطاب ياراح فى داهية ولايقولوش أبو رنطوط داخل الحكيم داره واهو زى ماق قاله فقى البلد خد من عبد الله واتكل على الله .

(التبكيت) انظر إلى الغفلة واستحكامها فى العقول السخيفة وكيف رأى هذا الغبى أن الرمال كذب فيما يفتريه وحضر ولده من سفره ولم يرض أن يكذبه وحمل عدم صدقه على وجود السحاب وتأمل قوله أنه يعرف كل شيء بعد كونه يخبره عن أشياء من ضروريات البهيم فضلا عن الإنسان وأعجب من هذا عدم قبوله نصح الطبيب ورضاه بالتخريف فلو كان هذا مهذبا وتأدب فى صغره وعلم فساد هذه الخرافات التى أفسدت عقول رجالنا حتى صيرتهم لعبة فى أيدى المحتالين ما ترك البوستة والتلغراف وقصد هذا المحتال ولا رد نصيحة الطبيب وعمل بقول الدجال ولكنه لم يتعلم أمور دينه ولادنياه وركن إلى كلمات تقولها جهلة الأرياف مثل قولهم خد من عبد الله واتكل على الله.

(منتخبات من أعداد متفرقة)

(إنذار صادر عن لسان الإنسانية)

رفعت إلينا شكوى من بعض النبلاء يتوجعون بها من انقلاب حال كثير من تبعتنا المنتسبين إلينا واستعمالهم قبائح ورذائل ليست من مشربنا وقد أساءنا ذلك و عجبنا من هذا الخروج الغريب ولكون هذا مما يلزم الاحتياط فيه وقطع عروقه قبل سريانه فى بقية إدارتنا قدمنا تلك الشكوى لرجالنا أعضاء الدائرة العلية فقر الرأى العام على أن من يترك حلية الأدب ويتخلق بأخلاق البهائم فيفعل ما يشاء من فسوق ولعب قمار وإسراف فى مشروب وترفه لايليق به وانتهاب حق وعربدة فى مجلس وضرب ضعيف واحتقار فقير وخذلان مظلوم ينفى من أقطار دائرتنا السنية وينسلخ عنه عنواننا الشريف ويكون ملحقا بأمة البهائم وقد أصدرنا هذا إعلانا لمن يخشى سلب شرفه وتجريده من وسامنا السامى وكل من عثرت عليه دائرتنا بعد ذلك فإننا نصفه وصفا يكاد يكون أعرف به من اسمه إهانة له وعبرة لغيره وصدر هذا بالمحفل الأدبى بتاريخ اليوم من ملاحظة الإنسانية .

(مليك الدائرة) الامضاء (رئيس التحفظ) الامضاء (كاتب السر) الامضاء.

الانسانية الشرف التاريخ

***

(تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان)

(أيها الكامن فى جلد الإنسانية)

طالما قرأنا وسمعنا عبارات ملئت بها الكتب وضاقت بها أعمدة الجرائد تذم التوحش وترمى مرتكبه بفساد الأخلاق وفقد الإدراك غير أننا لم نقف على هذا

التوحش ما هو ولا على الفرق بين التوحش الإنسانى والبهيمى ولا على من ارتكب التوحش أولا من القسمين . فقد جرت جياد البلاغة فى ذمه وتقبيحه وانطلقت الألسن تتبعها فى ذم هذا المظلوم غير ناظرة إلى حامل فكيها ولامعترضة على ما يجنبه ربها من ثمار أغراضه ولابد للغافل من منبه وللضال من مرشد فالآذان مفتحة ولكن من ينطق والأعين ناظرة ولكن ما ترى والأفكار مهيأة ولكن إلام. والألسن ناطقة ولكن بماذا. وهذا مما يطلب من اليراع شرح الحال ومن الأساتذة تلقين الإنسان فقد شكا القلم شدة الظماء وتألمت الدواة من طول مدة الحمل وكاد المداد يصبح ماء آسنا وأمست الأوراق حشايا ومتكآت. فرحمة هؤلاء الضعفاء من محاسن الأخلاق. وإن ضقنا صدرا بما يسطره القلم وخشينا طول لسانه سمعنا منه مقالته الأولى وتأملناها فإن أبلغ فى الحجة رفعناه إلى منبر الأنامل ليخطب السطور بما تنشرح به صدور الطروس وأن هذر أو خلط سلطنا عليه سكين الغيظ تفريه وتجعله شظايا ويقرنا بطن الدواة فى حجر الأوراق ليكون المداد ثوب حداد على ضياع الآداب وفقد الألباب فإنه يقول :

كتبت فيما مضى أن الحيوان إذا نفر من الحضر وتبدى جهل الإنس ومال إلى الغلظة والقسوة وصار وحشيا مفترسا يخاطر بنفسه فى القفار والكهوف والمغارات ويحملها على تحمل مشاق الجوع والظماء والحر والبرد والوحدة والوحشة لايبالى فى ذلك مات فى حينه أو غده وهذا الحد الذى وصله يحرمه من وصف التمدن ويطلق عليه اسم التوحش فإنه أنف من الإقامة فى المدن ورضى بشوامخ الجبال بدل القصور العالية وبمسارب الشعوب بدل الشوارع المنظمة وبالفيافى الشاسعة بدل الرياض الزاهرة وبالكهوف الغائرة بدل

الحصون المشيدة وبالوحدة الموحشة بدل الاجتماع الأدبى وبالكساء الطبيعى بدل الثياب المصنوعة والإدراك الفطرى بدل المعارف المؤلفة وبالغذاء المباح بدل الأطعمة المحجور عليها .

إلا أن هذا المسكين لم يجن ذنبا يعاقب عليه ولم يقترف سيئة تقضى بالانتقام منه ولا فعل مع الإنسان ما يبيح سجنه أو تعذيبه ومع ذلك فإنه محل الذم مع براءته منه ومرجع الهجو مع طهارة عرضه يقتل فى أى مكان وجد وإن لم يكن مجرما ويؤسر عند التمكن منه وإن لم يحارب ويذبح لا جناية ولا حكم ويطرد من أوطانه ظلما وهو المختط لها التعب فى بنائها يظنه الإنسان قويا وهو يطرد بعصا الأغنام ويراه شديدا وهو أضعف من الأوهام ولست أدرى بماذا حكم على هذا الضعيف بالتوحش بعد تسلط الإنسان عليه ومن وسمه بالقوة بعد صيده بتفويق السهام إليه ومن عرفه بالمغتال بعد بعده عن العمران.

لو أنصفته الحال وساعدته الأيام لسمى زاهدا فى الوجود أو خائفا من الذل والعبودية أو كارها للتعصب أو راضيا بالكفاف أو محبا لراحة الفكر أو مؤتنسا بنفسه أو قانعا بنصيبه أو حذرا من شر الاجتماع وسطوة عظماء العصبية أو ما شاكل ذلك مما تقتضيه العزلة والبعد عن المنغصات. ولكنه تعصب عليه الإنسان فرماه بكل ما قدر عليه من القبائح على أنه ما شن غارة على مدينة ولانازع ملكا فى ملكع ولا عارض أميرا فى حكمه ولا أحدث ثورة فى أمة بل هو النائم فى كنه السارح فى ساحته الراضى بمطعوم أرضه ونور سمائه وما تعلم الاغتيال والهجوم إلا من الإنسان فإنه يدخل عليه فى أرضه بغير إذنه ويناوشه فى جحره بلا حق ويخرجه من دياره من غير بيع ولا استئجار وأن رآه ماشيا فى سبيله غير متعرض لاساءة أحد أبى أن يتركه ممتعا بحياته الطيبة وقتله

غيلة أو أسره بغتة فمن هذا التعدى تعلم المدافعة. ويطمع الإنسان عرف الافتراس. ومن حقده عليه أخذ حذره فأصبح ذا أخلاق حرة وخليقة طبيعية لايطلب الأذى مادام أمنا فى جحره ولا يجبن فى القتال متى غولب عليه ..

ومن ألجأ الإنسان إلى ذلك لايعد متوحشا بمعنى متعد ولا بمعنى غير مؤتنس فكم معه من نفوس يميل إليها ويعطف عليها وكم حوله من عائلات يراها وتراه وجنود يحمل بها ويدافع فإن جنى على إنسان فمنه عرف الجناية وإن خان أحدا فمنه أخذ الخيانة وإن رأينا مولوده يخرج على فطرة أبويه قبل أن يتعلم علمنا أن أفعال الإنسان من عهد وجوده أثرت فى أبويه وجرى هذا فى دمائهما وما ولدهما إلا خلاصة هذه الدماء الممتزجة بأفعال الإنسان. فما يفعله الحيوان من الاغتيال بمجرد وقوع نظره على الإنسان فهو عاقبة تعدى الإنسان الأول على من عاصره وإساءته التى توارثها هذا المسكين توارث بعض الأمراض حتى صارت من سجاياه .

على أنه صاحب الأرض وواضع اليد ومختط الديار قبل أن يوجد الإنسان وقد تطفل عليه الإنسان وتملق إليه حتى سكن دياره وزاحمه فيها وبعد ذلك كافاه بالتضييق عليه وإبعاده من المعمور ولو تمكن من فيافيه لاغتصبها وأعدم هذا النوع الشريف وانظر إلى بعض الحيوان الذى احتال على الإنسان وخضع إليه حتى شاركه فى المسكن والمطعم والمشرب وعند أمن الإنسان منه أخذ يعلمه العداوة ويغريه على أبناء جنسه حتى أخرجه من طوره وصيره مع أمثاله فى تضاد وتغابن وكان لايعرف عداوة الجنسية قبل اختلاطه بالإنسان المتمدن «هذا معنى يذاق بالمعارف لا بالمغارف» فهذا المسكين فى شقاء وإن سكن البيوت وسجن وإن نام على فرش لينة وعذاب وإن جرى خلف الإنسان بلا قيد

ولا رباط إلا أن هذا الذى فسدت أخلاقه بمعاشرة الإنسان وتغيرت طباعه بالمدنية صار منحوس الطالع لايمكنه العود إلى وطنه للوحشة التى اعترته فى الأمصار ويستحيل عليه أن يلتحق بالإنسان وإن تكلم بلسانه وعمل أعماله لمخالفة الخلق وتباين الطبع فكأنه صار فى الوجود قسما ثالثا بين الانسان والبهيم وما صيره كذلك وألجأه إلى النفور من جنسه وألزم القسم الثانى سكنى الوديان والكهوف إلا الإنسان .

فهل المتوحش منهما من خاف على نفسه من رفيقه فسكن البرارى وحصن غابه وبات حذرا من عدوه أم من دار فى الوجود لاتسعه أرض ولايعجبه خلق ولايريح جنسا ولايقنع بملك ولو كانت الكرة فى قبضته. الحكم فى هذا لذوى العقول السليمة ولعلهم لايتعصبون إلى الجنسية فيحكموا بالمسمى (بالعدل) وأن لم يترتب على الحكم أثرا الآن فإن الإنسان لايرجع عن البهيم بعد أنَ تمكن منه والبهيم إلا أننا نذكر نبذة مما اختص به لنعرف أهو خالص الانسانية أو مركب منها ومن البهيمة فيكون الوجود مسكونا بحيوان واحد : الانسان رب المعارف وأهل التكريم وجد على أحسن صورة وخلق فى أحسن تقويم . له الإدارك والتمييز والتخيل والنطق والأعمال البديعة والأفعال العجيبة اجتهد حتى استخدم الوجود السفلى فى مهامه وقد وقف فى الوجود لايرى له مناظرا غير أنه وقف عن أفكاره وجعل نفسه حكما بلا محكم فهو يقضى على هذا الحيوان بالتوحش وذا بالخيانة وذاك بالجبن وغيره بالنقص .

وكأن عينيه ما نظرتا إلا ما باين مقرهما وعميتا عن هيولاه وما يصدر عنه. وأذنيه ما سمعتا من لفظه قبيحا ولا من غيره إلا مدحه وإن كان مذموما وشكره وأن كان مسيئا فقد نظرنا فى سيرته مع البهيم فوجدناها ظالما وتعديا ونحن ننظر لسيرته مع أبناء جنسه لتقف على نتائج أفكاره وغايات أعماله بحيث

لانخص بالنظر بعضا من النوع وإنما نجعل الشرح مطلقا لينظر إليه مهذب الأخلاق «فإنه المقدم إليه هذه الأفكار » ليبثها فى أبناء جنسه ويكون عونا للمهذبين فى أتعابهم التى يتحملونها ليصلحوا من أخلاق النوع ما أفسدته الجهالة ويحيوا من غيرتهم الأدبية ما أماتته الأغراض والأهواء .

ولايعجل ذو غرض بالتهور والجدال فإن هذا من التوحش الذى نحن بصدده فإن أبى إلا مصادرة القلم كان الداء عضالا والمبتلى به على شفا جرف العدم. وفى اليقين أن شيوخ العصر استمالتهم المعارف بعد النفرة وشبانه رضعوا لبانها أطفالا ولبسوا ثياب الكمالات فتيانا. فلم يبق ألا غبى يرى السهام موجهة إليه فيغضب أو عتل ينظر مالا يناسب أخلاقه الفاسدة فيفحش أو جبار يعلم أن أرض جبروته خسفت فيزمجر. وهؤلاء لايدعوهم لذلك إلا عدم تهذيب أخلاقهم وجهلهم بالحقوق الإنسانية والواجبات المدنية. وهم على علاتهم موضع الكلام ومحل التحكيم. على أن القلم سيقتصر على مشاهد أو مقروء أو محفوظ ومن كانت حجته العيان الجم معارضه .

أى إنسان . ما أحسن أصلك وأجمل شكلك وأعز نفسك وأغزر علمك وأوفر عقلك فيا أيها الحسن الأصل ما أقبحك عند الفخر الخارج عن حدك والمباهاة بما لاتحسن نظمه أو عمله والكبر المبنى على تخيلك الفاسد أنك الفريد فى الوجود. ويا أيها الجميل الشكل ما أفظعك عند المقاتلة وأصعبك عند التهور وأشدك قسوة عند ما تحمل على أخيك وتسلبه حقوقه أو تقتله لغرض من أغراضك. ويا أيها العزيز النفس ما أبعدك عن الحق عندما ترفع نفسك على أخيك وتنظر إليه نظر المحتقر وتضع من قدره ما عرفه له تساويه معك وأوجبه اتفاقكما الخلقى. ويا أيها الغزير العلم ما اجهلك عندما ترى غيرك دونك فى

القدر وتغضب إذا أخل بتعظيمك وتسبه عندما يترك تقبيل يدك أو لثم أطراف ثوبك وما أصغر قدرك عندما تنظر الغير بعين الجهالة وأنت قادر على تعليمه وترميه بفساد الأخلاق وأنت متمكن من تهذيبه. وما مقامك فى الوجود إلا لإصلاح ما فسد من الجاهل الذى كنت مثله قبل علمك بل الذى عرفت به. فما أبغضك عند ما تحجر علمك على النقلة وتمنعه من المستحق استبدادا منك على أخيك ألا ترى أنك بهذه الطباع فاسد الأخلاق تحتاج ما يحتاجه الجاهل من التهذيب بل انت عين الجاهل بل الفارغ من روح المدنية. ويا أيها الوافر العقل ما أجنك عند ما تقابل المسىء بإساءته وتخاطب ضعيف العقل بما لايتحمله فكره ظنا منك أنه فى قوتك وتمكنك مدرك لما تقول قوى على الخصام والجدال بعد علمه بنزوله عنك وانحطاطه عن درجتك . هلا عاملته بما يناسب فكرك وتحتمله قواه فغنمت إفادته واكتسبت راحتك، ويا أيها الموصوف بالكمال ما انقصك عندما تمشى فى الأسواق مختالا متكبرا كأنك مارّ بين البهائم والحشرات ولو نظرت عن اليمين وعن الشمال لرأيت ما يخجلك من أمثالك المحتلين بحلية الكمال السارين فى سكينة ووقار وخشوع. ويا أيها الفرح بما ملكت يداه ما أحزنك لو تأملت المضطر يتضور جوعا والبائس ينتفض بردا والغريب لا مأوى له يستكن فيه واليتيم لاقيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لا مال يطيب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه فى حفظ حياته افٍّ لك ولما لك قل أو كثر فإنك تحجر على الإنسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتناز المال وما ظهرت إلا لتخريب البلاد من حصر النقد عندك وعدم تمكن الأفراد مما يبتاعون به ما يلزم لعمار الديار فتعسا لك ما حييت وسحقا لك بعد موتك ولا مرحبا بك إذا قدمت ولا سلامة تصحبك اذا ذهبت . ويا أيها المتصف بهذه الصفات الذميمة ألا يدلك البرهان على فساد أخلاقك واحتياجك إلى مؤدب يقف

بك عند حدودك ويعلمك ما تطهر به دنس الطباع وتنظف به قانورات الجهالة ويعرفك قدر إخوانك ابناء جنسك ألست ترى نفسك من المتوحشين المغتالين قطاع طريق التقدم معدمى الحياة الأدبية الساعين فى خراب الأكوان . ويا أيها المدعى الوطنية وهو يسعى فى اضمحلال بلاده ويميل بجانبه إلى كل بعيد عنها ما أضرك على بلدك وأشدك على جيرانك وإخوانك وما أغفلك عن حقوق مظهر وجودك وسماء سعودك ومسرح روحك ومقر شبحك لو علمت الوطنية ودرستها على خبير بها لعلمت أن البلاد محتاجة إلى فكرك وقوتك والأهل مفتقرون إلى مالك والأرض مضطرة إلى خدمتك والعمار موقوف على اتحادك وبعدك عن النقائص وما يكدر صفو الراحة العامة أو يجلب شرا على الأمة بتهورك وعدم تبصرك فى العواقب. تموت فى غرضك وأنت تحيى الكثير من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الألوف ذهبت بأميالك فى طريق آمالك فبؤت بغضب الأمة وسخط البلاد. ويا أيها المنتقم من مثيله كفرت نعمة النوعية وجحدت فضل الجنسية فأصبحت وحشا طبيعيا لا متوحشا تطبعا. ويا أيها المدعى حرارة الدم هلا صرفتها فى استخلاص نوعك من الخشونة وبذلتها فى تهذيبه وتأديبه ليكون عونا لك إذا عرف قدر نفسه ولكنك من النوع الذى وجد من مادة أمشاج فقضت عليه الأخلاط بالحيرة والانفعال التجاذبى بتضارب الاضداد فوقف يفعل الاساءة وهو مرتاح إليها ثم يندم فى الحال ويقدم على الأمر لا يرده راد ثم يرجع بأدنى إشارة ولو ثبت على قدم واحدة لملأ الوجود عجائب ولم يترك من الكرة مقدار ذراع ألا عمره ولكنه سلم نفسه الشريفة إلى اغراضه فانزلت درجته من معالى الانسانية إلى حضيض البهيمية .

فمن تنطبق عليه هذه الصفات ويحكم بعدها بتوحش البهيم وتمدنه هو بعد أن أضله وظلمه وأضاع حقوق نفسه وتوسط فى ضياع ثمرة حياته ألا يعلم كل ذى لب بعد ذلك أن تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان .

(حوادث خارجية)

أهم ما فى جرايد البهدلة (١) ان حزب الضلال تقوى على حزب الكمال فأخذ يبعث بعوث البراميل إلي طنطا (٢) ويوجه طلائع الغانيات إلى درب القمر وجيش الحشاشين إلى تل الحدادين وفرقة اللصوص إلى الشوارع المزدحمة والسوامر وقد عينت الفصيلة الأولى من المغنيين إلى الخيام والثانية ذات الآلات الغريبة إلى البيوت إلى المحاشش والرابعة إلى السوامر والأكياب وحصنت قهوة الصباغ بالأدبية وقهوة اسبيرو بالحرامية وقنطرة المحطة بالشرطية وسوق البهائم بالنصابين والحشابة بالنشالين وأرسلت العيون والأرصاد من المخرفين فى سائر أنحاء البلد حتى صار محاطا باستحكامات القبائح فلا يتصور وصول العقل إليه وقد سلمت قيادة هذه الحرب الهائلة إلى الشيطان الرجيم ومن مقدمات الاخبار يعلم أنهم سينتصرون على التقوى ويهزمون الكمال شر هزيمة وبمخابرة الانسانية مع الدين فى شأن حمايته أهلها أجابها بقوله هذه دماء طهر الله منها سيوفنا .

(١) البهدلة اسم مملكة الجنون وهى على شاطىء بحر الجنيهات تحد بالخمور من جهة الغرب وبالعاهرات من جهة الشرق وبالمضلين من جهة الجنوب وبالمخرفين من جهة الشمال وأول من اختطها ملك الضلالة الجهل وبها مقدار سبعة وتسعين من مائة من العالم ومواسم البهتان فيها دائمة الرواج وحظ السجون فيها لانظير له فى الوجود وصناعة أهلها افساد ما احكم العقل وتحسين ما قبحه الأدب ولهم فى هذه الصناعة تفنن عظيم واقتدار على المخترعات. وحزب الضلال فيها أهل الفسوق الغلاة فى الحرية البهيمية وحزب الكمال رجال الصلاح والآداب وكان هذا الحزب صاحب الشوكة والصولة فى

عهد المغفور له العلم الشريف مؤسس هذا الحزب وبعد وفاته ضعفت قوته وقل عديده فأصبح حزب الضلال صاحب الأمر والنهى(٢) طنطا اسم بلد من أعمال الغربية بها مقام الحسيب النسيب سيدى ومولاى السيد أحمد البدوى وهو مزار جليل يتبرك به غير ان حزب الضلال قلب موضوع الزيارة وهتك حرمة الأولياء واتخذ البقعة الشريفة ساحة بهتان وميدان ضلال حتى صار التقى المخلص يقرأ الفواتح من بعد خشية رؤية المنكرات ويزور المقام ليلا عندما يكون خاليا من المخرفين ولاشيء يؤثر فى النفوس الطيبة أعظم من جعل بقاع التقوى والتبرك ملعبا للجهلاء ومسرحا للفجار فلو قدرنا صاحب المقام حق قدره لدخلنا البلد خاشعين غاضين الطرف تأدبا فى هذه الحضرة الجليلة وعسى أن نرزق بذوى غيرة على السادات يطهرون الأشراف من القبائح والفجور وينزلون الأولياء منازلهم من حيث الكمالات والاعتبار .

(أخبار آخر ساعة)

أخذ الناس فى تأمل ما جاء به التنكيت والتبكيت والعمل بارشاده والأخذ فى أسباب الحزم وترك الملاهى وتجديد الصناعة فرارا من العيوب ورهبة من الوقوع فى الشبهات وابتدا النبهاء فى نقد مقدماته والمحاورة فى عباراته .

(اعتراض على التنكيت)

ضرب الأمثال بنا ونشر عيوبنا لايليق لئلا تقف الافرنج على أحوالنا

(الجواب)

الافرنج تعرف من أمرك ما لم تهتد أنت إليه ولها مؤلفات فى سيرنا اشتملت على مخبآت يظن صاحبها أنه لايعلمها إلا هو والقصد تقبيح حال الجهلة وإبطال دعاوى المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس

الجهالة حتى لانرى أحد من المغفلين ولا المضلين أو الضالين آمين.

(حر الكلام كلام الحر)

الكلام الحر ما كان غير مقيد بمشرب أو عادة مقتصرا على شرح الحقيقة بلا حشو ولا تنميق.

هذا التعريف الجامع المانع يلزمنا البحث فيما أطلقت فيه أعنة الأقلام وهو لايخلو إما أن يكون مؤلفا علميا أو محررا سياسيا. فالأول توجد الحرية فيما كان مختصا به ببعض العقليات والفنون التذهيبية فإنه عبارة عن تعريف مركب تقتضيه صناعة الطب أو أخبار بتجربة تقدم الفلاحة أو إرشاد يقتضيه مقام التهذيب أو غير ذلك مما تدعو إليه حاجة الانسان وهذا لادخيل فيه يخرجه عن أصله ولايقصد به إلا حياة الإنسان ووقايته من العوارض السماوية أو الأرضية أو الحيوانية. وما عدا هذا من المؤلفات التى يقصد بها تأييد مشرب حاكم أو مألوف أمة أو عادة قبيلة فإنه لايشم رائحة الحرية إذ القصد من التزلف والتملق وجذب قلوب الأمم بألفاظ منمقة منسجمة يميل إليها نوق الإنسان وتحن إليه طبيعته .

والثانى يوجد فيه لفظ الحرية مجردا عن المعنى كيفما كانت الحرية مطلقة لكاتبه فإنه يؤيد عمل أمير أو يحسن فعل أمة أو يمدح فئة بحسب ماتصل إليه أفكاره من استحسان ما يراه فى بلاده من أفعال رجالها. ومعلوم أن ما يحبه هذا يكرهه ذاك وإن أصاب هذا من جهة أخطاء من جهات وأن أرضى فئة أغضب أمما كما نرى ذلك فى جرائد السياسة على اختلاف مظاهرها وتباين أغراض محرريها وكلها ترجع لاستحسان عمل أهلا أو تقبيح مالايناسب المحرر لا الأمة أو ما يغضب أهل مذهبه أو ما يخالف غرض جنسه وبهذا تعلم

أن المحررات السياسية أجنبية من الحرية ولا وصلة بينهما إلا فى الألفاظ وتتحقق أن الكلام الحر يوجد فى بعض كتب العقليات المقتصرة على تعريف جسم أو استخراج مجهول أو تركيب دواء أو تشكيل آلة أو نشر مواعظ أو ردع عن قبيح أو حث على جميل فما وجدناه من هذا القبيل عنوناه بحر الكلام وتركنا ما عداه فى رق كاتبه وأسر أمره وبهذا نأسف على ضياع نصف الحكمة ونفرح بوجود معناها فى بعض أجزائها وبقى علينا البحث فى الحر من حيث هو بالنسبة للمتكلم.

الحر من ملك أمره ولم تتقيد أفكاره بغرض ما. هذا أخص التعاريف به عندى وأن تضاربت فيه الأقوال ولو نظرنا إلى إنسان الوجود الحالى فى سائر بقاع المسكونة لرأيناه بعيدا عن الحرية لايهتدى إليها ولايتمكن منها أن وجدها سواء فى هذا تابع الحكومة الجمهورية أو الشوروية أو الاستبدادية فإن الوجود مضبوط بممالك مقيدة بقوانين وضعت بأغراض ذاتية وأفكار مقصورة على فرد أو بعض أفراد ولا يفقه تلك القوانين إلا واضعها أو من درسها على أهلها ولها عندهم منطوق ومفهوم وباطن وظاهر ولايعمل فيها بقول العاقل من غير أهلها وإن أصاب واخطئوا. وإن قيل أن الممالك تعرض القانون على مجالسها قبل تقريره قلنا أن المجالس مقصورة على أرباب الثروة أو أهل الكلام وليس كل الأمة كذلك فهذا داخل تحت قولنا أو بعض أفراد وهذا يثبت أن الإنسان فى أسر القوانين وتحت تصرفها ومن وقف فى هذا المقام كان أجنبيا من الحرية وليس المقيد بالقوانين من لم يضعها بل واضعها أيضا فى أسر ما دونه وحبس ماقيده فتراه عند ما تلم ملمة لم يكتب لها باب يسهر الليل مع أمثاله فى الأفكار ويبيتون على حذر من نفور النفوس وثورة الأمم فهم أسرى مظاهرهم ارقاء أفكارهم لاحرية أدركوا ولا من العناء استراحوا، وهذه القضية تنتج إثبات

الحرية لدفاتر القوانين لا للإنسان .

والدفاتر لاتتمكن من الحرية إلا إذا كان ما فيها قطعيا ينفذ بجوهره بلا تأويل ولاتفسير ولامعارضة بما حواه غيرها ولكن تداول الأيام يخبرنا على ألسنة التواريخ بما لايدخل تحت حصر من قوانين وضعت ونسخت ثم نسيت كأنها لم تكن شيئا مذكورا وما نسخها إلا مثلها أقوال وأفكار تجوهرت فى صفحات الأوراق ثم استحالت وتطايرت فى الوجود تطاير أبخرة الإنسان والحيوان وبهذا تبطل النتيجة الأولى وتنسلخ الحرية عن الدفاتر وثبت للفظها المجرد عن المدلول .

على أن النتيجة الثانية باطلة أيضا فإن لفظ الحرية وإن كان لامدلول له فإنه محجور عليه لايتلفظ به إلا فى سرداب ولايكتب إلا فى أوراق لايعلم ظاهر الوجود صورتها ولا يكون اللفظ حرا إلا إذا جاز تناوله فى كل مكان وتلى على أعواد المنابر والسن المحابر وهذا مما لايسلم به قانون فإنه وإن ذكر فى بعض الممالك لابد وأن يشفع بغرض ينجو به مجرره كما فى الجرائد المسماة بالحرة فصارت الحرية الحقيقية عبارة عن سر من أسرار الوجود يلقن فى الخلوة على بعد من الناس آخر الليل بصوت الهمس بعد إيمان الشرف وحلف القسامة وهذا هو العدم بعينه فما نسمعه من الناس على اختلاف ممالكهم من السعى خلف الحرية الحقة أو دعوى التحلى بها عبث وهوس فقد علمنا أنها موقوفة على إباحة ذكرها فى المحافل والمجامع والطرقات ثم تنفيذ قانون عادل يشترك فيه سكان المعمورة من غير نقض ولا تأويل ثم تخويل الانسان حركة لايعارض فيها إلا إذا صادر غيره وهذه عقبات ليس للمستحيل وجود إلا فى قطعها فإنه لاينتظم اجتماع بلا قانون ولاتجتمع حرية مع محكوم عليه..

على أننا نرى مدعى الحرية اذا اختلى بنفسه ونظر فى كتب المعتقدات مال مع محسنات أفكاره حيث مالت وربما ذهبت به لاستقباح معتقده واستحسان غيره وعند ما يخرج للناس تأبى عليه صورة الاجتماع إلا الاعتراف بمذهب عامة طائفته. واذا نظر فى منشور سياسى وهو فى بيته قام وعقد وصوب وخطأ وأظهر مقاومة يكاد يمحو بها ذاك المنشور ومتى خرج ونودى للتصديق أجاب بالسمع والطاعة والانقياد ومدح وأظهر الاستحسان. فهذا المدعى لايرى حريته إلا فى خلوته وبطون صحفه وذاعين ما استنتجناه أولا وحكمنا به على استحالة تجرد الإنسان من صاحب الفرض الذاتى فإنه من نوعه والنوع قاض بحدوثه كلما تجدد النسل فى الوجود وميز اللذة.

فلم يبق إلا البحث فى الحرية المجازية وهى وقوف الإنسان عند حده ومعرفته حقا لنفسه يطالب به وواجبا لغيره يؤديه .

وهذه الحرية لاينالها إلا أمة تهذبت وتربت على محاسن الأخلاق وعرفت معنى الإنسانية وحق المدنية وقدر الوطنية وواجب الانتظام فإن الانسان اذا جهل الحقوق تهور وخرج عن الحد وكدر الراحة واذل جنسه وخرب و طنه وعرض نفسه للتهلكة من حيث يرى أنه يسعى خلف الوطنية والعمار بأوهامه الفاسدة والامم على اختلافها وكثرة تعدادها لم يتم لواحدة منها الفراغ من تهذيب كل الافراد فهى تسعى فى طريق التقدم بتعميم التعليم وتنوير الأفكار لتحظى بالتساوى المطلق الذى لايتيسر وجوده إلا بعد علم كل فرد بالقانون وترافعه بنفسه بحيث يكون حكم القاضى تنفيذا لما ينطق به المترافع من أحكام القانون وهذا لايضمنه إلا القرن الخمسون إن سلمت الأفكار وعمت المعارف وبطلت الحروب..

ونظام الأمم وحفظ وحدة الوجود يقضى ببقاء الحال على ماهى عليه حتى يتم تهذيب الخلق ووقوف كل عند حدوده إذ ذاك يجوز إطلاق الحرية المجازية على الإنسان وتصدق الخلق ووقوف كل عند حدوده إذ ذاك يجوز إطلاق الحرية المجازية على الإنسان وتصدق عليه حكمة (حر الكلام كلام الحر) .

***

(اتبع الحق وإن عز عليك ظهوره)

(أى زمان)

حدثنى عن الأرواح التى زارتك وكيف كانت نشأتها فقد رجعنا فى تصفح تاريخك إلى حد وقفت فيه العقول فأخذت بالقياس والتخمين ولم نر غير إنسان يقطع عمرك بفناء أجزائه فهو يختط البلاد ويبنى البنيان ويغرس الوديان ويركب البحار ويسعى فى غنيمة يكسبها ولذة يحصلها وغرض يقضيه وكلها ترجع لمثيله فتراه يريد الغنيمة ولايجد لها غير قتل اخيه سبيلا ويميل اللذة ولا يحصلها إلا يجعل عرض أخيه طريقا يشتم ولكن مثله ويضرب ولكن جنسه ويقتل ولكن قرينه فهو القاتل والمقتول. والناهب والمنهوب والسالب والمسلوب والعائب والمعيب يرى اللقمة فى يده غذاء لجوفه ولا يعلم أنه يجوع يوما ما فلا يجدها ويسعى فى إهلاك أخيه ولايدرى أنه ربما نجا وأهلكه سعيه وقد اختلفت طباعه وتعددت مساكنه وكثرت لغاته وتباينت معتقداته فسمى المذهب واللغة والوطنية والجنسية وتعصب لكل منها بحسب ماتدعو إليه أغراضه فأنتج هذا التشيع وجود العداوة التى تحسن لضارب الرصاص إطلاقه من غير خوف ولاجزع ولا أسف فإنه يعد نفسه قسما غير من جعله عرضا لناره وبهذه العداوة تسمت الممالك وخططت وحددت وحصنت وأصبح كل يدافع عن مملكته بروحه

وماله وما بالوجود غير إنسان واحد.

فيا زمان أكان انسانك الأول عدو نفسه يطعمها حينا ويجيعها زمنا. ويضربها وقتا ويريحها أونة حتى نبت بذرة بهذا الغرس المتماثل مع الاهواء أم كان محبا لذاته محافظا على حياته مجتهدا فى نمو قوته وتأييد سطوته ونحن ننسب إليه بالصورة وتباينه بالطباع. كم قتيل كتبته فى دفتر وجودك ممن ذاق المنون من المظلومين. كم مشرد قيدته عندك ممن أوغرت عليهم الصدور ظلما وهم لايشعرون كم امناء اهينوا بالأوهام وما هم من الخائنين. كم حكماء تسلط عليهم الاغبياء فحجرت عليهم أفكار تهدى العالمين. كم علماء هزأ بهم الجهال فماتوا وفى صدورهم هدى للمتقين. كم أمة كانت أمنة مطمئنة فأصبحت من الهالكين. كم فئة اتحدت قلوبا ففسدت بلسان غوى مبين. لاتقل ادواري تقضى عليهم بهذا التفانى وانت تعلم أن الاجال مقدرة فلو صبر القاتل على المقتول لحظة لمات ولكنه ابى إلا ارتكاب الاثم واتباع الاغراض فسفك الدماء وهتك الاعراض وسلب الحقوق وغرس العدوان واوغر الصدور وارجف القلوب وهو فى سعيه من الفرحين. أهذا هو الانسان أم العين تبصر شكلا كشكله وهو غير مشاهد فإناجيل الطرف فلا نجد الا اكفاء وامثالا. ام الانسان اسم غصبناه وادعاء كل شيء قوام عمودي والا بان كنا هو فما بالنا نسعى فيما يضر بهذه البنية الشريفة ونجتهد فى أعدامها هل الارواح تفتتم فيأخذ الساعى روح اخيه لتكون مع روحه فى جسمه أم الاعمار تورث وكل ساع فى هلاك أخيه ما بقى من عمره. ولمن وجدت الشرائع اذا لم يتقيد بها الانسان اين الخوف من النار ونحن نتفكه ونتسلى بالمفتريات اين الرهبة من النقمة ونحن نهجم على المعاصي هجوم العاشق لها. اين السعى فى الطاعات اذا كانت الاساءة منتهى الامال. اين الصدق اذا كذبنا لانقاذ غرضنا. اين الحق اذا ركبنا الباطل اجابة

للنفس فى طلبها. اين الاخاء اذا تسلطنا على بعضنا بالألسن والسعاية. اين الانسانية اذا اجتمع الاقوياء على ضعيف. اين الفضيلة اذا كان للنقيصة عندنا شأن عظيم. اين العقول اذا لعبت بها الاهواء .

ألا يحسن بهذا النوع الشريف أن يسلك طريق الحق ويدع هوى النفس أيليق بى وأنا من الإنسان أن اصحب واحدا اتسلى بألفاظه وأطرب بكلماته واسر بمفاكهته واقتبس منه ما اهتدى به فى ظلمات اغراضى واروى عنه ما تتنور به أفكارى وارى منه أشكالا وغرائب واتمدح به فى كل مكان وأفاخر به كل إنسان واتيه بوجوده فى أرضى وافضله على السابقين من أمثاله واسير معه فى كل طريق سار فيه واحسن كل عمل يأتيه واساعده على كل مهمة يطلبها ونازلة يدفعها وهو يذكر لى من المحاسن ما يسمو به قدرى ويعلو شأنى ويثنى على بما يخلد لى ذكرا جميلا ثم بعد هذا الغرام والشغف والالتصاق والمضافاة أقطع حبل وده بسعاية وابغضه بدسيسة محتال واهجوه اليوم بما كنت ابرئه منه امس واذمه بما كنت أدفعه عنه وارميه بما لو اتصف به لدنس مجدى وقذر شرفى واسعى فى نفور القلوب منه بعد إن كنت اجمعها عليه.

ولو تأنيت فى الأمر واخذته بالحكمة لظهر المفسد من بيننا ظهور الشمس فصفعناه وأخذنا حذرنا من مثله وإلا فإن غضبى بالاوهام وتصديقى من عرفت كذبهم واختبرت مفترياتهم وكانت لهم عندى سابقة السوء ليس من الحكمة ولكن اذا ملئت الآذان بمفتريات كدرت النفوس وحولت القلوب وزحزحت العقول ولاينزعها التنصل ولا يدفعها الاعتراف فالأولى لمن سلطت عليه السن ذى الغايات أن يستسلم للقضاء ويلزم الوحدة حتى يصل إلى إحدى الغايتين أما ظهور الحقيقة وتحقيق براءته والاعتذار إليه وإما تمكن السعاة من اساءته

وذهابه شهيد الغايات أو أسير المفتريات. وعار على شيوخ جربت الزمن ان تحل عروة الاتحاد بسعاية من تعددت مساعيه الشرية وبعده منها ايم الاصلاح وتعلقه اليها زمن فتنته. ولكن لكل باغ مصرع ولكل ساع مقصد . فيا ايها الانسان صور الحق بين عينيك وغالب نفسك فما الجهاد الا جهاد النفس والزامها طريقة الاعتدال وردها عما يحدثه الغضب من فرية نمام أو أكاذيب ذى غرض ولاتطلق لها العنان إلا فى الخير ولاتساعدها إلا على الإحسان ولا تأخذ الأمور بظواهرها واتبع الحق وإن عز عليك ظهوره .

***

(ألسن الخطباء تحيى وتميت)

حكمة إذا عقلت معناها وقفت على سر الخطابة وحكمة حدوثها وعلمت أنها للعقول بمنزلة الغذاء للبدن وكانت الخطابة فى الأعصر الخالية غير معلومة إلا فى أمتى العرب واليونان فكانت ساحتها فى جزيرة العرب عكاظا ومنابرها ظهور الابل. وهذه الساحة كانت معرضا للافكار تجتمع فيه الخطباء والبلغاء والشعراء وأمم كثيرة من المجاورة للجزيرة فيرقى الخطيب ظهر ناقته ويشير بطرف ردائه وينثر على الأسماع دررا وبدائع ثم يباريه آخر ويعارضه غيره فتتضارب الأفكار وتتنبه الأذهان وتحيا الهمم وتتحرك الدماء ويرجع كبار القبائل وامراؤها لما يشير اليه الخطيب إن صلحا وإن حربا. ولم يقتصروا فى خطاباتهم على مسائل الحرب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الأفكار فلا يتركون ملمة إلا شرحوها ولايذرون فضيلة إلا حثوا عليها حتي أنهم كانوا يحفظون اسماء الحكماء منهم وأهل المآثر فيذكرونهم فى كل علم فى هذا المعرض إحياء لتذكارهم وتخليدا لاسمائهم لئلا يجهل الآتى سيرة الماضى

فتفر الهمم وتخمد الدماء وتتغير الطباع.، وفى غير المعرض كان كل متكلم خطيبا فى ناديه يحض ويحذر ويحرض ويحمس ويأمر وينهى واذا نابهم أمر رجعوا إلى كبار القبائل ومشايخها وتذاكروا فيه مذاكرة النبهاء وسلموا أفكارهم لحكم الشورى ليظهر من سر الاجتماع وهيئة الاتحاد رأى يحكم للجميع سطوتهم ويقوى استقلالهم ويزيد فى نفوذهم فإذا نشر على عامة القوم رأيتهم سراعا لسماع الحكم طائعين لما أبدته حكمة الاجتماع لا طاعنين ولا مقترحين أمرا فإن كان الاجتماع لرد باغ رأيته أطوع للأمة من القلم للكاتب وإن كان الحكم بإعدامه وإخماد أنفاسه، وإن كان لجمع سلاح وكراع واعداد افراس ورماح رأيت الغني المتبرع بنصف ماله والكريم المتفضل بحلية فراسه والمثري المهدي ما يمتلكه والشجاع المبيح لدمه والفارس البائع لحياته والقوى الواهب نفسه للخدمة ولاشاب المعرض نفسه للهلكات والشيخ الناصح والكهل الواعظ والطفل الفرح والشابة المغنية بحماية الحى وحفظه والعجوز المنادية بذكر الأجداد وثأر الآباء والإماء القائمة بإعداد العقاقير ورفائد الجراح والعبيد المجدة فى طلب الإبل وجمعها فى مرابدها والشيوخ القائمين بتدبير الاحياء وترتيب الفرسان والخطباء المنبثين فى البيوت والصحارى والفيافى يخطبون الشارد ويردون الصادر بكلمات تكاد تزهق بها روح الجبان وتطير بسرها روح الشجاع طربا باللفظ وحبا للكر والفر والدفاع .

وبهذا كانت العرب منيعة المقام كالعنقاء التى تكبر ان تصاد حتى هابتها الأمم واتخذتها الملوك وقاية فى مقدمة جيوشها تتقى بها الاعداء وتلتقى عليها النصال وتقصف في اقدامها السهام وتثلم فى دروعها السيوف لما علموه من صفاء دمها الذى اذا تحرك انتفخت به العروق وتورمت منه الاوداج فلا يسكن الا بعزة لايعقبها ذلة ومنعة لايلحقها خضوع وشرف لاتدنسه وضاعة. ولو

تركتهم الخطباء للتخاذل والتحاسد لماتت هممهم وخمدت حميتهم ولعبت بهم الاهواء وتمكن منهم الضعفاء وأصبحوا اذلاء فى الأمم لايدركون المجد ولايعرفون لشرف النفوس سبيلا .

وقد استمرت الخطابة فى العرب دهورا لايجتمعون إلا عليها ولايجلون إلا أهلها ولا يعظمون إلا العاملين بها ولايخضعون إلا لمتبعها القائم بحفظ الأمة وصيانة أعراضها وأراضيها حتى جاء الاسلام وفرض الخطبة للجمعة لامز تغيب عن كثير من الناس حكمته وسره البديع ونحن نذكره قيايا بحق خدمة الامة والوطن والدين وتبنيها لأفكار السامعين وتحريضا للخطباء على سلوك طريق النصح وسبيل الخلفاء والعمال الذين ملأوا الوجود بآدابهم ومبتكرات معانيهم وحسن نصائحهم ومواعظهم .

لما كان نظام الاجتماع موقوفا على وحدة الائتلاف ووقوف الأمة على حقوقها وحدودها ولايتمكن الفرد بنفسه من فهم البعيد عنه أو الخفى عليه إلا بمرشد متضلع عالم متقلب فى حوادث الزمان ووقائع الرجال والأمة ليست جميعها من صنف العلماء ولا كلها من رجال الكلام ولا أغلبها من أهل السياسة ولا جلها من أرباب الأقلام لتشكيلها من عالم مختلف الاغراض متباين الطباع فرضت الخطبة ليقف الخطيب بين قومه وقفة الخليفة الآمر الناهى فيقص على الرعية ما فعله من الجميل وما قام به من الأعمال وما ورد عليه من الاخبار وما يحذره من الطوارق وما يرجوه من الاصلاح ويشرح لهم حال من بعد عنهم من اخوانهم المؤمنين وما نزل بهم من النوازل الجوية والحوادث الأرضية وما غنموه من أنفال الفتح وغنائم الانتصار لتكون الأمة على علم بأحوالها فى سائر بلادها وفى هذا من النصح والوعظ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر مالا

ينكره إلا مقيد بديوان أو مربوط فى بعض وريقات صنفها غيره .

ومن طالع خطب الخلفاء والعمال وعلم ما كان يحدث فى الأمة من الغيرة والحمية عند دعوة الحرب أو زيادة الجند أو رفد الحكومة بمال وقف على سر الخطابة وحكمة فرضيتها فإن المتقدمين ما نزل بهم أمر إلا خطبوا به حتى أنهم كانوا يرثون شهداء الحرب على المنابر وبهذا كانت الأمة فى نمو وزيادة فتوح وقوة بأس وناهيك بأمة تجتمع كل أسبوع فى ساعة واحدة فى سائر أنحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد على احوال الأمة وسيرها وتقدمها ونجاحها حتى اذا كان الجيش مقيما فى بلاد الروم ويخطب بحوادثه فى جزيرة العرب تتوالى عليه الامداد وتتلاحق له الفرسان وبينه وبينهم براري وفدافد لاتقطع إلا بأيام أو أشهر ولقد انكروا على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله ياسارية الجبل وهو على المنبر فى خطبة الجمعة ولم يعلموا سرها إلا بعد أن حضر سارية من غزوته وقص عليهم خبره فعلموا أن الخليفة كان يخطب وهو ناظر للحاضرين بعين بصره وللغائبين بعين بصريته فهو يأمر السامعين بالاخلاص والاتحاد ويشير للغائبين بالالتجاء إلى الجبل وإسناد ظهرهم إليه ليقاتلهم العدو من وجهة واحدة .

ولايغيب عن قراء التاريخ خطبته السياسية التى قال فى آخرها من رأى منكم اعوجاجا فيلقومه فقام له أحد رعاء الشاة وقال له لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا . وهذه حالة تدل المطالع على حرية أمير المؤمنين وسيره فى طريق العدل الذى حفظ له قلوب الأمة وظهر بواطنهم من الحقد عليه أو الطعن فيه . وقيام هذا الراعى للرد على أمير المؤمنين دليل على تمكن الاستقامة من الرعية وبعدهم عن الذل والخوف والرعب وميلهم لقول الحق فى مجلس الأمير

والحقير وشاهد على وقوف الأمة عند حدودها وحقوقها وحفظها للنظام العام بعدم الخروج عن الحد أو ارتكاب ما يخدش الدين أو يضعف عصبية الاجتماع الملى .

وكان من عادة الخلفاء اذا وفد عليهم خطيب من بلاد بعيدة عقدوا له محفل ودعوا الأمة لشهوده فيرقى الخطيب المنبر ويقص على الأمة مالاقاه فى رحلته وما علمه من أخلاق الأمم وما فيهم من الصفات وماهم عليه من أحوال الملك ومالهم من الأعمال ومن فيهم من الرجال وطباع الشعوب وكيفية الاحكام وحالة الاجتماع وهيئة الفرسان ووظائف العمال وسعى الأفراد لتقف الأمة على أحوال العالم وماهو عليه فيغنم الحاكم الأعلى من هذه الخطبة ظهور رجال يضارعون من سمعوا سيرتهم وعلماء يباهون من وقفوا على أعمالهم وحكماء يبارون من علموا أخبارهم واشغالهم فتزداد بذلك ثروته المالية وتحيا كلمته الوطنية وتقوى سلطته الملكية ويتسع نطاق العلم فى بلاده واقطاره وهذا الذى أوصل الوجود إلى العمران والتقدم فى الصناعة والعلوم ..

ولم تكن الخطابة قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا وزخرفها بل كانت الخطابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء تتضمن الحوادث وأخبار الأمة ولا يقتصر فيها على الوعد والوعيد إلا اذا كان الاسبوع خاليا من الحوادث الجديدة والامور المهمة . وما نقل الخطابة من موضوعها إلا الملوك المستبدون من بنى امية وغيرهم فإنهم لما علموا أن الناس تزدحم يوم الجمعة لأداء الفريضة وسماع الحوادث فى الخطابة تواطئوا مع بعض الخطباء على ذكر الموت والزام الأمة بالطاعة والخضوع والتحذير من الخروج على الحاكم أو مخالفته ليميتوا بذلك ثورة النفوس التى تحدثها المظالم

ويحركها البغي وتوالت من بعدهم اعصار وكلما ظهر ملك شديد الاستبداد زاد الخطباء فى التخويف والارهاب فإن الخطابة كانت فى الامة بمنزلة جرائد الاخبار فترى المملكة العادلة تبيح حرية المطبوعات لتطلق عنان الأفكار ومن خرج عن حده أو رمى الحكومة بما ليس فيها حاكمته وعاقبته . والحكومة المستبدة تحجر على الجرائد حجر المتقدمين على الخطباء فلا ينشر فيها إلا ما ترضاه من المدائح وتحسين أعمالها من غير نظر لمصلحة الأمة ولا للمنفعة العامة لتكون أمتها تائهة فى ظلمات الجهالة لتهتدى لصالحها ولاتعلم من أمرها إلا ما يضر بها .

وكان الخطباء فى صدر الإسلام يخطبون ارتجالا لتمكنهم من اللغة وعدم فساد ملكتهم العربية بدخيل أجنبى فيها إذ كانت اللغة محفوظة لايحتاج الطفل إلى تمرينه عليها إلا لبعض المحفوظ من كلام العرب يقيم به لسانه فلما كثر الاختلاط وامتزجت ملة القوم بكثير من اللغات وبعض المصطلحات عز على الناس ان يأتوا بالخطابة ارتجالا واحتاجوا لاعداد بعض الخطب ليكون الخطيب مقيدا يلقيها على القوم كما يلقى الطفل درسه على معلمه بحيث لو وقف فى كلمة ضاع منه مابعدها لكونها ليست من ملكته ولا انشائه ثم زاد الأمر بتولى بعض القراء أمر الخطابة فتراه يصحح الخطبة على نحوى ليتلوها معربة على الناس من باب جكاية الأصوات. وبعض خطباء الأرياف يحفظ الخطبة فى الديوان بحسب ما يتصور فلاتفقه لخطبته معنى لما تراه من خطبه فى الألفاظ وهذره بما يظنه صحيحا ولقد سمعت الكثير من هذا القبيل وعجبت من الجهالة العمياء..

ومن نظر لهذا الموضوع الجليل بعين الاعتبار علم أن هيئتنا الحديثة وسير

مليكنا التقى القائم بأمر الدين المحافظ على راحة الأمة يقضيان علينا بتغيير كثير من الأمور المهمة العامة فى الأمة ومن أهمها الآن الخطابة فإن الأمية كثيرة فى بلادنا متغلبة على السواد الأعظم منا ولو كانت الأمة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجرائد ولكن مطالعو الجرائد عدد قليل محصور فى دفاتر المحررين والأميون فى ظلمات الجهالة قد ضرب بينهم وبين ما يقدمهم بسور لاباب له فترى الرجل يجهل حالة المديرية المجاورة لبلاده ولايعرف بعض بلاد قطره إلا سماعا من الناس وهذا لايناسب أخلاق أمة انتشرت فيها العلوم وتعددت فيها المدارس فإن فساد اخلاق الآباء يضر بالأبناء وربما غلبت أخلاق أبويه على معارفه وآدابه فلو كان الولد فى المدرسة وأبوه متنورا بالخطابة سارت الأمة إلى التقدم على جناح السرعة وتأيدت سطوة الحاكم تأييداعظيما على أننا نرى الكثير من الناس ترك الصلاة أو تكاسل عنها وكثير من الحوادث والأخبار قاده حب تطلع الاخبار للزوم الجماعة وحب المساجد والطاعة وامتلأت المساجد بالمصلين.

وأود وجود نفر من أعيان بلادنا يتبرعون بمبلغ يقوم بنشر خطب أدبية سياسية وأنا أقوم بإنشاء خطبة فى كل اسبوع تناسب أحوال الزمان ثم تطبع هذه الخطبة وتنشر فى سائر أنحاء القطر لتتنبه الأفكار وتعرف الأمة قدرها وماتحفظ به نظامها بين الأمم ولا يتم هذا الأمر إلا اذا اجتمع هؤلاء الاعيان وعرضوا ذلك لديوان الأوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة وما أظن أن احدا يأبى هذا السعى الجليل مع تمتعنا برعاية مليك تقى يسره وقاية الدين من سقطات الجهلاء وحفظ المملكة بأفكار رجاله وأفراد رعيته .

وأرى أن بعض الخطباء اذا سمع ذلك قال خطأ مشهور خير من صواب

مهجور أو القديم على قدمه أو لانغير أمرا جرى عليه أسلافنا أو غير ذلك من كلمات العجز وألفاظ التمحل ، ولكنى لا اتركه يبيت الليل يسود ويبيض في اعتراض عليّ أو فى رد ينمقه ويزينه بأفاظ مجموعة من اوراق وانما اقول له طالع كتب الفقه واعرف منها شروط الخطبة وقابلها بما أنشره فإن رأيتها منطبقة عليها فقد كفيتك التعب والسهر فى كتابة الاعتراض وإن وجدتها خارجة عن حدود الخطبة وشروطها ففصل أوراق خطبى ثوبا والبسنى إياه ودر بى فى الأسواق مشنعا على بما تراه على أنى لا اتركه يتململ حتى يرى تلك الخطب فيطول عليه الزمن ويؤلمه الانتظار وإنما أقرب له الأمر انشاء خطبة فى هذا العدد تكون نموذجا لما سأعده من الخطب وإن كانت محررة بلسان الجريدة وقلم السرعة لا منمقة ولامحلاة بشيء من البديع وانى أعرضها على سادتى العلماء واخوانى النبهاء لأقف على أفكارهم فى هذا المشرب الذى لاتغيب عنهم ثمرته ولعلى أكون رأيت الصواب وسعيت فى الواجب فاعد من خدمة الدين والدنيا وقادة الأمة لليعا فاني حليف لغتهم وابن بلادهم واخوهم فى الدين الحنيفي والملة السمحاء خلد الله دعوتها .

(الخطبة)

رب البيت. العظيم له الحمد على نعمه. وميسر الخلق لما شاء له الشكر على كرمه، نحمده، حمد من تلى عليه الموحى به فسمعه، ورأى نور الهداية ساطعا فتبعه، ونصلى ونسلم على غارس شجر الاتحاد فى قلوب المؤمنين. سيدنا محمد الذى أرسله رحمة للعالمين. وعلى آله وأصحابه الذين جمع الله بهم الشتات. وأنزل فى صفاتهم الحميدة آيات. عباد الله. إن لكل أمة كلمة تجمعها وسيرة تسمعها. وكلمتنا الوحيدة حسن الاعتقاد. وسيرتنا حفظ الملة والبلاد

وقد تأسست كلمتنا بالاتحاد واللين. والقيام بما جاء به هذا الدين. من ترك العقوق: وحفظ الحقوق. والبعد عن الظلم والبغى. والتطهر من الرجس والغى . والحث على الائتلاف. والتحذير من الاختلاف. وقد دخل معنا من أهل الذمة من تعلمون وصاروا إخواننا فى الوطنية وهم مسالمون وأنتم تعلمون ما نزل به الوحى من السماء وما أهريق فى نشره من الدماء. حتى بلغنا السعود. وصرنا أمة عظيمة فى الوجود ولولا تفرق الكلمة ما انحل عقد اجتماعنا. ولاخرج علينا أحد من اتباعنا. ولاضعفت منا الهمم. حتى تلاعبت بنا الأمم. وأصبحنا ميدانا تجول فيه الأفكار. وناطقا اشتد عليه الانكار. كأننا لسنا أسود الشرق الضارية. ولا نجوم الهدى السارية.. صدق المرجفون فقد طال الزمن. وتغيرت الدمن. وأصبح العدو يطالبنا بثار أجداده. ويوغر علينا صدور أنداده. ويتحدث بنا فى كل ناد وينشر عيوبنا فى البلاد. ونحن لا نتأثر من التنديد . ولا نتحرك من التهديد . ولا نأخذ حذرنا من الأعداء. ولا نتأمل فى خطوب الاعتداء. تأتينا أخبار البرق باغتيال اخواننا ونحن عن أنفسنا لاهون وتقص علينا الجرائد أخبار مجاورينا ونحن عن العاقبة غافلون. ما لنا لانكون عضدا لمليكنا الأعظم وحصنا يحفظه اذا ليل الخطوب أظلم. أترون الدول ترحمكم اذا ملكتكم. أو تبكى عليكم اذا أهلكتكم. أو تعاملكم بالرفق واللين. أو تحفظ لكم نظام الدين. كلا والله ماهى إلا أسود إن دهمت احترست. وإن تمكنت افترست. وإن ملكت أساءت السيرة وإن جاورت لم تحفظ الجيرة. وإن تداخلت احتالت. وان رأت غرة اغتالت . لاترانا إلا بعين العدوان و لاتعدنا معها من الإنسان. يدلنا على هذا من فتح لهم من اخوانكم غار. فسقطوا فيه على أمة البلغار. فهى تكرههم على ترك الدين. وتقتل المؤذنين أمام المصلين. ولقد أقاموا قرونا فى ذمتنا. وعصورا وهم تحت سطوتنا، ولم يروا منا إلا الاحسان، وعدم التعرض للأديان،

وهؤلاء اخوانكم فى الغرب. يصطلون بنيران الحرب. على غير ذنب ولاجناية. وإنما هى النهاية ترد إلى البداية. فمن يرى هذا التعصب فى مدته، ويرضى بالخروج عن أهل ملته أو يميل بجانبه للحماية، ويتخذ مليكا غير مليكه وقايه. فاستميتوا رحمكم الله فى حفظ البلاد ودعوا التنافر والزموا الاتحاد واجعلوا خديو يكم علما يهتدى بنوره. وقطركم حصنا يحتمى بسوره، ولا تغمضوا عن كيد الأعادى عينا. ولا تهابوا فى حفظ الأوطان حينا، وألزموا السكينة فى حركاتكم ولاتسعوا فى تنغيص حياتكم، ولاتجلبوا على الأمة بالتهور شرا. ولاتحدثوا فى البلاد كرا ولا فرا. واحفظوا للنزلاء حقوق تجارتهم. واسمعوا فى المجالس حسن عبارتهم. ولاتاكلوا لتاجر مالا. ولاتسيئوا لاجنبى حالا، وعاملوا جميع السكان بالاحسان والرفق والحلم. ،. ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا كما قال (منثورات من شعره)

فنقل النفس من معنى لمعنى * كنقل الورد من غصن لجانى

نثبت هنا ما بقى فى الذاكرة من قوله فى تخميس قصيدة للعلامة المرحوم الشيخ الشبراوى شقوتى فى الحب عنوان الرشاد * والجوى حظى ولذاتى السهاد * لاتلم صبا يغالى الدمع جاد

إن وجدى كل يوم فى ازدياد * والهوى يأتى على غير المراد.

نزهة الولهان فى حال النوى * سقمه والنوح مادام الجوى * قد سبانى تيهه ظبى اللوى .

يا عذولي لا تلني في الهوى • ليس لي مما قضاه الله راد

ليس لي في الحب يوماً منصف • أعيني كاسي ودمعي قرقف • مغرم بالغيد قلبي مدنف

منتهى الآمال عندي أهيف • وجفون زانها ذاك السواد

وقدود قاتلات جهرة • وجبين قد ارانا طرة • وشفاه قد سقتنا خمرة

وخدود تلظى حمرة • ودلال قد نفى عني الرقاد

انني المضنى فمن يعذلني • والهوى فني فمن يفضلني • لم أجيء فيه بما يخجلني

ان ذنبي عند من يعذلني • ان قلبي في الهوى لو ردّ عاد

ضاع قلبي هل له من منشد • ضل عقلي هل له من مرشد • كم انادي في صباحي وغد

يا أهيل الود هل من منجد • هل سلا الاحباب ذو وجد وساد

سادتي ان لم يمنوا باللقا • مت وجداً ولهم طول البقا • لا تقولوا وجده عين الشقا

انا ان لم أهو غزلان النقا • أي فرق بين قلبي والجماد

قصيدة من رواية الوطن التي مثلها بحضور المغفور له افندينا توفيق باشا بالاسكندرية

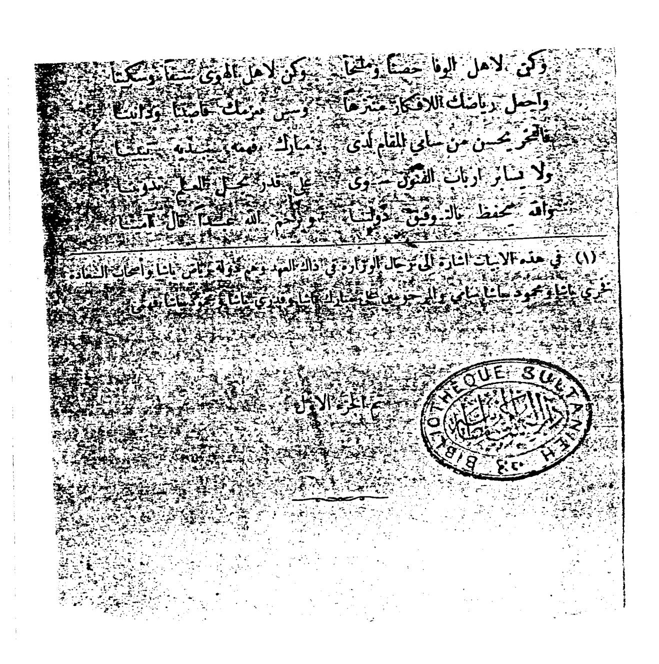
أنوار عدلك تهدي حي نادينا ... وحسن سيرك للعليا ينادينا

لكننا في طريق ضل سالكه ... فمن يدل الى الحسنى ويهدينا

افتية سامهم انصاف سيدنا ... فاستقبحوا العدل والاحسان والدينا

كنا نناجي بالفاظ تقربنا ... صرنا ننادى بدينار يفادينا

وكان يمشي على الديباج سافلنا   فصار يمشي على النيران عالينا
هل في القصور رجال غير من عظموا   بما لدينا وكانوا من موالينا
او في الديار اناس غير من وفدوا   من القفار فصاروا في مبانينا
هذي معالمنا تبكي وتنشدنا   قول ابن زيدون اذ قامت تعزينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
لواننا مثل أهل الأرض في هم   ما قام ينـدبنا أحيا مغنينا
قل للنفوس التي ماتت بلا اجل   أين القلوب التي كانت تجارينا
أين الشيوخ الألى ساروا وسيرتهم   مسك ذكي يباهي مسك دارينا
أين العلوم التي كانت توصلنا   باب السعود فصارت من أعادينا
أين الصنائع أين العارفون بها   أين الديار التي كانت لاهلينا
كانت وكانوا وصار الكل في عدم   واستعبدتنا بما نهوي أمانينا
نمشي حفاة على شوك القتاد فلا   يؤذي النفوس وكان الخز يؤذينا
استودع الله قوماً كان طبعهم   يبدي لك الحالتين البأس واللينا
شدّوا الجياد وجابوا كل بادية   كي يعمروها فعموا الارض تمدينا
وسيروا الحق في الآفاق اجمعها   فاستحسنته ونادتهم سلاطينا
واستخلفونا فكنا شر من ورثوا   اذ لم نحافظ على ملك بأيدينا
اذا سمعنا خطيباً ذاكرًا حكماً   قلنا له عزة الآباء تكفينا
لا نشتري المدح لو جاءت به فئة   من السماء فان الذم يرضينا
وليتنا اذ رضينا هجو أنفسنا   نستحسن البعد عما يوهن الدينا
ماذا ترى في أناس لو تقربهم   الى العلا بعدوا مما يرقينا
ما خالفوك ولكن خالفوا شرفاً   لم يعرفوا قدره ممن يولينا
فاجمع من القوم من ترضي خلائقه   واجعل لكل من الاعضا قوانينا
وشدد الامر حتى لا يضيع سدى   واجعل زمامك فيه العدل واللينا
وطهر القطر ممن طبعه شره   وخائن يحرق المأوى ويشوينا



وكن لاهل الوفا حصناً وملتجأ ... وكن لاهل الهوى سيفاً وسكينا

واجل رياضك للافكار منتزهاً ... وسن بعزمك قاصينا ودانينا

فالفخر يحسن من سامي المقام لدى ... مبارك فهمه يسديه تبيينا

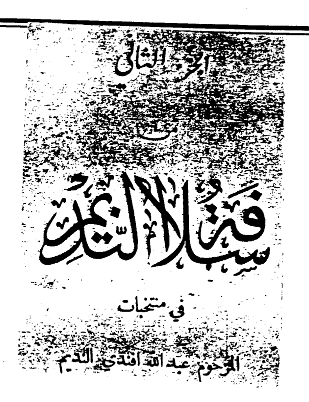
ولا يبار ارباب الفنون سوى ... على قدر بحل بالعلم تدوينا

والله يحفظ بالتوفيق دولتنا ... ويرحم الله عبداً قال آمينا

---

(١) في هذه الابيات اشارة الى رجال الوزارة في ذلك العهد وهم دولة رياض باشا واصحاب السعادة فخري باشا ومحمود باشا سامي والمرحومين علي مبارك باشا وفدري باشا ومحمود باشا فهمي

تم الجزء الاول



بسم الله الرحمن الرحيم

حسن ابتداء البديع * حمداً لله البديع* فإنه مطلع الجلال * وبراعة الاستهلال * فله الحمد على نعمة الابداع * وتجنيس الانواع * اخترع الكون بلا توليد * ونسقه بلا مراجعة ولا ترديد * ووزعه بالاحتباك والترتيب * ورشحه للتهذيب والتأديب * ووشحه بالتفصيل ليندفع عنه الابهام * ورصعه بالتناسب للمشاكلة والاستخدام * وجزاءه بالازدواج فلا توهيم * ووازن بين افراده فى الرفو والتسهيم * وطرزه بالمماثلة فى الجمع والتفريق * وشمله باتساع رحمته فلا حصر ولا تضييق * استطرد الانشاء عن حكمة لا بالاتفاق * ودلى الأرض ورقى السبع الطباق * تنزه عن الاعتراض والتعليل وتقدس عن التشبيه والتمثيل

* اذ لا نظير يراعى استتباعه * ولا مَقابل له تتغاير اوضاعه ولا سابق يستعان على الايداع * ولا لاحق يستعير حسن الاتباع * ولا شئ يعاكسه فى جمعه * ويتوارد معه فى مثيل صنعه * خلق كل شئ زوجين * واشتق فرائده من أصلين * وانفرد بالجمع والتقسيم بلا معارضة * وأسبغ نعمه اقتداراً بلا استثناء ولا مناقضه * واستلفت الخلق الى نعيمه الجزيل * وحذرهم من عذابه بالانذار والتهويل * وأكد الامر بالتوبيخ والتقريع بلا اضُمار * وخصص دار كرامته لاهل الاعتراف واضرب عن اهل الانكار * ففضله علينا مطلق تام * مركب من احسان وانعام * علمنا اختصار الكلام بمحكم كتابه المنزه عن الاشباه * فاقتبسنا من فاتحته البسملة والحمد لله * وعطفنا على من فرق بين الطاعة والعصيان * وحسن فى مدحه الاطناب والافتنان * وحصر فى جزءى نوره كلى الوجود * واطرد بإيضاح تصدير السعود * سيدنا ومولانا محمد من حسن به التخلق من ذاك المجاز * المنزهة بعثته عن الارداف وشريعته عن التعمية والالغاز * فالتزمنا الصلاة عليه والتسليم * وكررناهما بالكلام الجامع مع التعظيم * ساجعين بجمع المؤتلف من الآل والاصحاب * ناشرين ما انطوى فى بديع هذا الرحاب * فانه عنوان التتميم والتكميل * ونادرة الكون بلا تذييل * لا يتجاهل عارف بتشريعه * ولا يساوى باب مجده شئ فى تصريعه * سلب بدينه الحق ما اوجبه السابقون * فلم يواربه معاصر ولا استدرك عليه اللاحقون * ائتلفت فى كلامه المعانى والالفاظ * فاوغلت فى جمع ما تفرق منه الحفاظ * بتمكين هداه فينا تشابهت الاطراف * فتجرد الشطر المقابل من التفويف والتنويف وتنسيق الاوصاف * لا يمدحنا فى معرض الذم متهكم * ولا يفرع على تسميطنا متحكم * ولا يفوتنا فى التعريض والتلميح الاحتراس * ولا يستحيل توسيع مجدنا بالانعكاس * فسر لنا ما اندمج من كل حد * فائتلفنا

وتركنا الهزل بالجد * وعقدنا على سنته الخناصر فى كل حال * وتوجهنا اليها بلا انتحال * واخذنا بقوله وموجبه * وتنورنا بكلامه ومذهبه * فمقطوعنا به موصول* ومهملنا على كرمه محمول * وبراعة مطلبنا منه مأمولة * وإشارتنا اليه كناية عن السهولة * تخيرنا دينه بنكتة التعطف بلاتورية * ولا نشبه شيئين بل ولا شيئا بسنته الزاهية * فلم يبق لزوم لما يلزم * ولا لتاكيد المدح بما يشبه الذم* ولسنا ممن يهجون فى معرض المدح * ولا ممن يرجعون بعد الاختصاص والمنح * مبالغتنا فى مدحه إيناس* وغلونا فيه لدفع الالتباس * والتفاتنا الى غيره اغراق * وحكمنا بالتمنن والمت اشفاق* وتلطفنا فى حذف الغير ونفيه بايجابه * اكتفاء بالاقتصاص عن عتابه * تعديد محاسنه اعجز القوافى بل اللغات * وكيف لا وهو الممدوح بمحكم الايات * المنزل عليه القرآن * بالايجاز وحسن البيان * اقسم الله تعالى به فى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون * فانقطع عن المحجة المشبهون * واعترف الكل بنزولهم عن تتبته * وافتخروا بنسبة من يؤرخون بهجرته * فانتظموا فى اتباعه بعد الطرد والعكس * وآمنوا انقلاب الحال فطابت النفس وصلى عليه الانام بالانسجام * فتمحض لنا ولهم الخير فى حسن الختام * فعليه الصلاة والسلام* وعلى آله وأصحابه الاعلام * ما دام فى الكون نسيم * وأنشد الناس قول النديم :

محمد سيد الدنيا وضرتها * به يفاخر من يعزى له ملأه (قومه)

نور ترفع فى الاكوان مرتقيا * فجاوز العرش لما بالصفا ملأه

لا باب يدخل منه للحبيب سوى * أهل الصفا الآل فاخصص بالولا ملأه (اشرافه)

واطمع به فى رضا الرحمن متبعاً * آثار من يعظم اللاجى به ملأه (طمعه)

وظن بالله خيراً كله ثقة * فالله للمرء دوماً عند ما ملأه(ظنه).

(ومن بديعيته)

فى حسن الابتداء

هذه تسمية واضع الفن ابو العباس عبد الله بن المعتز والمخاخرون قالوا ان كان البيت او السجع سهل المأخذ مركباً من كلمات مألوفة مؤتلفة غير متنافرة بلا حشو مجعولة قوالب لمعنى دقيق مقبول فى الانواق السليمة فهو براعة المطل] وإن دخل فيه ما يدل على قصد الشاعر او ا إناثر الذى لا يعلم الا بالتخلص فهو براعة٣الاستهلال وقد اخترت تسمية الواضع فعنونثاالنوع بها وجمعت بينها وبين تسمية المتأخرين فى مطلع بديعيتى.

وقد مرت العصور على البديعيين والشراح * وهم يشطحون فى الكلام على براعة الافتتاح * ولم يتكلم واحد منهم على فاتحة الكلام القديم * ولا استشهد بها على حسن الابتداء العظيم * مع انها فاتحة العلوم * والرسوم * وبراعة الفنون * والشئون * ومبدا ما حوته النقول * ومطلع بدور العقول * جمعت ما تفرق فى القرآن* بالتفصيل وحسن البيان * واشتملت على معظم الانواع البديعية* والاجناس الكونية * فهى أحسن ما جاء فى حسن الابتداء * واولى ما يستشهد به للاقتداء * وساقدم الكلام عليها على كلام اهل البديعيات * والتزم ذلك فى كل نوع له شاهد من الآيات * فاقول ابتداء الله تعالى كلامه بقوله بسم الله فقدم الاسم العلم غير المشتق مع ان له اسماء كثيرة غيره تناسب الابتداء كاسمه المبدى والاول والفتاح والبديع ليكون ادل فى البراعة على أنه تعالى مغاير لخلقه كما انه اسمه مغاير لاسمائهم ووصف نفسه بوصفى الرحمة ليدل السامع بادئ بدء على لطفه وكرمه وعفوه وغفرانه وحصر جميع الكائنات فى الصفتين فان الرحمن المنعم بعظيم النعم كالإيمان والهداية

والتبصر فى التوحيد والتوفيق للطاعة ومكارم الاخلاق والاكل والشرب والحركة والسكون والنوم واليقظة والصحة والمرض وغيرها مما هو من لوازم الاشباح والارواح والرحيم المنعم بدقيق النعم كالنجاة والمغفرة والرضوان وغيرها مما هو من لوازم الارواح ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فانطوى فيهما كل موجود ملكا وفلكا وكوكبا وانسا وجنا ونورا ونارا وروحا وجسما مجردا كان او بسيطا او مركبا او حيوانا او نباتا او معدنا عرضا كان او جوهراً فكلها مجللة بنعمة الايجاد وتقدير الكم والكيف وتمييز الصورة فاذا انتهى السامع من البسملة وتمعن فيما اشتملت عليه علم أنه تعالى يستحق الحمد لذاته فلذا قال بعدها الحمد لله واختار الحمد على المدح لأن المدح لا يكون غالبا الا قبل الانعام والحمد لا يكون الا بعده فاشعر بذلك انه قضا وقدر وانشاء واحكم وفطر وابدع وحفظ وتكفل وتفضل وتكرم وشمل كل موجود بنعمه الظاهرة والباطنة وقدر امره فى النشئتين وفرغ من ذلك قبل خلق الخلق فلم يبق الا ان يحمد على تفضله واحسانه واعاد اسم الذات ظاهراً بعد ذكره فى البسملة اشارة إلى انه تعالى ظاهر لا يخفى على مخلوق وانما يحجب من اضله واراده وابعده عن ابواب رحمته فاعمى بصيرته ورتق فهمه وختم على قلبه وليكون الاسم مبدؤا به عند من يرى ان البسملة ليست آية من الفاتحة وحجتنا معاشر الشافعية على انها آية من كل سورة بعد الاحاديث الواردة فى الفاتحة ثبوتها فى المصاحف العثمانية فى اول كل سورة غير براءة ولم ينكر احد من الصحابة على كتاب المصاحف فلو كانت ليست آية من [illegible] صدق على كتبة المصاحف انهم زادوا فى القرآن مائة وثلا[illegible] قائل بهذا وقد انقضى عهد [illegible]صحابة وجاء التابعون على أثرهم ولم يغير احد منهم فى [illegible]مصاحف شيئا ولا أنكر على كتبتها اثبات البسملة فى أوائل السور ولما

خصص ذاته العلية بالحمد اشتاقت النفس لمعرفته بصفاته وآثاره او أراد أن يظهر عظمته وجلاله ومجده وانفراده بتربية العوالم وخلقتها فقال رب أى مالك ومربى العالمين أى كل من سواه من الثقلين وما فى الكونين والنشئتين فانطوى فى هذه الفاصلة خبر كل موجود وقصته وتاريخ حياته ووجوده بمقتضياته وما ينتابه ويطرء عليه من وجود وعدم وجوع وشبع وظماء ورى ومرض وصحة ونوم ويقظة وحركة وسكون وجهل وعلم وكفر وايمان وفقر وغنى وعز وذل ونصر وخذلان وسير وحط وربح وخسارة ورفعة وضعة وضيق وسعة وذكاء وغباوة وفصاحة وعى وجمال وقبح وظهور وخفاء وضعف وقوة وخوف وثبات ونور وظلمة واستقامة واعوجاج وجريان ووقوف وتقابل وتنافر وتناسب وتضاد وتوسط وانحراف وغير ذلك مما هو من شئون الحوادث فانطوى فى لفظ العالمين ما لا تسعه كتب ولا تحصيه كتاب ولا يقدره فكر ولا تحيط به العقول ثم اعاد الوصفين الجليلين الرحمن الرحيم اشارة لاتساع رحمته وعظمها الى حد ان يمحو كفر الكافر وذنب المجرم وان حارباه بالكفر والمعاصى دهوراً واستدل القائلون بان البسملة ليست من الفاتحة بهذين الاسمين وقالوا لو كانت من الفاتحة لكان إعادتها بعد ذكرها فى البسملة تكراراً وليس كذلك فإنه لما ذكر ان البدء لا يكون الا باسم الله تعالى ذكرهما هناك دليلا على وجوب الابتداء باسمه لكونه المنعم بالنعم ولما ذكر الحمد وخصصه بذاته تعالى ذكرهما دليلاً على تفضله لكونه مربى العالمين فجئيهما فى الفاتحة لغير ما جاء آله فى البسملة فهما من نوع الترديد لا من نوع التكرار الخالى عن المعنى . وإلى هنا يقف العقل ولا يرى من العوالم غير ما اخبر الله تعالى عنه من العالمين العلوى والسفلى فنبهنا على أن هناك نشأة أخرى هى نشأة الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر وانه هو الذى يملك هذا اليوم بما فيه ملك انشاء وتصرف كما ملك

العالمين ورباهم فى دار العمل فقال مالك يوم الدين فانطوى فيه كل ما كان متعلقا بالآخرة من حساب وخطاب ونعيم وعذاب ورضى وغضب ووزن وعرض وشفاعة فيعلم كل فرد من افراد العوالم وما عمله وما قاله وما ينتهى اليه امره من الكليات والجزئيات والى هنا انتهى الله تعالى من الإخبار عن الكائنات وطوارائها وما قدره فى العالمين والنشأتين مما لو كان البحر مداداً لحصر كلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وكل ذلك تم فى ثلاث فواصل تشتمل على ثمان كلمات كل القرآن الكريم تفسير لها وتفصيل وتتميم وتكميل وايضاح وبسط وتذييل ولما كان المقام مقام مدح التزم فيه الاخبار بالجملة الخبرية·لأن المدح فى الغيبة احلى واكمل واوقع فى النفس واقرب للقبول ولما انتقل الى مقام الدعاء وتعليمه التفت من الغيبة الى الخطاب لانه مقام رجاء والتماس فقال اياك نعبد أى نخصك بالعبادة دون غيرك والعبادة تستدعى بيان اجناسها وانواعها واصولها وفروعها والصحيح منها والفاسد والحق والباطل والمقبول والمردود وما كان من شئون الانسان وما كان من شئون الحيوان وما كان من شئون الملك وما كان من شئون الجن وما كان من شئون الجماد والنبات فانطوى تحت هذه الجملة جميع علوم الاصول والفقه والتفسير والحديث والتصوف والآلاءات الموصلة اليها كما انطوى فيها بيان الاديان وتمييز الحق من الباطل منها وتعريف فرق العالم ومذاهبهم وإلى هنا يظن العبد ان الذى يلزمه معرفته والايمان به هو ما اخبر الله تعالى عنه من اول الفاتحة الى هنا وأن ما عدا ذلك من الاقوال والافعال يأتى بها العبد من نفسه فلدفع هذا الظن الفاسد قال واياك نستعين أى نخصك بطلب المعونة على كل شئ قوليا او فعليا فانتفى عن ذهن العبد ظنه القدرة على خلق افعال نفسه وثبت لديه انها لا تحصل ولا يتمكن من الاتيان بها الا باستعانتة بخالقه ومربيه

المالك فى الدنيا والآخرة المتفضل بالخلق والرزق والنطق والعقل قبل ان يكون له اختيار يبعثه على الأقوال والافعال فكما لا يعبد الا هو لا يستعان الا به ولما كانت العبادة شاملة لكل ما يسميه الانسان عبادة حقا كان او باطلا كما قدمنا وكانت العبادة لا يخص بها الا الله تعالى والاستعانه لا تطلب الا منه وجب على الانسان ان يطلب الهداية الى الدين الحق منه كما استعان به فى جميع شئونه فعلمنا كيفية الدعاء وطلب الهداية بقوله تعالى اهدنا أى ارزقنا الدلالة الموصلة للمعرفة حتى نسلك الصراط المستقيم المنهاج الواضح الذى لا اعوجاج فيه وهذا يقضى ببيان جميع طرق الهداية لتسلك وطرق الغواية لتجتنب وتترك ولا يكون ذلك الا ببيان الاوامر والنواهى والرغائب والزواجر ولما كان كل متمسك بدين يدعى انه على الصراط المستقيم وكان لابد لنا من معرفة الصراط الموصل إلى الحق سبحانه وتعالى قال مبيناً له صراط الذين انعمت عليهم وانواع الإنعام كثيرة فان منها نعمة الخلق ونعمة الرزق ونعمة فتق الحواس ونعمة الحفظ من الطوارق ونعمة الحركة والسكون ونعمة الادراك والتمييز وهذه مشتركة بين المؤمن والكافر والصالح والطالح فبين لنا ان المراد بنعمة اهل الصراط المستقيم نعمة الايمان والتوفيق للعمل الصالح وارشدنا الى ذلك بالاستثناء حيث قال غير المغضوب عليهم بسبب معصية أو كفر مع علمهم بالكتب ومهابطها وبلوغهم دعوتهم ثم زاد المستثنى ايضاحا وذيله بقوله تعالى ولا الضالين الذين فسقوا بعد علم او كفر بعد ايمان بشبهة عقلية او نزعة شيطانية فما قدمته لك تعلم ان علوم القرآن كلها جمعت فى الفاتحة بالبيان والتفصيل فانك اذا قرأت سور القرآن سورة سورة وطالعت كتب التفسير وطبقت ما فيها على ما قدمته من التفسير رأيت تلك العلوم فى الفاتحة وليس فى طوق البشر ان يأتوا بفاتحة كلماتها خمس وعشرون كلمة يقصون فيها

اخبار السابقين واحوال اللاحقين وشئون العالمين واحوال النشأتين ويسردون فيها جميع العلوم والمذاهب كهذه الفاتحة الشريفة فانها تنزيل من حكيم حميد ولنأت على بعض ما فيها من الانواع البديعية فنقول: فيها حسن الابتداء وتقدم بيانه وبذكر اسم الذات واتباعه بصفتى الرحمن الرحيم اشتمل على براعة المطلع فان هذه الاسماء سهلة متناسبة مؤتلفة واشتمل كذلك على براعة الاستهلال فان ابتداءه باسم الذات يشير إلى أنه آله حق خارج عن سلسلة الكائنات موجد لغيره متصف بصفة الوجود والقدم والبقاء إلى آخر صفاته الجميلة واتباعه بالرحمن الرحيم إشارة إلى أنه قابل التوب كثير الاحسان واهب للغفران متفضل بالرحمة كما انه متصف بضدهما وهو الغضب والقدرة على التعذيب والبطش والانتقام فاشتملت البسملة أوالحمدلة على حسن الابتداء بقسميه وتنسيق الصفات فى رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والفرائد فى رب العالمين فانه لا يقوم مقامها غيرها والنوادر فى نعبد ونستعين فإن العبادة والاستعانة مشتهرتان ولكن لما قرنتا بإياك التخصيصية انتقلتا من الاطلاق إلى التقييد والإلتفات فى الانتقال من الغيبة إلى الخطاب والاختصاص فى رب العالمين اذ لا يشاركه غيره فى هذه الصفة والفخر فى البدء بحمده وبكونه رب العالمين ومالك يوم الدين والافتتان فانه امتن على العباد بانه الرحمن الرحيم ثم حذرهم من غضبه وانتقامه بمالك يوم الدين والسجع فى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين والايجاز فى جميع فواصلها فان كل فاصلة تحتها معان شتى كما قدمنا والسهولة فان كل الفاظها خالية من الحشو والتعقيد والانسجام فان تركيبها يكاد يسيل رقة والتعريض فى غير المغضوب عليهم فانه تعريض بالمصرح بالغضب عليهم فى قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى والكناية فى ولا الضالين فإنه كناية عن فرق المغايرين للدين

والذين اشركوا والزائفين بالشبه العقلية والاشتقاق فى الرحمن الرحيم فانهما مشتقان من الرحمة والاستثناء فى غير المغضوب عليهم والجناس التام فى عليهم وعليهم فان الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية والبسط فى اهدنا الصراط المستقيم فقد بسطه بقوله صراط الذين إلى آخرها والترتيب فى أول السورة إلى الدين فانه اخبر عن وجوده الذاتى أولاً وثنى بالعوالم وتربيته لها فى النشئة الاولى وثلث بانه منعم بالنعم العظيمة والدقيقة وبالنشأة الآخرة وتوليه أمر الجزاء كما تولى امر العمل فى الدنيا وهو ترتيب بديع فقد اشتملت الفاتحة على خمسة وسبعين نوعاً من البديع والمناسبة فى رب ومالك والطباق فى الذين أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والاشارة فى رب العالمين ومالك يوم الدين فإنه عبر عن أمور كثيرة وشئون شتى والتمثيل فى انعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والضالين فانه عبر عن فريق المؤمنين بالنعم عليهم وعن فريقى الكافرين والمنافقين بالمغضوب عليهم والضالين بغير الألفاظ الموضوعة لهذه المعانى والارداف فى واياك نستعين فإنه عبر عن نسبة خلق الافعال اليه بما يرادفه وهو الاستعانة به والمجاز فى الصراط وصراط فإن المقصود بهما الدين الحق وعدل عنه إلى الطريق المستقيم والاحتراس فى ولا الضالين بعد المغضوب عليهم وأئتلاف المعنى بالمعنى فان جميع معانيها متلاصقة ببعضها بلا تنافر بينها وائتلاف اللفظ والمعنى وهذا امر ظاهر لا يحتاج إلى بيان وائتلاف اللفظ واللفظ فان كل كلمة من كلماتها لا يقوم غيرها مقامها وحسن البيان فان السامع لا يتوقف فى معرفة المعنى ولا يشكل عليه شئ وبراعة المطلب فى اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ان تعرف لخلقه بصفاته طلب منهم ان يعبدوه ويستعينوا به ويطلبوا الهداية منه والترديد فى اياك نعبد واياك نستعين والصراط وصراط والتفسير

فى صراط الذين الى آخرها فانه تفسير للصراط المستقيم والاطناب فى رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والتنكيت فى المغضوب عليهم والضالين فان كثيرا من الالفاظ يقوم مقامها ولكن لا يؤدى المعنى المقصود منهما والاتساع فى المغضوب عليهم والضالين فان علماء التفسير توسعوا فى تفسيرهما على اقوال ومعان شتى والتهذيب والتأنيب فان جميع آيات السورة مهذبة منقحة خالية من الحشو والتقديم والتأخير والاستتباع فى الذين انعمت عليهم المستتبع بغير المغضوب عليهم ولا الضالين والمماثلة فى العالمين ونستعين والمستقيم ومراعاة النظير فى اهدنا الصراط المستقيم فإن الصراط و الاستقامة يناسبان الهداية والتدلى فى الرحمن الرحيم فان الرحمن المنعم بالنعم العظيمة والرحيم المنعم بالنعم الصغيرة فتدلى من الاكبر الى الاصغر والترقى فى غير المغضوب عليهم والضالين فانه ترقى من الشديد فى الغواية الى الاشد وحصر الجزئى والحاقه بالكلى فى رب العالمين ومالك يوم الدين فانه حصر الانواع والاجناس فى كل منهما وجعله جنسا عالياً تحته انواع واصناف فان السامع اذا سمع رب العالمين ومالك يوم الدين ظن انه ربما عبد غيره او استُعين به او طلبت منه الهداية فقال اياك نعبد الى آخرها فانحصرت الجزئيات والتحقت بالكليات والعنوان فى الذين انعمت عليهم فانه يشير إلى الانبياء واتباعهم من بين الخلق والايضاح فى بقية السورة بعد رب العالمين والحذف فانه اثبت فى السورة حروف المعجم وحذف منها ف ج ش ث ظ خ ز من بين الحروف والتوليد فان الذين انعمت عليهم كالمولد من قوله تعالى فئولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا انما قلنا كالتوليد لأن حقيقة التوليد ان يولد الانسان معنى من كلام الغير وليس قبل القديم شئ ولا هناك من يماثله حتى يولد من كلامه فكلامه

تعالى يتولد بعضه من بعض والمساواة فان كل الفاظها مساوية لمعانيهالا تزيد ولا تنقص والتسهيم فى ولا الضالين بعد المغضوب عليهم فان من قراء غير المغضوب عليهم واراد عطف غيرهم عليهم لا يجد غير الضالين وحسن التخلص فى اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ما نكر اختصاصه بالحمد ووصف نفسه بانه رب العالمين وانه الرحمن الرحيم وانه مالك يوم الدين صار فى هذا الكلام دخولا على المقصود من خلق العوالم التى تعرف اليها وهو عبادتهم له واستعانتهم به والتعديد فى رب و الرحمن والرحيم ومالك والتعرف فانه تعرف لخلقه بانه الاله رب العالمين الى الدين والادماج فانه فى اياك نعبد واياك نستعين ادمج طلبهم الثبات على العقائد وقوتهم على الطاعة وحفظهم من نزعات الشياطين وفى اهدنا الصراط أدمج طلبه النخاة من عذاب الآخرة وشمولهم بالرحمة والرضوان والاستعارةً فى الصراط فانه حقيقة فى الطريق الموصل إلى المقصود وعلاقته هنا المشابهة فان الصراط كما يوصل إلى المكان المقصود كذلك الدين يوصل إلى النجاة ورضا الرحمن والنزاهة فان غير المغضوب عليهم ولا الضالين هجو عظيم خال من الفاظ الفحش والوقاحة والاستطراد فى واياك نستعين واهدنا الصراط فانه انتقل من طلب الاستعانة به إلى ما يشاكله وهو طلب الهداية ثم رجع إلى الأول بقوله أنعمت عليهم فان المنعم عليهم هم الذين استعانوا به والاحتباك فى أنعمت عليهم والمغضوب عليهم فانه لما أثبت الانعام فى جانب الاتقياء حذف الرضوان لدلالة الإنعام عليه ولما اثبت الغضب فى جانب الفساق والكفار حذف الحرمان لدلالة الغضب عليه فكان النظم هكذا انعمت عليهم فرضيت عنهم غير من غضبت عليهم فحرمتهم فحذف من كل ما اثبته فى الآخر وحسن النسق فى اياك نعبد واياك نستعين فإن الجملتين معطوفتان عطفا متلاحماً مستحسناً والتمكين فى

التسجيع بتستعين فى مقابلة الدين فان قوله اياك نعبد تمهيد لنستعين فجاءت بعده فاصلة مستقرة فى محلها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بالسجعة قبلها والايغال فى الضالين فانه لو ختم السورة بقوله غير المغضوب عليهم لكان كلاماً تاماً فأتى بالضالين ليعمم الاستثناء فى الكافر والفاسق والتقسيم فى صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها فإن الانسان اما مؤمن أو مؤمن عاص أو كافر وقد استوفت الآية الاقسام الثلاثة فالطائع فى أنعمت عليهم والعاصى فى الضالين والكافر فى المغضوب عليهم والتكميل فى صراط الذين بعد الصراط المستقيم فانه لم يتميز من طريق المغضوب عليهم والضالين الا بهذه الزيادة والتتميم فى الرحمن الرحيم بعد رب العالمين فإن جملة رب العالمين لا توهم غير المراد فجئ بالرحمن الرحيم لنكتة المبالغة فى رحمته من عصاه إذا تاب بالمغفرة ورحمته من كفر به برزقه واحيائه وحفظه إلى أجله المعلوم والتغليب فى الذين أنعمت عليهم فإنه تلميح لفريق الانبياء وغلب على كل مؤمن تشريعا له بمن تبعه والتأكيد فى وإياك بعد إياك الاولى ولزوم ما لا يلزم فى الدين ونستعين فانه بنى الفاصلة الثانية على الياء والنون كالاولى ولم يبنها على الواو والنون او الالف والنون وتأكيد الذم بالذم فى ولا الضالين بعد المغضوب عليهم والاستخدام فى الدين فان لفظ الدين يطلق على القضاء والحساب والحكم والقهر والعبادة والتوحيد والاسلام والاستعلاء والذل والمعصية فقال مالك يوم الدين أى القضاء والحكم والحساب ثم استخدمه فى التوحيد فى قوله اياك نعبد وفى العبادة فى قوله واياك نستعين وفى الاسلام فى قوله اهدنا الصراط المستقيم وفى الاستعلاء فى قوله [illegible] عيهم وفى الذل فى قوله المغضوب عليهم وفى المعصـ[illegible]ـهر فى قوله الضالين ففى كل جملة ضمير يرجع إلى الدي[illegible]ـوك له بمعنى غير الآخر فاستخدم اللفظ

الواحد فى مبعة معان وليس ذلك فى طوق البشر(واللف والنشر المرتب) فان اياك نعبد راجع لرب العالمين اذ لا يعبد الا الرب واياك نستعين راجع للرحمن الرحيم اذ لا يستعان الا بمن اتصف بالرحمة والاحسان واهدنا الصراط الى آخرها راجع لمالك يوم الدين اذ لا تطلب الهداية الا ممن ملك أمر المنعم والمعذب . (وسلامة الاختراع) فان معانى السورة وكلماتها قديمة لم يسبق الله تعالى سابق بمثلها اذ ليس قبله شئ وليس كمثله شئ (والابهام) فى الدين فانه يطلق على الطاعة والمعصية وهو اشارة إلى أنه تعالى خالق للخير والشر (والاشتراك) فى الدين أيضا فانه مشترك فى المعانى المتقدمة وقد ميز كل معنى بفاصلة كما قدمنا فى الاستخدام والاضطراد فى لله رب العالمين إلى الدين فإنه ذكر الاسم الخاص به والصفات المميزة له وليس لله تعالى والد فيذكر بجانب اسمه تنزهت ذاته العلية عن ذلك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (وتشابه الاطراف) فان افتتاح السورة بانه رب العالمين يناسبه أن يكون آخرها تقسيم الخلق إلى طائع وعاص وكافر وان صح ان آمين من الفاتحة كانت حسن ختام والصحيح انها ليست قرآنا فانها لم تثبت فى المصاحف العثمانية فقد اشتملت هذه الفاتحة المباركة على خمسة وسبعين نوعاً من أعلى أنواع البديع وأغلاها وهذا القدر استخرجته بفكرى القاصر وذهنى الفاتر وقت الكتابة فلو تأملها خبير خال من الشواغل والمكدرات واعطاها فكره وعقله لرأى بقية الأنواع فيها ما عدا التى من خصائص الشعر كالتصريع والتجزئة والتسميط والترصيع والتشريع وغيرها ولم يسبقنى سابق من المفسرين ولا البديعيين لاستخراج أنواع الفاتحة فانا بفضل الله تعالى اول داخل لهذا الميدان وفاتح لهذا الباب وليس فى وسع العوالم ان تدمج خمسة وسبعين نوعاً فى فاتحة قصيرة كهذه فحق لله تعالى أن يقول لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا

بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فقد مضى ثمان عشرة وثلثمائة والف سنة من البعثة المحمدية الشريفة إلى عامنا الذى هو عام ستة وثلثمائة والف وهو منتصب للمعارضة وقد تقلبت بين يديه عصور البلغاء وقرون الفصحاء وأيام النبهاء وسنى الحكماء وهو هو حلاوة وطلاوة وبهجة ونوراً ما نبغ نابغ فى معارضته ولا بلغ بليغ غوص معانيه ولا أفصح فصيح عن شئ يذكر فى جانبه بعد المحادة وفرق الخلق وطوائفهم متهافتون عليه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وكل يلتمس منه حجة او يطلب منه دليلا ويعارض الآخذ منه به ويرد المخالف له إليه وكل فصيح منه يستمد وكل بليغ غليه يعتمد فهو قاموس اللغة وكتاب الحكمة وخزانة العلوم وانموذج الفصاحة فسبحان القادر المبدع الحكيم الممتن على عباده بقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم هو المعجزة الكبرى التى لا يخلقها مر الدهور ولا يبليها توالى العصور وحى حق وكلام صدق لا هو من الشعر ولا الشعر منه ان هو الا ذكر وقرآن مبين.

فى معاملة الوالدين

اعلم أيها الانسان أن أباك من وضعك فى رحم أمك وأمك من حملتك ومن أرضعتك معها ولوالديك حقوق واجبة عليك منها شرعية ومنها انسانية ومنها كمالية نمزجها إليك مرتبطة ونقدم لك عليها مثالاً تتدرج به إلى معرفة مقامهما ثم نردفه بما لا بد منه من واجباتهما اذ الاستقصاء يملك ويرجعك إلى مقام التقصير والترك بالكلية . تعلم أن مظهر حياتك يقضى عليك بركوب اصعب الطرق واسهلها فى مقتضياته وضروراته ومن مقتضياته حوائجك عند الناس

فنفرض ان قد عنت لك حاجة عند أمير فاذا نظرنا فى معاملتك له حتى تصل إليه وتحصلها رأينا انك تبذل نقدك وسعيك فى تعرف اتباعه والوصول اليهم وتستعمل جميع الوسائل التى تراها واجبة لهم من تقبيل ايد او ارجل او اعتاب او اطراف ثياب وتتكلف الادب والخشوع والخضوع وتظهر أحسن الطاعة والانقياد وتتضرع بعبارات المسكنة والاحتياج والذلة وتلهج بكلمات الثناء والمدح والغلو فى الاطراء ولا تزال بهم رجاء واستعطافا حتى تتمكن منهم وتطلب الوصول إلى الأمير فإذا أجبت لبست أحسن ثيابك وأصلحت شعث ذاتك ودخلت ساكتاً غاض الطرف مطرق الرأس ووقفت صاف القدمين ساكناً ثابتاً فإذا حييته بما يهوى واذنك بالجلوس جلست على بعد منه على اطراف اليك ان كنت على كرسى او على ركبتيك ان كنت على الأرض مفروشة أو غير مفروشة ثم تجرد قلبك وفكرك من كل الشواغل وتحصر الوجود ومظاهره فى ذاته وما يلقيه عليك فإذا سألك خفضت صوتك فى الجواب واوجزت لفظك وتحريت الفاظ التعظيم وعبارات الاحترام وتوقيت الكذب وسقط الكلام والاطناب فى العبارة وعبرت فى جانبك بالعبد الذليل وفى جانبه بالسيد الامير فان نسب اليك قولاً بديعاً او عملا جميلاً اعدته وجعلته مصوره ومرجع فضله وان اعتذر اليك عن سقطة من سقطاته نسبتها اليك وبرأته منها والتمست له مسوغات من كلام أهل البدع والضلالات فان تحرك وهو جالس اسرعت بالقيام فلا تجلس حتى يعاودك الاذن وان قام مشيت خلفه وجعلت قلبك وسمعك وبصرك وفقاً على حركاته وسكناته لا يصرفك عنه صارف فإن أعطاك ما طلبت وكان حقاً لك قبلت الارض والاقدام والاطراف وجعلته من فضله واحسانه مع عدم استحقاقك له الا بعنايته ورعايته وخرجت حامداً شاكراً مثنياً بعبارات تعليه بها إلى حيث ينتهى التعظيم وان منعك ما هو لك جعلت ذلك من عدله وقبلت الارض والاقدام وانت تطريه بأنه

من الخلفاء الراشدين والائمة المقسطين وخرجت متقهقراً لا يفتر لسانك عن مدحه حتى تغيب عن نظره ويعود إليك حسك وادراكك بالكائنات غيره ثم لا تنطق بكلمة قدحاً فيه او فى عمله لو ساءلك سائل على ملتقاك معه وتكل الامور إلى المقادير وتيسير الله تعالى بعد انقطاع وسائلك التى انصرفت بها عن جانب الحق سبحانه وتعالى فاذا كان هذا شأنك فى معاملة رجل لا يملك لك ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا فضل له عليك فى ايجاد او تربية او خدمة فما بالك بمن كانا واسطة فى انتقالك من العدم إلى الوجود بعد ان كنت لاذاتاً ولا ذكراً وسبباً فى تأملك لمظاهر حياتك التى منها حاجة هذا الامير من لذائذ المتناولات والمدركات والمملوكات اظنك لو تفكرت فيهما اقل فكر لعلمت ان الله تعالى جعل فى مباضعتهما اسراراً لا يحتملها عقلك وانزلهما منزلة ليس فوقها منزلة من منازل الفضل اذ أودع فى ماء الاب سر التصوير والتخطيط والتشكيل وفى رحم الام سرالتطوير والتكوين والتنمية وخالف بك فى مجيئك من ظهر أبيك وصدر أمك واسكانك فى رحمها ليجعل لك مدبرين أحدهما فى شدة تمنعك من البهيميات تناسب شدة الظهر وصلابته وثانيهما فى رحمة تمنع عنك ما تلقاه من شدة الآخر تناسب رقة البطن ولطف الترائب وتربيتك بين الاحشاء بخلاصة من خلاصات غذائها فاذا احللتهما محلهما علمت انك لو صرفت عمرك فى خدمتهما والانفاق عليهما وانصرفت عن لذائذك ومألوفك وانقطعت عن الخلق وتلهيت بهما عن مظاهر الدنيا وزينتها وحصرت رجاءك فى رضاهما واملك فى استعطافهما وعملك فى مرضاتهما وجعلتهما بين عينيك فى حركاتك وسكناتك ويقظتك ونومك وجعلت جفنيك وقاية لهما واسكنتهما فى محاجرك بدل مقلتيك ما قمت بواجب من واجباتهما ولا قضيت فرضا من فروضهما لوجود الفارق العظيم بين فعلك معهما وفعلهما معك فانهما كانا يسهران بسهرك ويحزنان

لبكائك ويتنازلان اليك من مقام العظمة والاعتبار إلى مقام الطفولية ليوانساك بما تهوى ويسلياك بما تحب ويخاطباك بما تألف ويداعباك بما تريد ثم يميطان عنك الاذى بلا استكراه ولا أنفة بل يغنيانك بما يطربك ويسرك ويبهجك ويغسلان ادرانك وهما يلاطفانك بالمسليات والمضحكات فان غضبت ضحكا او تضاحكا ليصرفا عنك غضبك وقربا اليك ماكولا او مشروبا او العوبة فاذا مرضت قامت قيامتهما وكان ألمك بعض آلامهما بك وتاوهك سهاما نازلة فى افئدتهم وانينك خناجر متسلطة على أحشائهما وتغيرك من حال إلى حال نيرانا مشتعلة فى أعضائهما وتقلبك من جنب إلى جنب تقليباً لهما على جمر لا يطفئه الا شفاك ثم يصرفان النفس والنفيس فى خدمتك ومعالجتك وينقطعان عن الطعام والشراب الا ما يحفظ الحياة الضعيفة بضعفك ويتركان الزينة واللذائذ والمشتهيات وينسيان الضحك واللعب والانس والسرور ويلزمان البكاء والنوح والتضرع إلى الله تعالى فان سمعا شيئا مما كان يسرك من الات الفرح كمزمار او طنبور او الات موسقية هاجت اشجانهما والتهبت نيران احزانهما وتذكرا ما كنت تفعله عند سماعك لها ثم لا يزالان فى غم دائم وهم متراكم حتى ترزق الشفاء وتعتدل صحتك هناك تصفو حياتهما وتنشط اعضاؤهما ويعود لهما الحس والادراك ويعملان ليالى الافراح والتهانى. فان اساءك احد اجتهد فى القصاص منه بأشد مما فعله معك ولو كان فى ذلك نفاد حياتهما وازهاق روحهما فاذا ترعرعت اخذا فى نقلك من البهيمية إلى الانسانية بتعليمك اللغة وتعويدك على الحركة وارشادك إلى النافع وتحذيرك من الضار واخذاك معهما فى المجالس والمجامع ليدرباك على معاشرة الناس ويعوداك على الالفة والائتناس بهم ولا يزالان كذلك ينقلانك من حالة إلى أخرى مع فرط المحبة والاجتهاد فى الخدمة والنظافة واستحضار ما يعجبك وتأنس به حتى تتم لك المبادئ الامية اذ ذاك تذهب إلى

المهذب الادبى والمعلم الصناعى ليكون ادبك وسيلة إلى الفضيلة وصنعتك سببا فى حصول المسبب عليها من الارزاق المقسومة فاذا انتهيت تعليما ساعداك على ما تتعاطاه من تجارة او زراعة أو صناعة أو خدمة لا يقصران فى صرف ما يُحفظ مظهرك ويوصلك إلى غايتك ولا يملان من خدمتك كبيرا ولا يشكوان من الصرف عليك فاذا قلت ثروتهما باعا حليهما واثاثهما فى تربيتك وتسهيل طرق معاشك فاذا بلغت مبلغ الرجال عمدا إلى أحسن بيوت الشرف وبنات الفضل المتماثلات معهما واختارا لك احبهن اليك واليقهن بك وصرفا نقدهما فى افراحك وانتقلا من خدمتك فريدا إلى موالاتك مزدوجا وكلما كبرت من سن إلى آخر كبرت محبتك عندهما فتشيخ وتهرم ومحبتك بين جوانحهما فتاة غضة الشباب نضرة المحاسن لا يغيرها قحول جلدك ولا بياض شعرك ولا تغيير محاسنك ولا يضعفها وهن جسمك ودقة عظامك وثنى جلدك وارتخاء اعصابك .

فاذا كنت من ذوى اليسار والثروة ومنعتهما من الكسب والسعى معك تجدهما يدخران لك بعض ما تعطيهما من نقد وحلى ويصرفانه عليك عند عوزك ومع تقاعدهما عن الكسب فانهما ينتقيان بعضاً مما تستحضره لبيتك من فاكهة ومطعم ومشرب لوقت يقدمانه لك فيه عند عدمه ويتعهدان بيتك وحرمك وخدمك ويحرصان على ان لا تقع عينك على مستقذر ولا تسمع اذنك ما تكره ولا يشم انفك ما يستقبح فاذا نكبت بنكبة عجزت الاقلام عن شرح ما يحل بهما وخارت الافكار فى تصور كدرهما وكفاهما شرفا ومجدا وفارقا بينك وبينهما انهما كلما كبرت تمنيا طول حياتك وانت كلما كبرا تمنيت قرب وفاتهما وشتان بين المقامين ولا جامعة بين الامنيتين فاذا علمت عبارتنا هذه وتحققت معانيها أدركت سر قولنا لا تقوم بواجب من واجباتهما ولا فرض من فروضهما وحيث كان مقامهما فى اوج لا ترتقع اليه خدمتك لهما بالغة ما بلغت وقد قرن الله طاعتهما بطاعته

فى قوله عز من قائل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ودفع عنا المشقة العظيمة فى عبادتنا له تعالى بقوله فاتقوا الله ما استطعم كان علينا ان نأتى فى جانب القسم الآخر بقدر الاستطاعة وحدها السعى فى مرضاتهما والبعد عما يغضبهما وشرح هذا الحد موجزاً ان لا تعصى لهما أمراً الا فى المحرمات الشرعية فاذا امراك بانتهاك حرمة فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق جل شأنه واذا أمراك بأمر فيما يختص بدنياك ورأيت انه سيئ العاقبة تلطف فى صرفهما عنه وفهمهما المانع والعائق والمترتب عليه بلطف واذا هما بفعل أمر تراه ضاراً بهما او بك او بكم فاصرفهما عنه كذلك باحسن عبارة خصوصاً اذا تقدماً فى السن فإنهما يصيران كالطفل يغضبان ويرضيان بأقل موجب واذا كنت تنفق عليهما تعهد محل نومهما ومأكلهما ومشربهما وملبسهما فربما كانا فى ضيق من أهل بيتك وفرط محبتهما لك يمنعهما من تكدير افكارك بالاخبار عما يريانه من التقصير ولا تخرج من بيتك حتى تستعطفهما وتطلب دعاءهما لك ولا تبدأ أحداً من أهل بيتك وخدمك وولدك عند دخولك قبلهما وخصهما بوقت بعد وقت تجالسهما فيه وتلاطفهما وتستشيرهما فى مهام بيتك وتعرض عليهما نوازلك ان كانا من ذوى الافكار واذا ادخرت شيئا عند حرمك فأخبرهما به جنسا وقدراً واحذر ان تطيل لسانك عليهما بشتم او زجر او تقبيح لعمل فان ذلك من أكبر الكبائر فى حقهما وتأمل قول الله تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما تعلم ان الله تعالى فرض علينا فى آدابهما اجل الفرائض وقضى لهما بأعظم الدرجات ثم تأمل قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تعلم ان ما ضربناه لك من مثل الامير لا يذكر فى جانب هذا الامر الكريم اذ جعلنا ما فوق درجة الملوك فضلا عن الامراء ولم يقل فى جانب أولياء الامور جناح الذل كما قال

فى جانبهما وما ذاك الا لكونهما فى مقام ليس فوقه ما يدانيه فضلا عما يماثله . فان كانا من ذوى الكسب وكنت معهما فى بيت واحد فاشركهما فيما تكسبه وما تاكله وما تشربه وما تلبسه وان كانا أسبق منك إلى هذا الفعل بفرط محبتهما ولا تخبأ عنهما شيئا من كسبك ولا ترد عليهما ما اختاراه لك من أمور المعاش ولا تكلفهما الانفاق معك على اخوانك وأحبابك ومجالس انسك ومجالب لذاتك وان كانا مستقلين فى بيت آخر فاجعل مودتهما وزيارتهما فى الصباح والمساء فرضاً تقوم به قبل كل فريضة ومدهما بما يزيد عن ضرورياتك ان كانا من ذوى الكسب فان كانا معدمين وجب عليك أن تزيدهما اكراماً وانفاقاً وتعظيماً عما اذا كانا فى بيتك لتاثرهما ببعدك فاذا مرض أحدهما فلا تؤخر مجهوداً فى خدمته والانفاق عليه ومعالجته ومؤانسته وتسليته حتى ينقه وهو مسرور منك او يرتحل وهو راض عنك فان ارتحلت من بلدهما فلا تقطع مراسلاتك عنهما واتصال مبراتك والسؤال عنهما وعن شأنهما ومعاشهما وان سافرت بهما من مكان إلى آخر فلا ترتكن على الخدم والاتباع وخصهما بالخدمة ومراقبة أحوالهما ومؤانستهما والقيام بضرورياتهما حطاً وترحالاً وإن وقعت أمك تحت غير أبيك أو اقترن أبوك بغير أمك فلا يمنعك عن القيام بما قدمته لك هذا العارض بل يجب عليك ان تزيد فى اكرام من تراه منهما على هذه الحال أكثر مما كان عليه حال الاجتماع فإنه فى مظنة نفورك منه وبعدك عنه فاذا وددته وبررته ببعض ما تقدر عليه زاد عطفه عليك واشتدت محبته لك وعظم رضاه عنك فان الأم لا تقع تحت غير ابيك الا وهى تريد ان تعتصم به عما يشين مجدها ونجدك والاب لا يقع على غير أمك الا وهو يريد ان يعتصم بها عن وصمة الرجال ومؤاخذة الشرع ومسقطات الشرف وليس شئ من هذا ضاراً بك أو مسقطاً لقدرك أو مزرياً بشرفك ولا تقلد الجهلاء فى عقوقهم أحد أبويهم ان

خالف قرينه بقرين آخر بعد مفارقة الاول بموت أو حياء فان كنت من سلالة آل البيت النبوى الطاهر وجب عليك ان تزيد على ما قدمته لك ما كان عليه السبطان الشهيدان الا كرمان مع والديهما امام المؤمنين والزهراء البتول فقد كانا لا يجلسان بحضرتهما الا بإذنهما ولا يتكلمان الا اذا اذنا او سألهما أحدهما ولايرفعان صوتهما الا بقدر ما يفهم الكلام وكان مولانا الحسن يتحاشى الأكل مع والدته الكريمة خشية أن يتناول لقمة وقع اختيارها عليها ومولانا الحسين يؤاكلها ليقدم لها الطعام ويهيئ لها اللحم بفصله من العظام وكانا لا يدخلان عليهما بغير اذن فان كانا فى مكان غلق بابه تحاشيا القرب منه حتى يخرجا ويصبان عليهما ماء الوضوء مع وجود الخدم ولا ينامان الا اذا ناما ويستيقظان قبل ان يستيقظا فاذا مرضت الخادمة ساعدا أمهما فى الطحن والعجن والخبز وكنس البيت وتنظيفه وحلب الشياه والاعنز وعلف الخيل والإبل وربما منعاها العمل رأساً اذا كان فارغين من الاعمال الخارجية عن البيت وما رؤيا فى مجلس قط مساويين لابيهما فى الجلوس ولا سارين بجانبه فى طريق ولا راكبين وهو راجل ولا متكلمين فى مجلس لم يأذن لهما بالكلام فيه وكانا يعتبران خدم والديهما كما يعتبرانهما فلم يشتما ولم يضربا خادما او خادمة لوالديهما بل كانا اذا مرض أحد الخدم قاما بخدمته وقضاء أوطاره وما دخل أحدهما على احدى نساء ابيه فى خلوة وان كانت ظاهرة لمن فى البيت ولا سرح طرفه فى وجهها ولا اتبعها نظره اذا مشت امامه ولا تتبع أفعالها فى بيتها الخاص بها ولا خاطبها الا بألفاظ الحشمة والاعتبار والتعظيم ولا نقل أحدهما كلاما عنهن إلى أبيه أو أمه فاذا غاب أبوهما الكريم الاكرم قاما بخدمة أهل بيته وصيانتهم وكفالتهم وحراستهم وصرفا عنايتهما فى مرضاته حتى يعودوهما على أحسن حال من الخدمة ورعاية أهله وتعهد مملوكاته من خيل

وابل وغيرها ولقد ضحك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى مجلس أبيه وهو رجل كبير فقال له مولانا الحسين ان فيك جاهلية من جاهلية العرب كانوا لا يتحاشون الضحك فى حضرات آبائهم فقال له سيدنا عمر من لم يتأدب بآدابكم معاشر بيت النبوة فهو فى جاهلية ولم ير عبد الله ضاحكا في مجلس أبيه بعد ذلك اليوم مع كونه هو هو قدرا وعلما ومقاما فى رجال الأمة اذ هو من الطراز الأول رضى الله عنه وانظر الى أدب السيدة ام كلثوم بنت الامام عليهما السلام والرضوان حيث دخل سيدنا عمر بيت الامام وهى صغيرة فاستدعاها أبوها بحاجة ثم بحاجة أخرى فقالت لابيها ما لعمر يحملق فى اذا اقبلت ويتبعنى نظره اذا ادبرت وانا صغيرة رُسلٌ (أى لم تبلغ مبلغ الاختمار بالخمار كالنساء) فقال أبوها انها نظرة خطبة فألوت بوجهها وقالت ما لكم تردون علينا ما هو لكم ونحن لا نحسن القيام بأمرنا إن فى عمر لعفة وديناً لولاهما لنقمت عليه ثم ولت ولم يرها حتى دخل بها بعد فتأمل حرصها على مجدها فى ملاحظة حال الضيف معها وانظر اعتذارها عن دخولها فى مجلس الرجال بانها طفلة لم تبلغ مبلغ تحريم الاختلاط وتدبر قولها لابيها ما لكم تردون علينا ما هو لكم من ارجاع الامر لابيها فى اجابة سيدنا عمر او منعه واشطح بفكرك فى قولها ان فى عمر لعفة وديناً تدرك معنى اعترافها بكفاءته لها ثم تأمل قولها لولاهما لنقمت عليه ولم تقل لرددته تعرف قدر أدبها فى حق أبيها وحق عمر ولا غرو إن أخذنا الكمالات الانسانية عن أصول بيت النبوة وفروعهم فان كنت ايها المريد شريفا ورأيت نفسك تأبى مجاراة آبائك فى آدابهم فاعلم أنك دخيل فى النسب لا وصلة بينك وبين من انتسبت اليهم الا بالدعوى والشقشقة وان صحت نسبتك كنت عاقاً مغضباً لآبائك الاعليين فان أحق الناس بمتابعة الاباء ابناؤهم وهناك آداب للسبطين واخوتهم سادتى وموالى محمد بن الحنفية ومحمد

الاصغر والعباس وجعفر وابى بكر وعبد الله عليهم السلام والرضوان تركناها لعدم احتمال قواك لها وحسبك ما قدمته انموذجا مختصرا لا يصعب عليك القيام به . واعلم ان فطرة الله تعالى قضت على الام بكراهة زوجة الابن ومحبة زوج البنت بحيث لا تملك الام شيئا من ذلك مهما كانت فاتنة مهذبة ممتلئة حكماً وآداباً الا ان المهذبة تصابر الكره وتصانع الايام ولهذين الامرين سر غامض نشرحه لك لتعذرها وتحذر مما يترتب على أمرها وهو أن الأم كما قدمنا شديدة المحبة لولدها تحب له الراحة ودوام الصحة وبضاضة الجسم وزيادة القوى وتكره من يؤذيه او يجلب عليه شراً أو يتسبب فى ضعفه ووهن جسمه أشد الكراهة وهو اذا تزوج تحمل اتعاب العمل ومشاق الكسب سعياً على زوجته وصرف ما يكتسبه عليها وفى مرضاتها ثم يضعف ضعفا بيناً بالمباضعة ويسقم ويمرض وكلما صرف حياته فى مرضاة زوجته أحبته بقدر كراهة الأم لها فاذا تأخر عنها قلته وهجرته حتى يعود إليها فالأم تكرهها اشد الكراهة فطرة وجبلة لكونها مضيعة لصحة ولدها مجلبة لمرضه مذهبة لماله متلفة لحياته فلو عالجت نفسها بكل علم وأدب ما ملكت من امرها الا مظاهر العقل من المصانعة وابداء الكلام فى معرض النصيحة مع التهاب احشائها بنيران العداوة وهى مع زوج البنت على التضاد فان ما يفعله ولدها لزوجته يفعله الزوج لبنتها فهى تحب من يرضى بنتها ويجرى ويكتسب لينفق عليها ويلاطفها ويؤانسها ويداعبها ويواصلها بما تنمو به أعضاؤها وتدوم صحتها فهى لا تملك نفسها فى محبته تبعاً لمحبتها لبنتها . وزوجة الابن تكره الأم لكونها حجبا مانعا بينها وبين تصرفها فى ولدها وماله فهى ترى انها لا يتم لها التمتع والاستبداد بأمر البيت والرجل الا اذا فارقت الأم بموت او حياة

اذا علمت ذلك وتحققته وجب عليك ان تكذب زوجتك فى كل ما تنقله عن أمك وان كانت صادقة فإنها

صبدقت فى كلمة ضمت اليها كلمات ولا تطعها فيما تأمرك به فى شأن أمك فإنها لا تريد الا ان تمكر بك وبأمك حتى تمكن العداوة بينكما فتقلو امك او تهجرها او تطردها كما يفعل الفساق وأهل البهتان حتى يصفو لها الوقت معك ولا تجعل لزوجتك سلطة فى بيتك تمس حقوق أمك بل اجعل الامر والنهى والحل والعقد والترتيب تحت امر الام وإذنها فلا تكون الزوجة الا خادمة مطيعة فالهلاك كل الهلاك فى بيع النعيم الابدى بلذة برهة يعقبها تعب وامراض وتأمل قول صاحب الوجود صلى الله عليه وسلم جعلت الجنة تحت أقدام الامهات تعرف مقدار ما اقدمه اليك وما اسرده عليك ولأن تفارق كل يوم زوجة فى مرضاة امك خير لك من ان تغضب امك لحظة من عمرك مرضاة لزوجتك فإنك اذا فارقت الزوجة وجدت بدلها زوجات ولكنك اذا فارقت امك لا تجد لك اما غيرها والعاقل يحرص كل الحرص على مالا بدل له فاذا رأيت نفسك ايها الانسان متمكنة من ضبط ظواهرها وبواطنها فى جانب والديك مستعدة للقيام بما قدمناه من معاملتهما كان لك ان تتقدم بين يدى استاذ عارف وتأخذ عنه ولا فولنا ظهرك فما انت إلا مغضوب عليه ومحال ان ينتفع مغضوب عليه باستاذ او طاعة فليست رغبتك فى سلوك طريقنا اشد من رغبة غلام شاب فى الجهاد فى سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة دينه حيث جاء للنبى صلى الله عليه وسلم شاب يستأذنه فى الخروج معه إلى الغزو فقال له استأذنت امك قال لا فقال له أذهب اليها فان اذنتك والا فقر فى بيتك ولم نطل عليك الفصل بذكر الوعيد السترتب على عقوقهما والأحاديث والأقاويل الواردة فى ذلك اكتفاء بحكم واحد هو ان الله تعالى يغضب لغضبهما ويرضى لرضاهما فاذا سعيت فى إغضاب الله تعالى عليك فكيف تدعى انك تريد الوصول اليه وكيف يوصلك وهو غير راض عنك وقد نصحتك وعرفتك طريق الهدى فخذ اودع كلامنا للموفق والله يحفظنى

وإياك من خطرات القلوب وسلطنة الشهوات.

« فى معاملة الاخوة والاخوات »

اعلم أيها الإنسان ان اخوتك واخواتك من جاءوا معك من والديك او من احدهما والسير معهم فى طريق المعاش وفتح البيت كالسير مع القانون العادل فكما ان المملكة تخرب بضياع القانون والامة تتفرق بترك احكامه كذلك البيت يخرب بترك الوصلة الاخوية والعائلة تتبدد بترك أحكام الشريعة والانسانية وأنت محتاج إلى قانون تسير عليه فى حق اخواتك فنلخص لك انموذجا تقيس عليه لا يخلو من ان تكون أكبر اخوتك أو أوسطهم أو أصغرهم فإن كنت الاكبر كنت فى مقام الاب فى تربية الاصغر وتهذيبه ومراقبة حركاته ورده عن المنكرات والرذائل وهديه إلى المحاسن والكمالات ووجب عليك أن تخلع نفسك من دعوى المشاركة لهم فى النبوة ومقتضياتها فلا تغالب الصغير على امر بدعوى الاشتراك ولا تهمله فى التربية ارتكانا على والديك فقد كانا يدا واحدة فى تربيتك وبوجودك صرت لهما يداً ثانية يستعينان بها على مظاهر حياتهما فيجب أن تصرف نقدك معهما فى تربية اخوتك وتنتقى لهم أحسن المؤدبين واكمل المؤدبات وتختار لهم احسن الصنائع وألطف طرق الكسب وترعاهم صغاراً وكباراً حتى يبلغوا مبلغ الرجال والنساء وأنت بينهم كالولد الرحيم تصلح المتخاصمين وترضى الغضبان وتبر المحروم وتساعد المعدم وتعول الضعيف وتمون المريض فإذا صاروا ذوى كسب كنت رقيبا عليهم حافظا لنظامهم مؤدبا للشاذ منهم فإذا صاروا ذوى زوجات كنت خفيرا لهم على حرمهم معلما لأهل بيتهم متعهدا حالة بيتهم ناظرا فى امر معاشهم قاضيا فى امر دعاويهم منفذا فى تأديبهم مرجعا لشكواهم ملجأ لعياذتهم ولا تصل لهذه المكارم الا بخلق

حسن ولين طبع وسلاسة عبارة ودوام تبسم وعظم رحمة وكبير محبة فإنك صرت إماما مقتدى بافعاله بين العائلة فإن اسأت أخا قلاك وابغضك وان شتمته سكت لك فى الأولى واعادها عليك فى الثانية وان ضربته بغير ذنب او فرطت فى ضربه جرأته عليك ومكنته من النفرة والعزلة وعقوقك وعقوق والديه وان اختصصت بأمر دونه غرست الحقد فى باطنه وجعلته رقيبا عليك منتقدا لافعالك معترضا على أعمالك وهذه امور تبحر بكما إلى منافرة الوالدين واغضابهما فإنهما أميل للصغير واحرص على مرضاته بفطرتهما ويجب عليك أن تتبع أحوال اخواتك وتتجسس على افعالهن فى خلواتهن وتتفقد النساء الداخلات عليهن من الجارات او باعة الحلى او الطيب او الملبس فكم من ذات شرف فى بيتها غرتها دخيلة وأضاعت شرفها وكم من مخبأة مخدرة اخرجتها عجوز مترددة عليها أو جارة توسل بها أحد الفساق وكم من مؤدبة نقلتها الجارات إلى طباعهن السوء بالتقليد والمجاراة فلا تأذن لذات ريبة بالدخول فى بيتك ولا لمستهترة هازلة فمن لا حياء فيها لا خير فيها بل الشر كله فى قربها ومجالستها فاذا خطبت فلا تجب كل خاطب حتى تعلم اصله وكسبه وسيرته فى نفسه واهله ولا تعتز بذوى الاموال والبيوت العائلية فكم من عظيم يترك بيته ويدور فى بيوت البغايا وكم من ذى شهرة فى الظاهر لا يساوى زبالا فى غيرته ومعاشه وكم غنى يضن على نفسه بالطعام فضلا عن غيره ونساؤنا معاشر الشرقيين ممن ضرب عليهن الحجاب وفسدت تربيتهن كما ست[illegible] ــدمنة الابناء ان شاء الله تعالى فاذا لم يكن الزوج كفوا للقيام بها جلبت عليك العار بفساد اخلاقها وشغلتك بكثرة شكاويها وكدرتك بإلحالها وطول بكائها ثم ساعد والديك ف[illegible]ـهـزها وجملها ومتعها بما تقدر عليه واخلص لها النصيحة والموعظة والوصية التامة وتردد عليها فى بيت زوجها بالزيارة والمبرة لتعظمها

فى عينه وتخيفه من سوء معاملته لها وكن لها عضدا فى نوازلها فإنها ممنوعة من مخالطة الرجال ومعرفة الحاكم فلا تنصر زوجها عليها فى غير حق له ولن فى تهذيبها لين الافعى حتى تتجرأ عليك وتنقل عنك فإن ساءت العشرة أو الادب فانهسهانهس الافعى حتى لا تتمادى فى فعلها . وإن رأيت أحد اخوتك على امر لا ترضاه فلا تشدد النكير عليه بل استحضره امامك فى خلوة وعظة واضرب له الامثال بمن عمل عمله وخسر وعلمه الاحكام الشرعية فيما يأتيه منالاعمال فان لم يرجع فاجعل كلامك له مع ابويكما وشدد عليه شدة لا تنفره واردفها بمدح ما كان عليه قبل والثناء عليه لو جاراك فى ادابك وصله بمبرة تخجله منك وتنسيه صعوبتك عليه وسلط عليه امه تنهاه وتنبهه على مكارمك معه واوعز الى ابيك ان يحضه على اطاعتك واتباع اوامرك فان لم يرجع فاجعل الكلام معه بين اخوتك الصغار والكبار ومثل بأصغرهم فى أدبه وكماله واكثر من الثناء عليه والاطناب فى مدحه وبر الاصغر مبرة تحول فكر الخارج إلى مثلها واهجره فى الكلام وجانبه فى الجلوس حتى تتحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل ويرجع إليك مستعطفا خاضعاً اذ ذاك قبله بين عينيه واذكر له ما خشيته عليه من عمله وما كانت تؤول إليه عاقبته وبره براً واسعاً وعده بأنك تزيده احسانا كلما زادك متابعة لآدابك وهكذا تسوس الاخوة والاخوات وإياك إياك والضرب المبرح فانه مفتاح الفرقة وداعية العداوة وان وقع احد اخوتك فى شدة أو نكبة فكن له عضداً ما مكنتك الفرصة واخلفه فى بيته ان كان آهلاً بالانفاق والزيارة والحياطة والرعاية وتفقد الاحوال وإن كنت اوسط اخوتك فانظر لبر الاكبر لوالديك وقلده فيه وانظر لمعاملته لك وقلده فيها فى معاملة الاصغر وإن كنت الاصغر فلذ بالاكبر لياذك بابويك وقدم له كل ما تريده وما ينزل بك واحرص على التأدب فى حضرته فلا تنتقض اخاك الذى نافرته ولا تنافر اخا امامه و

تعصه اذا أمرك بامر لاصلاح شأنك ولا تتجسس عليه فى بيته ولا تتعرض لحرمه بإهانة أو تحقير او تنفيص ولا تنقل إليه عن حرمه امرا لا حقيقة له ولا تدخل عليه فى خلواته ولا ترتفع عليه فى المجلس ولا تساوه فى مكان لم يأمرك بالجلوس فيه ولا ترفع صوتك بحضرته رفعاً فاحشاً ولا تجلس بين يديه مادا رجليك ولا تضحك بغير سبب وليكن ضحكك تبسماً فإن غلبك فليكن لطيفا بغير تقهقه وشخير وانظر معاملته لوالديك وقلده فيها فى حقهما وحقه وان دخل عليكم اجنبيا فكنت أنت واوسط اخوتك خدما بين يدى الاكبر متمثلين باحسن الآداب وأكمل الصفات وأنظف الثياب وكونوا لأمره اطوع من نوعه وفى قضاء حوائجه اسرع من الخادم النشيط فان دخل بكم مجلساً فقفوا عندما يحدده لكم من الوقوف والجلوس والكلام والحركات ولا تحدثوا بين يديه ما ينغصه او يزرى بمقامه بين أمثاله.

* وظائف العلماء فى العالم*

من نظر العلماء ووظائفهم فى العالم حكم بان الكون السفلى ما خلق الا لهم ولا عرف الا بهم ونريد بالعلماء كل ذى علم ينتفع به فى شئ مخصوص لا خاصة المعلمين والمدرسين وأول العلماء قياما بوظائفهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم فتحة باب العلوم النافعة وعندما نيط بهم النظر فى شئون العالم والقيام بدعوة الناس إلى الصراط المستقيم جدوا فى طريق الافادة واجتهدوا فى جذب النفوس اليهم بالرفق واللين وحسن الخلق وجميل المعاشرة فلاينوا الاغنياء ولاطفوا العظماء وجالسوا الضعفاء وماشوا الفقراء ونصحوا العبيد والاحرار ووعظوا العقلاء والاغرار وصبروا على مشاق المعارضة والمجادلة وتحملوا ألم التكذيب والتعذيب ولم تقعدهم رعود التهديد والتأنيب عن بث دعاويهم التى انتصبوا لنشرها فى معاصريهم وقد تجافت جنوبهم عن مضاجع الراحة فما اخلدوا إلى الرفاهة ولا مالوا إلى اللذائذ البدنية ولا اشتغلوا بجمع الذهب والفضة ولا اعتنوا بكثرة الاثاث والاوعية بل وظهروا فقراء وعاشوا فقراء وماتوا فقراء عن زهد وورع لا عن قلة وضنك حال فان هداة العقول غنيمتهم جذب النفوس وحظوظهم اخذ السامعين بدعوتهم ولذائذهم فى تكوين العصبيات وتوحيد الكلمة وتطهير عنصر الجامعة الدينية والملكية من خليط التفريق وامشاج الاهواء وقد قضوا ادوارهم العظيمة فى تعب وعناء وانتهى بهم الأمر إلى ظهور الحكماء والعلماء بالأخذ عنهم مباشرة أو بالنظر فى كتبهم وانقسم الناس بعدهم أفرقاء لفريق جعل له وجهة علمية يقضى حياته فى الوصول إليها فاختلفت مواضيع العلوم واحتكت الافكار بعضها ببعض وتبادل العلماء التلقى والتلقين والجدل والمناظرة حتى اتموا معدات الكمال العمرانى بما وصلوا إليه

من المعارف الآتية اليهم باحتكاك أفكارهم فى علوم الانبياء الذين قادوهم بمقود الدين والسياسة السماوية حتى أوصلوهم إلى النظر فى السفليات والعلويات وغرائب المخلوقات وهدوهم إلى المبتكرات والمخترعات وعلموهم طرق السياسة السلمية والحربية وترتيب الادارات وتقسيم الولايات ووضع الضرائب وفصل القضايا وعقد المعاهدات وتوسيع التجارة وكل ما يلزم الملك وما فيه من العالم. وباتقان الحكماء والعلماء هذا الطريق المستقيم اعتمد عليهم الملوك وجعلوهم شركاء فى الرأى والتدبير والقضاء والتنفيذ وسلموهم الأمم يتصرفون فيهم بعلومهم التهذيبية كأنهم الملوك * ولما رأوا أن العلم رفع وضيعهم إلى حيث اجلسه مع سلطانه وأركبه مع أمير بذلوا نفوسهم ونفيس أوقاتهم فى تحصين المركز العلمى من السقوط والتلاشى فاكثروا من المدارس وانتقوا اليها الاذكياء النبهاء وخدموهم بأنفسهم خدمة الوالد الرحيم لطفله الصغير ثم نقلوا المتعلمين من ساحة العلماء إلى صحراء العمل تحت المراقبة والملاحظة وقد نظر كل متعلم لما عليه معلمه من الابهة والجلال ورفعة المقام وبعد الصيت فانبعثت فيهم ارواح الغبطة وحملتهم على اقتحام عقبات المتاعب اقتداء بأساتذتهم حتى أخذت أعمالهم بأديهم ونادتهم مآثرهم إلى منصة الامارة فعلوها بحق واستحقاق وقد أخذ الشرق دوره فى هذا المقام الجليل لأخذه عن الانبياء مباشرة واشتغال أهله بالمجادلة والمجالدة قروناً طويلة خصوصاً أيام الدور المحمدى الاسلامى فانه جاء بخيرى الدنيا والآخرة وملأ الكون بالعلماء والامراء وفتح للتعليم أبواباً اهتدى اليها السابق ولازمها اللاحق حتى عرف المغايرين له كيفية الأخذ بدينهم بما رأوه فى كتب علمائه من الابحاث الاصولية والقواعد التوحيدية والفروع عنها غافلين . وقد ملأ علماؤه كتيبات العالم أجمع بفوائدهم وفرائدهم العلمية ونشروها بين أفراد الأمم

وعلموها كل طالب حتى قادوا الشرق والغرب بعلومهم فكل ما فى الكون الآن من العلماء بأى علم كان إنما هم تلامذة المسلمين وفى عنق كل منهم نعمة للدين الإسلامى وإن دان بغيره. وعندما تعددت وحدة الملك فى الشرق بظهور المتغلبين ضعفت قوته العظيمة بتجزىء ممالكه فسهل على الغرب شن الغارة عليهما لأن الأمة الكثيرة العدد والأقطار تصدم مثلها من الأمم دفاعا عن نفسها وتحفظ مركزها الجغرافى باجتماع كلمتها فإذا تجزأت وصارت قطعا متقاطعة سهل على غيرها من الأمم أن يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانقطاعها عن العضد والمعين. وهذا الذى فتح لأوروبا باب التغلب على الأمم الشرقية والتداخل فى أعمالهم وتمزيق أوصال مجتمعهم الشرقى بإيقاع العداوة بينهم وايغار صدور ملوكه من بعضهم البعض حتى جدعوا أنوف مجدهم بأيدى عداوتهم ووقف اليتفرج على أهل بيت ينقضون جدران أوطانهم حجرا حجرا حتى اذا انحط الرفيع وضعف القوى وتوزعت الاهواء حول المطامع الاجنبية وقع الشرق فى شرك الجهالة وتحولت قوته العلمية إلى الغرب فتلقاها أهله بالترحيب والتكريم واشتغل كل فريق بعلمه حتى اذهلوا العقول وحيروا الأفكار وملكوا معظم الشرق بجدهم الغريب. وحيث أن الأدوار الشرقية طويت فى سجل كان والدور الغربى هو المعلوم الآن لزمنا أن نبين طبقات علمائه الغربيين والشرقيين تذكيرا لاتعليما عسى أن تحيا همم النشئة العلمية الشرقية فيؤدى كل عالم منا واجبات علمه اقتداء بمثله الاوروبى إذ عز علينا أن نقول اقتداء بجده الشرقى لطول العهد بيننا وبين أجدادنا ونسياننا ما كانوا عليه. ولاعيب علينا إذا أخذنا عن أوروبا واقتدينا بها الآن فى إجراء وظائف العلماء كما هو حاصل فقد أخذت عن متقدمينا واقتدت بهم حتى آن لها الاستقلال بافكارها والاشتغال على اساتذتها شأن الأدوار العمرانية فى الممالك شرقية وغربية .

(طبقة الملوك والأمراء (البرنسات))

هذه الطبقة الجلية القدر شأنها النظر فى أمور الأمة المحكومة من حيث ترتيب المحاكم والإدارات وإعداد الآلات وتشييد الحصون وجمع الجنود وعمل السفن حربية ونقلية وحفظ الروابط الملكية بينها وبين متاخميها ومجاوريها ولايصلون لذلك إلا بإتقان العلوم فى الصغر ودراسة جغرافية العالم وأخلاق الأمم والشرائع والقوانين والنظامات والوقوف على مشارب الأحزاب ومساعى الملوك وبهذه العلوم سهل عليهم القيام بوظائف عملهم فشاركوا أصاغر الناس فى تخصيص بعض أوقاتهم لأداء واجب الوظيفة بجد واجتهاد فالملك منهم دائم الفكر ناظر إلى الممالك بإحدى مقلتيه وإلى مملكته بالأخرى مشارك لوزرائه فى المشورة واستمداد الآراء مائل إلى الأمة ميل الأب إلى ولده خائف عليها خوف الراعى على غنمه فى أرض مذأبة. والامراء من العائلات الملوكية قائمون بأعمالهم ناظرون نظر كبرائهم يتوددون إلى الناس فيعودون الاغنياء ويتألفون الفقراء ويزورون الجند ويترددون على أهل القرى تنشيطا لهممهم وحثا على عملهم حتى اذا انتهى اليهم الدور جاؤا الملك وهم على أحسن ما يكون من الأهبة والاستعداد. وما رأوا من الأمة أمرا محمود العاقبة إلا كانوا فى مقدمة الآخذين بأيديهم وقد حفظوا كل ما يلزم إلى الأمة وعرفوا المحكومين وما هم عليه من العادات والأخلاق فلا يغيب عنهم وجيه ولا عظيم ولا فاضل ولا غنى ولا رئيس من رؤساء الجمعيات والأديان. ولهم رغبة كبرى فى تأييد الجمعيات العلمية والدينية بالحضور فى محافلها وحث أعضائها على المثابرة والاجتهاد ومساعدتهم بالمال والسلطة فى أي أرض كانت الجمعيات وبهذه الخصال جذبوا القلوب اليهم وحولوا الافكار إلى وجهتهم فاختلف الناس فى أعمالهم واتحدوا فى الانقياد إلى ملوكهم والتعاضد على حفظ بيت الملك الذى هو بيت

مجدهم وحياة أوطانهم فى الحقيقة ومن حاد من الملوك عن هذا الطريق تداعت دعائم ملكه .

(طبقة الوزراء)

رجال هذه الطبقة العظيمة أتعب الناس فكرا يقضون النهار ومعظم الليل فى أشغال فكرية وأعمال يدية كتابية يتساطون فيما بينهم عن الممالك وأخبارها اليومية ويبعثون البعوث إلى داخلية الغير اكتشافا للمواقع وتطلعا إلى الأخبار السرية واحصاء للاعداد العسكرية ومعرفة للوسائل المؤدية إلى مقاصدهم السياسية وربما غيروا صبغة بعض الأفراد الدينية وامروهم أن يتظاهروا بمذهب الغير أن ماثلهم فى الدين أو بدينه ان غايرهم فى المعتقد ليسهل عليهم الاختلاط بالأمة ويثقوا بهم فى أقوالهم وأفعالهم فإذا تم لهم المقصود جدوا ولفقوا اصول الدين وفروعه بما يؤلفونه من الكتب فى دين من يداخلونهم ليوقعوا بين الامة الاختلاف والهرج والمرج حتى تتعدد الوحدة ويتمزق الاجتماع والاجماع. وعلى هذه الطبقة أيضا السهر فيما يقدم البلاد ويحفظ الامن ويوسع دوائر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية فتراهم يتنازلون إلى عيادة المرضى وزيارة الوجهاء وإذا مروا بأرض ريفية لاطفوا اهلها وسألوهم عن أحوالهم ووعدوهم بما فيه خيرهم جذبا للنفوس وأداء للواجب. واذا دخلوا مجلسا من مجلس الأعيان شاركوهم فى الحديث ويادلوهم الجدال فيما فيه نجاح الامة وعلو شأن المملكة فإذا اجتمعوا بأمثالهم اكتشفوا افكارهم وشاوروهم فى امورهم واستمدوا منهم وامدوهم فاذا عادوا الى الملوك اخبروهم بأحوال المملكة واخبار الممالك واطلعوهم على الوقائع اليومية والاحكام القضائية وراجعوهم فى مقترحاتهم بما يعود عليهم بحفظ

السلطة والسطوة وعلى الأهالى بالثروة وراحة البال وهذه دروس لاينقطعون عنها ولايملون من تدريسها فى أى بقعة حلوا فيها فلا راحة لهم من الاتعاب ما دامت أعينهم ناظرة وآذانهم صاغية فهم فى عمل دائم اليوم فى تنظيم جند وغدا فى بث نظام وبعد غد في إجابة نداء من أرسلوهم فى ممالك الغير باحثين ومكتشفين لتوسيع دائرة السلطنة وتكثير موارد الثروة باستخدام الأمم المتغلبين عليهم فيما يعود على المملكة بالمنفعة المالية والدولية وقد احكموا التلقى لهذه العلوم حتى فاقوا اساتذتهم الأولين فهم الآن رجال الحل والعقد ينظرون إلى المغيب البعيد بمناظر المعدات والموصلات إلى الغايات لابنظر التقاعد والكسل والاعتماد على أوهام الجفور وخرافات الرمل والزيارج .

(طبقة التجار والأغنياء)

هذه طبقة العز والمجد فى أوروبا فقد اجتهد أهلها فى معرفة الحساب وطرق الارباح من الاتجار بالاصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والاوراق والبنوك واحتكروا كثيرا من الاصناف فى داخليتهم وفتحوا كثيرا من المحال فى جميع المدن المعمورة وبعثوا إليها تجارة بلادهم ليميتوا صناعة الغير ويحولوا ثروتهم اليهم بحصر التجارة فيهم والصناعة فى بلادهم وفتحوا المجامع الكثيرة المسماة بالبورص لاجتماع الشتيت منهم بعد الفراغ من العمل لمعرفة أحوال التجارة والوقوف على الأسعار وأخبار الممالك التجارية وبهذا توحدت كلمتهم وسيرهم فلا تستطيع حكومة ما أن تؤثر فى تجارتهم شيئا بل إنهم بما لهم من القدرة على احتكار النقود والاقوات اضطروا الممالك إلى إجابة طلبهم فيما يختص بتقدم تجارتهم. وصارت تجارتهم تنمو حتى اقترضت الدول منهم وصارت مدينة لهم فقبضوا بذلك على أطراف السياسة

فصاروا من رجال الحل والعقد فى مجالس الحكومات بحسن تصرفهم تداخلوا مع فلاحى بلادهم أولا بالتجارة ثم بالقروض حتى قبضوا على الزراعة أيضاً من طريق آخر فالمعامل والتجارة والزراعة كلها تحت تصرف هذه الطبقة فلا غرو إن قيل إنها عنصر حياة الأمم فى أوروبا. ومن لوازمهم أنهم ما قعد أحدهم فى مجلس ألا أخذ يتكلم فى التجارة وفوائدها وطريقها وكيفية النجاح فيها ليرغب السامعين فى الاتجار معه لتعظم قوة المملكة بكثرة التجار ووفرة ثروتهم فهم أساتذة فى فنهم منبثون للتعليم والإفادة ولم يجعلوا فوائدهم قاصرة على لذائذهم البدنية بل مدوا أيديهم إلى الجمعيات الدينية والعلمية ففتحوا ألوفا من المدارس وألوفا من الجميعات وبثوا رجال الدين والعلم فى العالم أجمع على نفقتهم يستميلون من غايرهم دينا ويكتشفون ما غاب عنهم من الأمم والأراضى لايمنعهم من ذلك كثرة المنصرف ولا توالى الازمان كلما تقادم العهد زادت النفقات والجمعيات فهم تجار فى الظاهر دعاة فتحة فى الباطن فكأنهم هم الملوك ورجال المملكة وعظماؤها عمال لهم .

طبقة علماء الرياضة والطبيعة

هذه طبقة الفضل فى العالم فإن رجالها أهل الابتداع والاختراع وتهذيب النفوس وتعليم الجهلة وصناعة الضروريات . منهم الطبيب والكيماوى والمهندس والفلكي والميخانيكى والنباتى والمعدنى والحيوانى والبحرى والبرى من رجال الحرب والجغرافى وغيره وكل واحد منهم منكب على عمله مجتهد فى تقدم فنه بشرح غوامضه وتبيين فوائده ونشر فرائده فهم فى سباق دائم ولا وجهة لهم إلا وقاية ممالكهم واعلاء شأنها وتقدم معارفها وصنائعها وتعظيم ثروتها وتعضيد قوتها. يختلفون فى المواضيع العلمية فيما بينهم ويتفقون فى المجامع

السياسية وخدمة الأمة خدمة جد وإخلاص لاتقعد هممهم عن جوب الأقطار البعيدة ومفارقة الأهل والأوطان لفائدة يفيدونها ممالكهم وشاردة يضمونها لعلومهم ومجد يكتسبونه بين أممهم وذكر خالد يحفظ لهم التاريخ فهم السلم الذى ترقى عليه الأمم إلى درجات الكمال والمعراج الذى تصعد عليه الملوك إلى سماء الأبهة والجلال والعضد الذى تقوى به الممالك على الدفاع والوقاية من عوارض الضعف والتلاشى ولاحديث لهم إلا فى فنونهم كلما قعد أحدهم فى مجلس ذكر فضل علمه وفوائده وعدد الحوادث والوقائع والمشاهدات التى نشأت به وطرأت عليه وشوق السامعين إلى الاشتغال به والتمويل عليه ليثير هم المتقاعدين عن المعارف وينبه الغافلين عن أسباب الفضائل ومظاهر المجد وناهيك بطبقة بلغ عدد المعلمين منها فى أمريكا نحو ثلثمائة ألف معلم يتعلم طبيب٢١٤منهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠ من التلامذة وقد نبغ على أيديهم نحو ١٣٠٠٠٠ و١٦٠٠٠ مؤلف و٥٠٠٠ محرر للجرائد ومن لانحصيهم من ذوى الفضل فى الفنون الكثيرة المتداولة فيما بينهم .

***

(طبقة الكتاب والمنشئين)

هذه طبقة السلطة على العقول والسطوة على الأعمال منها رجال المحابر وخطباء المنابر وحفاظ الأموال ومؤرخو الأحوال والقابضون على أزمة الأفكار بيد الجرائد السياسية والعلمية والدينية يقضون أيامهم فى نشر فضيلة واعدام رذيلة يغمدون السيوف المجردة بعباراتهم السلسة ويجردون المغمدة بجملهم الحماسية ويطفئون الفتن الثائرة بكلماتهم السحرية ويستميلون الملوك إليهم أو إلى الأمم برقائقهم المدحية والإصلاحية يجمعون الدنيا أمام القارىء فى

صحيفة يتناولها بإصبعين فهم أساتذة الخواص والعوام وأئمة الوزراء والعقلاء والرعية. والخلق أمانة عندهم يتصرفون فى أفكارهم بإنشائهم البديع تصرف المعلم فى فكر الطفل الفارغ من العلوم. وقد اجتهد كل فريق منهم فى حفظ وحدة قومه والحث على رعاية ملكه ووقاية مملكته والإرشاد إلى طرق التقدم والتحذير من التقاعد والتهاون والتقهقر. وما زالت درجتهم تعلو ومحبتهم فى قلوب الأمم تنمو حتى شغلوا العالم برقم بنانهم ومبتكرات أفكارهم فلا يصبح الرجل إلا سائلا عن الجرائد وما فيها ولايمسى إلا قارئا للأخبار السياسية والتجارية والفوائد العلمية حتى أن الرجل فى أوروبا ليسوق العربية والجريدة بيده فمتى وقف فى نقطة فتحها وقرأ منها فصلا والصانع إذا اشترى الجريدة ترك ما بيده حتى يفرغ منها قراءة وزادت عنايتهم بالجرائد حتى وضعوا منها نسخا فى المراحيض يقرؤها قاضى الحاجة فلا يضيع عليه وقت بل ترقوا إلى أن طبعوا الجرائد على قطع من القماش تصنع فرشا وسترا فيجلس المرء على فرش كله حوادث تاريخية ووقائع سياسية وينظر فى ستارة نقشها علوم لارسوم. وقد كثرت رغبتهم فى الجرائد حتى بلغت عددا عظيما فيوجد فى فرنسا وحدها ٣٧٣٠ جريدة ما بين سياسية وعلمية ودينية وتجارية منها فى مدينة باريس ١٥٦٠ جريدة والباقى فى ولايتها واذا علم الشرقى أن جريدة النيويورك هرالد تربح من أجرة الاعلانات كل يوم خمسة وثلاثين ألف فرنك علم قدر المحررين هناك وفضيلة القراء الذين عرفوا حقوق المنشئين فساعدوهم واستفادوا وأفادوا ، وكذلك إذا علم الشرقى أن محررى الجرائد ترتقع بهم الدرجة هناك إلى انتظامهم فى سلك الوزراء علم مقدار ما ينتج من العلم والإشتغال بالمنفعة. وهذه النتائج لم يحصلها المنشئون بالغش والخديعة والسير بالأمة فى طريق توصلهم إلى الغير ولابشقشقة الالفاظ التى لا طائل تحتها ولا بتصويب عمل المخطئين وتخطىء المصيبين وتقبيح الحسن وتحسين

القبيح ولايجعل الجرائد أسواطا للغير يضرب بها أهل البلاد ليسوقهم فى مرضاته بلسان من هو منهم صورة وإنما حصلوا هذه الرتب الرفيعة بخدمة أوطانهم وممالكهم وتبيين طرق الإصلاح وحفظ مراكز الرجال الظاهرين من أمرائهم وأعيانهم بتعريف الأمة قدر أعمالهم وثمرة أتعابهم واشتغالهم بنصح الأمة وإرشادها إلى الصراط المستقيم وسهرهم الليالى فى مطالعة جرائد الغير لنقل فائدة أو الوقوف على خديعة يحذر قومه منها ويبين طريق البعد عنها وإخلاصهم في هذه الخدمة حتى لو كانت جريدة لسان وزير أو حزب فإنها إنما تحسن مبادئه وأعماله ووجهتها هى وجهة غيرها من جهة خدمة الوطن وأهله فالوسائل مختلفة والمقصد واحد وهذا الذى أكد للأمة ثقتهم بالمحررين حتى أخذوا كل ما قدموه لهم بيد القبول واحلوه محل الاخلاص فلا غرو إن قلنا أن الأمم الأورباوية أجسام والمنشئون أرواحها .

(شذرة من رواية الوطن وهى رواية تشخيصية الغرض منها الحث على التعاون) (لانشاء المدارس العلمية والصناعية)

ابو دعموم : ايه امال عوار يتلف عينك له امال احنا حميريم

ابو الزلفى : خابط يتول دماغك معبوط وا - مالك كده من غير شر

ابو دعموم : دا مين ابو الزلفى سلما..

ابو الزلفى : طيب...

ابو دعموم : كانت فين دي الغيبه

ابو الزلفى : فى جهنم الحمره

ابو دعموم : ليه من غير شر ما انت بخير

ابو الزلفى : ما بار علينا ما بخير ولا

ابو دعموم : ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه

ابو الزلفى : يبقى ما انت شايف الطوافه نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينا بالصرم وحاكم الخط مشرمطنا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حديد ولا ايه

ابو دعموم : يادم يلهفك ياخى يبقى ماترميش للكلب منهم بريزيه وتخلص.

ابو الزلفى : عــــواز يحـول عـينك هى كـام بريزيه داللى بيطلبوه الصبح مابيطلبهشى المغرب

الوطن : أين أهلى أين أولادى أين رجالى أصبحت حائراً فى أمرى لا أدرى ما يفعل بى من يرانى هكذا ويقول هذه مصرالمعشوقة لكل انسان

أبودعموم: أى غور ياخى يعشقوك على إيه

ابو الزلفى: حرام عليك ياشيخ ماتشتموش دا غلبه

ابودعموم: بقى لما تبقى اهله دايره تقطع فى بعضها والكبير ينهب الصغير والغنى يقتل الفقير اللى راح يعشقه مين كده

الـوطـن: اذا لم تصلحوا أنفسكم من يصلحكم واذا لم تحفظونى من يحفظكم

أبودعموم: بقى مقصودك يعنى اننا نجتمع ونبقى عصا واحده

الوطن: نعم فإنكم لا تنجحون إلا بالاتحاد

ابودعموم: طيب ادينى واحد من الناس هات لى واحد قلبه على قلبى لس

الوطن: عجيبه بقى كل اهلى مختلفين

ابو ازلفى: اهلك ايه ياغاير له الولد بيحب ابوه

الوطن: كل هذا سببه الجهل

أبو دعموم: جينه الت والعجن بقه مادى فقى البلد كل نهار جمعه يقول ياعباد الله اتقوا الله ولا حد بيتقى ولابيزروط

أبو الزلفى: أى هو الفقى بيقى يخطب وشيخ البلد مدور العده

أبودعموم: دا نهار ما يقول الفقى بم لما يقطع قلبه

الوطن: بلغ من الجهالة أن تضرب العلماء فى بلادى

أبو دعموم: ايه له يعنى العالم لما زايد مش فلاح زينه وله طين ادنه

الوطن: اهانة العلماء أول دليل على خراب البلاد فوا أسفاه

أبو الزلفى : آه ما يسلط عليك واحد ناظر قسم ويبدلك قولة العلماء والجهال

الوطن : لهذه الدرجة صارت سطوة ناظر القسم

أبو دعموم : ناظر القسم ايه يا أهبل دا جرجريوس الصريف بيضرب ويشمخ اسكت اسكت

الوطن : ارجع لقولى واقول كل هذا سببه الجهل

أبو دعموم : ربنا يرزقنا بواحد قواس يرطن عليك بالتركى ويرفصك فى كرشك وهو يطلع العلم والجهل من عينيك الاتنين

أبو الزلفى : لا وان قال بم يخبطه بطبنجه يطلع روحه

الوطن : بقى يقدر يضرب بالنار

أبو دعموم : نار ايه يا هايف دا قتل الراجل عنده اهون من قتل الفرخه

الوطن : عار عليكم تتركوا أنفسكم حتى تصيروا لهذه الدرجة لم لم تشتكوا للحكومة

أبو دعموم : حكومة ايه ياوطا ودا اللى بتبعتوا لنا من المخسيف المأمير بتبعته له بيعه جزارى

الوطن : اذا اتفقتم على كلمة واحدة ورفعتم أمركم إلى الرئيس الأكبر فإنه لا شك يريحكم من هؤلاء الظلمة

أبو الزلفى : اللى أنا يوم يقولولى كلم شيخ البلد افوت عيالى وهج ويبقى اللى راح يلقى له قلب يصف رجليه قدام الحاكم مين

الوطن : اياك يؤثر فيكم هذه الحالة وتعلموا أولادكم

أبو دعموم : نعلمهم فين ياخى

الوطن : تعلموهم فى الكتاتيب

أبو دعموم : لهم عمى يا اجور العين ان شا الله ما يروح الكتاب الا انت

الوطن : ما دمت تأنفون من العلوم تعيشون اذلاء وتموتون اذلاء

أبو دعموم : قل للى قاعدين فى البنادر قبله اهم دول عندهم معلمين وكتاتيب يامه

الوطن : لابد أن تتفقوا جميعا على وحدة التعليم

أبو دعموم : ادى جماعه بندرويه جيين اهم اتكلم وياهم وشوف يقولوا لك ايه واحنا لنا فوته عليك مرة ثانية ونشوف ايه اللى يجره

الحاج حسين : دا بقا حال ظفت احنا رايحين نلاّها منين ولا منين

أبو دعموم : خبر ايه يا اخينه

أبو العلا : بأمنتش عارف خبر ايه دا بأ منطش فى الدنيه

أبو دعموم : ليه انا يعنى معاشركم فى بلادكم وأنا عارف عندكم ايه

أبو العلا : بأ مجاش عليكم حاجه من الفرده والا الشخصية والاحب الوطن والا الطلنبه والا الغفر والا النضافة والا نزح الكنفان والا الدواهى الحاره اللى بنشوفهه دى

أبو دعموم : الله يرحم أبوك له عندكم شى من اللى عندنا خد على صابعك خد اد حنا متحرحرين ياخى فى المال والمقابلة والسدس ومصاريف الرى والسهوم والمصلح والشخصية وعوايد البهايم والوطنية والاغنام والنخيل والدخوليه.

أبو الزلفى : لا وفاتك يا اخى عادت الحكيم والمهندس والمزين والمشدات والطوافه وقواسه المدير وخدمينه وسنوية ناظر القسم وخدمينه والعونة والصخرة وطلوع البهايم للشفلك والبنات للقطن والولاد لتنقية الرز والبهايم للشيل والحطب للوابورات وعليقة خيل القواسة وتبنهم

أبو دعموم : لا ولا تنساش شيخ البلد واخد البهايم فى غيطه والنسوان فى دواره والأولاد تجرى وراه ويروح يداين من الخواجات ويجى يقول هاتوا يافلاحين وأولاده دايره ترقع فى أصداغنا وخدامينه بتلطش فينا ونسوانه بتسفخ لنسواننا

أبو الزلفى : لا وخد عندك نبقى الانسان طالع من المصله والمشد ينادى يوم يقول المدير عاوز ميت فرخه ويوم يقول غربلوله اردبين غله ويوم يقول عاوز بهيمه حلابه ويوم يقول عاوز بلاصين سمن ودا كله يلمه شيخ البلد وشوف بقى يا يوديه يما يوديه

أبو دعموم : لا ونسيت يا خى نزلة المساحة علينا كل ساعه والتانى يقول انتم عندكم زياده والبحر خلف لكمْ جزيره ويمسك قصبته ويدور يتنطط فى الغيطان ولا ينكشح عنا إلا لما ياخد له سبعين ثمانين ريال

أبو الزلفى : لا وفتنا الداهيه التقيله اللى هو الصريف لما يفضل يديله الواحد يوم اثنين جنيه ويوم عشره ريال ويوم ثلاثين بريزه ويوم عشر خريات ويوم ميت قرش ويجى آخر السنة يقول له وصلنى منك سبعين قرش وفاضل عليك عشره جنيه ونتكلم الواحد منا ما

شكمه شيخ البلد ويقول له بقى عقلك والا حساب القلم

أبو دعموم : لا وفات يا خى زمى الكتاكيت على الدور وفلوس الصفصاف وليف الوسيه ومقطيفه وحباله وخشبه وشى مظروط

أبو الزلفى : وفاتك ياخى ضرب الطوب للشفلك وتبن الخلط وحطب الحريق واجرة النفر السهران وعشا البياته واجرة الغفير واجرة الحمير للشيل ونفر العملية واجرة البنا واجرة النجار وطلوع الحجر من المراكب ودق الحمره

أبو دعموم : وفاتك ياخى لما واحد يهج ويرمي طينه على البلد والا واحد يخرب ويوزع دينه على البد والاعانة ونفر القسم وعشا الغفرا فى البحر

أبو الزلفى : وفاتك ياخى الطين اللى ياكله البحر واللى تاخده السكة الحديد واللى يروح فى الجسور

أبو العلا : هوه ايه ياجضعان ولما الهم التقيل ضا عليكم ما تؤاحنا عبيد والسلام ضا شيء يقصف العمر

الوطن : اواه من هذه النيران كل هذا احدثه الجهل حتى صيركم كالبهائم تساقون بالعصا

الحاج حسين : السلام عليكم

أبو العلا : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته مرحب بالحاج حسين

الحاج حسين : يامرحب بالمعلم أبو العلا

أبو دعموم : فوت بنا احنا يا أبو الزلفى منهم لبعض يعرفو شغلهم

أبو العلا : مرحب بالحاج حسين منين وعلى فين ياوليد

الحاج حسين : من ال.. قل وياى يامعلم أبو العلا اللهم صلى على سيدنا النبى من المحجر لعمى اللياتى يا وليد

أبو العلا : حقه يا جدع جدت له دمعة حشيش من الاضابة لكن صبوه يا وليد

الحاج حسين : وانا كمان شديت من عنده تعميره امبارح لكن كانت طؤا

أبو العلا : والكرسى عنده بكام يامجدع برضه بالارش اياه

الحاج حسين : برضه بالارش انما حاجه صنعه ودا إيه راخر يا معلم ابو العلا

أبو العلا : بسم الله الرحمن الرحيم دا باين عليه عفريت ياجدع

الحاج حسين : لا ياجدع دا باين واحد مقطوع من بتوع التكيه

أبو العلا : ميل بنا والنبى نشوف الداهية دى ايه انت ياعم بدتسور اسم الكريم ايه

الوطن : انا يابنى محل نشأتك واسمى الوطن

أبو العلا : ومالك كده مبهدل وحالتك عبره

الوطن : بهدلتنى اهلى ياولدى

أبو العلا : وفين اهلك دول اللى بتؤل عليهم

الوطن : ذهبت بهم الايام والليالى

أبو العلا : طيب وقاعد بتعيط ليه بقى وتبكى على ايه

الوطن : أبكى وانواح على من ورثنى بعدهم فانهم اموات فى صورة أحياء

أبو العلا : ومين دول اللى ورثوك يا خى

الوطن : أنت وامثالك

أبو العلا : يا حاج حسين

الحاج حسين : يا نعم

أبو اللعلا : ياخويه دا قال بيعيط علينا المشؤم

الحاج حسين : يمكن ولى يامعلم أبو العلا ومكاشف على موتته

أبو العلا : يا خى لا لا دا قال احنا اهله وبيعيط علينا النطع

الحاج حسين : والله ياخويه بلا وطن بلا وحل احنا بتوع وطن ياعم

الحاج حسين : أقول لك اللى ماله الله له فوت بنا

أبو العلا : يا الله ياسيدنا قبل ما تخلص الصهبه

السيد على : غالبا ما ينجح ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : ما اظن يا سيد

الحاج حسين : اقف بنا يا معلم ابو العلا لما اشوف الجماعه دول يعملوا ايه

أبو العلا : طيب ياخويه ادين وقفت

السيد علَى : تفضل بنا هنا يا سيد ابراهيم

السيد ابراهيم : ايو نقعد نقطع الوقت هنا شويه

الحاج حسين : فوت بنا ياسيدنا دول جماعه آل رايحين يقطعوا الوقت هأ هأ

السيد على : اسعد الله لياليك يا سيد ابراهيم

السيد ابراهيم : اسعد الله ياسيد على

السيد على : حقا كانت العبارة أمس على رأي المثل ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم: ازاى ياسيد دى كانت ليله

السيد على : الله يرحم والدك دا كان داهيه كبيره

السيد ابراهيم: تعيش ياسيد والله كان يحبك وشفته كلام تغزل فيك

السيد على : معذور يا سيد فإنى كنت جميل قوى وكنت اعمل عليه حبتين دلال وسبب حجزى فى الحريم ميله إلىّ

السيد ابراهيم: واقمت فى الحريم كتير يا سيد

السيد على: النهار لما بكر والجماعة بسلامته صالح

السيد ابراهيم: ما شاء الله يعنى وقايه كبيره ياسيد والله اهل زمان كانوا ناس ياسيد على

السيد على : سيادتك مش معزوم فى فرح السيد سرور

السيد ابراهيم: يا خى دا صاحبى هوا ده يلزمنى منه عزومه انا اروح كده فانه من اخوانا

السيد على : بغلتك ما جتشى نركب بقا

السيد ابراهيم: يخى على ايه نمشى ندندف كده لحد هناك دى مسافه قريبه

السيد على : قريبه ازاى يا سيد بينا وبين الفرح نحو حاره ومين فيه همه لحد هناك ياسيد ابراهيم.

السيد ابراهيم: انا والله يا سيد وحيات جدك قعدوا يكبسونى أربع ساعات لما درت وتحركت

السيد على : انا انبارح سهرت نحو الساعه ٢ صبح دماغى مقلوب عدوك

السيد ابراهيم : اثنين اثنين انا بقى لي اربعين سنه اصلى العشا وأنام ومع ذلك تعبان

السيد على : فيه حاجه قال اسمها الكبسون

السيد ابراهيم : يخى داى اسمها الكمسون من بلادى النصارى

السيد على : ماتفرجتش عليها ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم : امى فى الازبكية ولها لولب بتدور عليه

السيد على : دول بيقولوا انها بنى ادم ياسيد

السيد ابراهيم : اى لأه انت تصدق كلام زى ده

السيد على : طيب وبتحكم على الناس ازاى

السيد ابراهيم : ولا تبحكم ولا بتلكلك بقى انت ياسيد نسيت العساكر اللى طلعوا زمان اهو زى ما قالوا دول يتكلموا قالوا دول بيحكمو

السيد على : بقى ياسيد حضرتكم متعرفش حقيقة الكمسون دا يطلع زى مجلس يشوف الدعاوى ويقطع فيها حكم بين الناس

السيد ابراهيم : لا وحياتك يا سيد دى عبارة ملفأ والسلام

السيد على : نقول لك احنا مالنا و مال الكلام ده احنا نشوف حالنا والسلام

السيد ابراهيم : ايوه كده احنا مالنا ومال خوتة الدماغ احنا غلبنا النصاره اللى كا ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه كإن الدنيا ملكهم

الوطن : اين رجال الفتوه اين رجال النجده

السيد ابراهيم : جاك داهيه فى لتك وعجنك

السيد على : ودى ايه كمان ياسيد ابراهيم

السيد ابراهيم: دا ياسيدى راجل كل ساعة يلت ويعجن فى الكلام الفارغ

السيد على : بقى حضرتك تعرفه من زمان

السيد ابراهيم: اعرفه جاته داهيه

السيد على : واسمه ايه ياسيد

السيد ابراهيم: بيجولوا عليه اسمه الوطا والا هو الوطن

السيد على : وايه قضيته ياسيد

السيد ابراهيم : قضيته انه تملى يقول اهلى أولادى على ويدور الاقدمين

السيد على : واحنا مالنا ومال الاقدمين احنا فى ايه والا فى إيه

السيد ابراهيم : بالله متكدرش ذهنك فيه احسن كلامه زى الحبل الصوف كل ماتشده يتمط

السيد على : لكن النوق ياسيد إننا نسأله عن حاله

السيد ابراهيم : استحسانك ياسيد على

السيد على : اسعدتم ياسيد

الوطن : اسعد الله لياليكم اين انتم ايها السادات

السيد على : نحن نتذاكر فى حالك كيف اصبحت

الوطن : اصبحت فى حالة بؤس وانتم مشتغلون عنى بالملاهى ولا همة لكم

أبو رجب : هو دا الوطن اللى بيجولوا عليه

الحاجة رزيجه : اهو هو المياس ده

أبو رجب : انت هو ياخواجه

الوطن : نعم ياسيدى

أبو رجب : مالك مجعبب كده

الوطن : انا المسكين الغلبان اللى تركوه أهله

أبو رجب : اهلك دول مين وراحوا فين

الوطن : أنتم أهلى وتركتمونى ذهبتم إلى الجهل واتباع الهوى

أبو رجب : وعايز ايه دى لوكت

الوطن : عاوز تتعلموا الإنسانية وتكيدوا اعاديكم

أبو رجب : اعادينا دول فين بس جول لى وانا نكطع زندى ان ما كنتش نطلع عينهم

الوطن : لا ياوليد القوة والعفية مع الجهل لاتفيد شىء لابد من العلم

أبو رجب : والعلم فين أنا نجيبوك حالا

الوطن : العلم فى صدور الرجال وبطون الكتب ويؤخذ بالتعلم فى المدارس

أبو رجب : ياحاج رزيجه

الحاج رزيجه : مالك ياو لا

أبو رجب : بيجول ماش عاوز حاجه غير العلوم

الحاج رزيجه : ايه دانا معاى علمين من واحد جبانى

أبو رجب : لما نوريهم له

الحاج رزيجه : خد اهم

أبو رجب : شوف العلوم اللى انت عاوزهم زى دول

الوطن : وابلوتاه واحسرتاه ضاعت الانسانية وصارت الناس بهائم العلم عبارة عن المعارف والصنايع لا ورق القبانى

أبو رجب : احنا ناس شغاله ياعم ونجيب المعارف منين ما تجول للى عندهم فلوس وبايتين يركوا عليهم زى الفراخ

الوطن : ياولدى المعارف فى المدارس والورش واذا كنتم تبتدوا يتبعوكم الأغنيا فإنهم عمى عن طريق التقدم إلا بمرشد والفقراء هم أصل كل شىء

أبو رجب : تعا ياحاج رزيجه نلم عشر فليكيه نشاورهم

الحاج رزيجه : والفلايكيه حيلتهم ايه

أبو رجب : اهو على جد زيتك خايل له ويمكن نكون احنا السبب

الحاج رزيجه : يودونا فى داهيه ويجولوا عاملين عصبه

أبو رجب : لا ياشيخ هو العلم حد يكرهه انت منتش شايف الحكومه بتكتر فى المدارس لاجل تعلم الناس ويعملوا زيها ويساعدوها

الحاج رزيجه : يا بو رجب دا شي عاوز فلوس واحنا مالنا وماله

أبو رجب : بلاش شرب دخان ونحيي الراجل ده من العدم

الحاج رزيجه : مايروح لغيرنا هو بس احنا اولاده

أبو رجب : والله ياخويه انا توكلت على الله ورايح اطاوعه والسلام

الحاج رزيجه : والله ياخويه الفنجره فى الطنجزه مش فى العلوم

أبو رجب : انت ياجدع ياوطنى عاوز ايه أنا خدامك شوف هو ايه اللى يريحك وانا اسعى فيه وربنا يعين

الوطن : لم لك جماعة واجمعوا من كل واحد كام قرش وافتحوا محل ربوا فيه أولادكم لئلا يطلعوا بهايم مثلكم

أبو رجب : تعا ياحاج رزيجه هات فرنك

الزحاج رزيجه : هو أنا مجنون زيك الفرنك اجيب به نص وجة لحمه

أبو رجب : اولادنا يطلعوا بهايم

الحاج رزيجه : ليه هو الولد مش رايح ينفع فى صنعة أبوه

أبو رجب : يمكن مايفلحش

الحاج رزيجه : يبقى يروح يميس على البحر ويطير له حاجة من الخواجات

أبو رجب : وان مسكته الظبطيه ياوليد

الحاج رزيجه: ييجى يروح فى داهيه ويريحنا منه ومن أكله

أبو رجب : ابنك ياشيخ تدعى عليه

الحاج رزيجه : انا ابنى ياعم زندي والجرش

أبو رجب : اجول لك عمر الحمار ما ينفع انا اشوف جماعة غيرك

الحاجة رزيجه : ان حد طاوعك ابج شخ على جبرى

أبو رجب : بكره تشوف الرحاله [illegible]جى تتندم

الحاج رزيجه : [illegible]ى روح اهو بس مجنون اللى يطاوعك

أبو رجب : انت ياجدع ياوطني ما تفتكرش والله لخليك حظ

الوطن : الله يجمعك على أهل المرؤة والإحسان ويحفظك من الفجر الأندال

أبو رجب : أنا رايح اجتهد واللى فى الغيب عجب

الوطن : الله يقويك بس ابعد عن أهل التعصب والأفساد فإنهم يقلبون الخير شرا ويخلوا الناس يسؤو الظن باجتماعكم

أبو رجب : أهل الفساد دول مين أنا ما اروح إلا للراجل اللى يحب يسعى فى تربية الأيتام والأرامل لوجه الله

الوطن : ما دمت على هذا القصد فإن سعيك يكون محبوبا عند كل الناس أهم جماعة افنديا جايين لما نشوف أفكارهم فى ايه .

عزت افندى : نهارك سعيد يا جدع ياسكندرانى

أبو رجب : نهارك سعيد يابلديي جاي منين يا اخي

عزت : من الديوان ماشفتش مظهر افندى

أبو رجب : اهو جاى من بعيد اهو

عزت : بنجور يامسيو مظهر

مظهر : بونجور عليك يامنشير عزت

عزت : دورت عليك فى بيرة فنك وتريسته وكل البير كنت فين حضرة جنابك

مظهر : كنت فى الجنينه لكن كانت ليله حظ يامن امى

عزت : كنت انت ومين يا اخى

مظهر : وياعزت افندى وابراهيم بيه وحسن بيه والسيد مصطفى والحاج على

والمعلم موسى

أبو رجب : والله ما دامت العصبة دى كلها سكريه قليل ان لجيت واحد يسعى وياى فى طريق المعارف الله يعوضنا خير فى الناس

مظهر : دا بيقول ايه الراجل ده

عزت : سيبه ده مصطول وايه كانت نكتتكم فى التسالى

مظهر : كان الشرب مستكه خالص والسجاير حشيش صرف وهنك ورنك زى ما انت عارف لحد الشمس

عزت : والمصاريف كانت على مين يا من امى

مظهر : على اخوك ياوليد لوحده

عزت : وكتير ياسيدى

مظهر : خمس طاشر جنيه ورهنت الساعه عند اسمها إيه على خمسه جنيه واسه بقيالها

عزت : شكو زى ويولع السجاره

مظهر : بردون ياخويه

عزت : وانا كمان كنت فى دعكه عظيمه فى البيره مع الجماعه اياهم

مظهر : الليله دى رايح اعمل حتة حظ وستين سنه الوحد يشوف له يومين والسلام

الوطن : ان تمادى الناس وخصوصا مثل هؤلاء على هذا الحال فقل على الوطنية والوطن يارحمن

عزت : سكر دى كشون ودهده ده

مظهر : دا يا سيدى اللى اسمه الوطن

عزت : وماله صبح فى حاله زى الزفت

مظهر : واحنا مالنا دا شيء يكدر باله ما تشغلش بالك به

عزت : اصبر لما نساله احسن له اصل

مظهر : طيب ياخويه دى الوقت ما تسمع منه الا التزيل والكلام الفارغ

عزت : بونوسوار يامسيو الوطن

الوطن : انا عربى محض واعرف اللغات على قواعدها وأراك تتكلم بالفرنساوى على غير انتظام

عزت : كسك سكساه على غير انتظام امواه متعلم فى اكس

الوطن : وماذا تعلمت هناك

عزت : تعلمت شيئا كثير ويمكن اقول لك كل العلوم

الوطن : وما الذى صنعت هناك بعلومك

عزت : انا رايس ترجمان فى القنصلاته

الوطن : اواه على ضياع أهلى حتى الذى يعرف منهم كلمتين تنتفع به الأجانب

عزت : مسيو الوطن انت بدك اموت من الجوع وكم الف غيرى يعرفوا السن ودايرين صايعين من الجوع

الوطن : كل هذا من جهلكم لو كنتم تعرفوا المعارف والصنائع كانت الحكومة فتحت لكم الورش والمعامل وغمرتمونى بثمرات اتعابكم

عزت : احنا كلنا نكره بعضنا وان شفنا واحد من أهل المعارف نضحك عليه المقصود من المعارف ايه مش الإنسان يتحصل على المعاش والاشياء اللازمة للنكتة

الوطن : انا شايف أهل المعارف عندكم قليلون والبعض فى زوايا الاهمال والله ما سبب نكبتى إلا أهل النكته

عـزت : بقى اشكو زى انت بتخرف دى النكتة هى المقصوده وهى ثمرة الإنسانية فى بلادنا.

الوطن : ولما كنت فى اكس كانت أهل النكته والأهالى كذلك

عزت : دول يا مسيو طول النهار يقروا فى الجرانيل ويسالون عن الأحوال وما فيه صالح بلادهم وزيادة سطوة حكومتهم وتعزيزها

الوطن : ولم لم تفعلوا فعلهم هنا وانتم إنسان منهم

عزت : هناك الاغنيا كلهم فى جمعيات اللى فى صنائع واللى فى معررف واللى فى تجاره فبالضرورة تزداد سطوتهم وسطوة ملوكهم.

الوطن : وما المانع من كون الجمعيات تكون هنا مثل هناك

عـزت : هنا الاغنيا مقتصرين على استخدام الفقراء والهدوم النظيفة والماكل والمشارب واذا اجتمعوا يفتخروا بالطباخين والجوار والخدامين والبيوت وهلم جرا من الهذيانات الفارغة .

الوطن : وانت لما علمت أحوال أوروبا لم لم تخطب قومك بما يرشدهم للإصلاح

عزت : شوف انت الحكومة لها زمن تهذب فى اخلاقهم وتعلمهم العلوم بحيث تاخذهم من بلادهم فى الحديد فاي كلام يؤثر فيمن يتعلم فى

السلاسل ومع ذلك فإن الخطيب الشرقى غلب كلام والناس جاعلين خطابته تسالى زى قصة عنتر وأبو زيد

الوطن : وانت تعرف مقام الخطابة فما الذى يمنعك عن سماعها

عزت : صحيح فى دى لك حق ولكن انشاء الله من الآن فصاعد احضر

الوطن : حفظك الله وثبت عزائمك يا انسان

عزت : بونسوار مسيو مظهر

مظهر : بونسوار مسيو عزت

عزت : اما اقولك على مسئله

مظهر : تفضل بامنشير

عزت : ما تجيش بنا نروح نسمع الخطابة وندخل الجمعيه

مظهر : لا لا يامسيو الخطيب كل ليلة يقول أمثال ونكت لعنه

عزت : ما هو معذور يا اخى الراجل رايح يموت نفسه عشان جهل أهل الوطن وتوحش طباعهم

مظهر : واحنا رايحين نعمل ايه إن كان عاوز له كام نص نلمهم له

عزت : انا اعرف حق المعرفة انه لايريد إلا تقدم المعارف

مظهر : وماذا تنفع المعارف اقله تحوشنا عن البيره وده شىء موت

عزت : يعنى ياسيدى اذا طاوعناه واجتهدنا فى إزالة الأوساخ عن الوطن يجرى ايه

مظهر : يروح لأصحاب الفلوس ياسيدى

عزت : أصحاب الفلوس بخله ولجهلهم لايعرفوا قدر المعارف

مظهر : بالله تفضها وفوت بينا نشوف اخوانا اهم دى الوقت يكونوا زعلوا على تأخيرنا

عزت : يبقى بس رجالة حكومتنا اللى ربنا حطهم فى سهر وتعب ليل ونهار فى إصلاحنا واحنا دايرين زى البهايم لا احنا عارفين قدرهم ولا قدر أنفسنا

مظهر : دول تعبهم على شان وظايفهم يا مسيو

عزت : لو كان كذلك لكانوا يقتصرون على قعودهم فى الدواوين من غير شغل ولكن سهرهم فى أعمال القوانين وخلوصنا من الورطات دليل على أنهم لايريدون إلا الإصلاح والعمار

مظهر : اهم فى حالهم واحنا فى حالنا فوت بنا

عزت : اقول لك يامسيو انا عزمت على خدمة وطنى بروحى

مظهر : بكره نشوف لما ترجع تتندم على ليالى الحظ اللى تفوتك

عزت : لا والله ما اتندم على شيء بعد كونى رايح أخدم وطن يرق لحاله القلب القاسى

مظهر : بس منش شايف حد يساعدك على كده

عزت : متى أخذنا فى الأسباب تجتمع فيه أهله من كل فج ونفتخر بهم على الزمان المتقدم الذى أعدمهم

مظهر : أنا يامسيو على مذهب أهل بلادنا تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها

عزت : والله ياخويه احنا مأمورين بالسعي والاجتهاد فإن السماء لا تمطر ذهبا

ولا فضة ودى الوقت تشوف اخوانا لما يحضروا من سائر الجهات فقبل ما يسبقنى أحد لفعل الخير أنا خدامه اشهدوا يا اخوانا

عزت : رجعنا نتندم ونقول ليتنى كنت معكم

مظهر: انا يا اخى ما كنت اظن أن اخوانى الوطنيين تتحرك فيهم غيره

عزت : يامسيو الناس على دين ملوكهم والحكومة فتحت نحو خمسين مدرسة فمتى شاركتها الجمعيات فى هذا السعى زادت قوتها واتسعت تجارتها وانتشرت المعارف .

مظهر : وانتم عملتم إيه لما فتحتم المدرسة

عزت : ولا حاجه اجتمعنا كم نفس وكل واحد فرض على نفسه مبلغ جزئى وفتحنا مدرسة نربى فيها الأيتام ابتغاء مرضات الله

مظهر : والله انه عمل جميل لابد أن أكون معكم

عزت : واقول لك يامسيو اذا وافانا عصر التوفيق فلا نعود نتذكر الجهالة وما نحن عليه من الخشونة والهمجية

مظهر : يعنى الناس تعرف قيمة المعارف

عزت : ابشر يا أخى حتى العوام دى الوقت مالهم كلام إلا فى المعارف وما بقى نجار ولاحمار إلا وارسل ابنه المدارس

مظهر : دا تقدم كبير لابد وأن يموت الجهل موتة لاينشر بعدها

عزت : انظر ادى اثنين حشاشين جايين شوف كلامهم فى ايه

الحاج حسين : أما والله عجيبه بس احنا اللى باتنا بهايم

أبو العلا : خبر إيه ياحاج حسين ما أنت بخير

الحاج حسين : يا معلم أبو العله بشوف الطفل الصغير ماسك كتاب والكبير ماسك كتاب والبعض منا ماشي تايه محناش في الدنيا والا ايه الناس كلها انتبهت واحنا في غفلة

أبو العلا : بس كضه يبقى منتش عارف ان الدنيا اتأدمت إلا دى الوقت الزمان اتآب وبأت الناس بشأه

الحاج حسين : واحنا بآ ملناش إلا الغابة والهم الكبير

أبو العلا : الحأ على اهلنا اللي ربونا تربية ظفت

الحاج حسين : ودى الوقت ما بأش فينا رمأ

أبو العلا : ما بأش إلا نربي أولادنه وإلا يطلعوا حمير زينه

الحاج حسين : نربيهم فين وكلنا أجهل من بعض

أبو العلا : نربيهم في المضارس لأن الحاجات الصنعه كلها فيها

الحاج حسين : المدارس عليها فلوس كبيره ياخويه واحنا ماحيين مامعناش ولا باره

أبو العلا : ويعدين نعمل إيه في الأولاد نسيبهم بجهلهم زينه

الحاج حسين : انا افتكرت حاجه ياوليد وهي عين الصواب

أبو العلا أول ياخويه لما شوف

الحاج حسين : من حيث إننا في اسكندريه وفيها مضارس للجميعات فانا راجل بنه اشتغل في الجمعية بتلتين اجره واحط ابني يتعلم

بالبائى ويعطوه الكتب إحصان

أبو العلا : اذا كان كده انا آخذ شغل البياشه واحط ابنى ويا ابنك

الحاج حسين : بص الطريقه ايه فى دخولنا فى الجمعيه ياجدع

أبو العلا : ولا طريقه ولايحطنون احنا نروح لهم ونقول يا اخوانا احنا اولاد وطنكم وأنتم بتقبلوا الغريب قربوا لنا أولادنا وهم أحب ما عليهم

الحاج حسين : لكن ياجدع دول بياخدوا فلوس على اللى يدخل جديد

أبو العلا : الكلام ده ياخويه للوجوه المعتبره والمعتمدين أما الغلابه اللى زينه يقبلوهم شادلى من غير أجره

عزت أفندى : شايف العقول تنورت ازاى

مظهر : على هذا المنوال لايمضى زمن وجيز إلا والوطن كله معارف

عزت : لا ولسه ياماتشوف

مظهر : تعالى بنا فرجنى المدرسه

عزت : اصبر لما نشوف اللى جاى ده رايح يقول إيه

أبو الزلفى : على المدرسة منين ياجدعان

الحاج حسين : انهى مدرسة يا أخينا

عزت : برده بيسال على المدرسة تفضل بنا

أبو الزلفى : اللى فيها لمعلمين يم

الحاج حسين : انت تقرا فيها بعد ما شبت صدأ المصل بعد ما شاب وضوه الكتاب

أبو الزلفى : داموش أنا يا اهبل انا انجطع النفع منى دول الاولاد الصفار

الحاج حسين : واللى دلك على المدرسه مين

أبو الزلفى : شايف الصريف يتحكم فينه والكاتب بيتحكم فينه ودا كله بالجلا وأنا مبديش ابنى يتحكم فيه الصريف وياكل ماله

الحاج حسين : يامعلم أبو العله

أبو العلا : سامع ياحاج حسين

الحاج حسين : شايف الفلاح اللى عرف سر الألم

أبو العلا : ما الت لك يا لله بينا بزياده اللى فات هو كاتب العماره موش مورّينا الضىء بألمه

الحاج حسين : بآ ما اخدمش أنا وربى ابنى يطلع يترحم على

أبو العلا : الحأ بيدك ياشيخ يالله بينا يا لله

أبو دعموم : الله يا بو الزلفى

أبو الزلفى : مالك ياسخام الطين

أبو دعموم : اشمعنا لما جرجس اللى جد العينه يعرف يجرا واللوح ابنى لحد دى الوجت ما يعرف الألف ملمادنه

أبو الزلفى : من لمعلم لو كان زى الناس كان من أمته بجى جندى

أبو دعموم : لمعلم اجور صحيح لكن زى اللهلويه فى الجرايه

أو الزلفى : الجرايه مالها هو مادام أجور يعرف يفك الخط ازاى

أبو دعموم : ها من جبيل الخط ما يعرفشى ياشيخ

أبو الزلفى : وطيب بجا ايه اما المدارس يعلموا فيها المحووط الخط والكلاك النحوى وحساب الجصبه وشى مظروط

أبو دعموم : الله يا بو الزلفى اظن الباشا المدير يعرف دا كله

أبو الزلفى : جينا بجا للت والعجن دا يعرف الكفت

أبو دعموم : ومين علمه يكنشي مخاوى بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الزلفى : مخاوى وله إلا علموه فى المدارس من صغره

أبو دعموم : بجا امال ياخويه المدارس دى عليها رك

أبو الزلفى : الله يا دايم هو لولا المدارس كانت الدنيا عمرت

أبو دعموم : له جل رحمة اللى راحم وجلجل الطويه اللى تحت راسهم

أبو الزلفى : ليه الله يجير

أبو دعموم : طلعونا زى البهايم يعنى نقصناش إلا الرواسه

أبو الزلفى : يعنى كانشى مدارس في مدتهم ولا علموناش

أبو دعموم : وليه هم ما عملوش مدارس مادى ودى بالفلوس

أبو الزلفى : وكانوا يجيبو معلمين منين داهيه

أبو دعموم : من الداهيه اللى تخدنى أنا وياك بجا يا بو الزلفى رايح تفجر مرارتى

أبو الزلفى : إيه عوار يتلف عينك ما جلنا اللى فات فات

أبو دعموم : طيب ادين خرصت ورايحين نعمل إيه دى الوجت

أبو الزلفى : نخدو الأولاد نوديهم المدرسة ونتكل على الله

أبودعموم: خير يا شب ايدى ويدك واللى فيه الخير يجدموا ربنه

أبو الزلفى: انت منتش شايف اللى واخدين أولادهم ورايحين

أبودعموم: على الله على الله جال ايش فى خاطر لعمه جال جفة عيون

أبو الزلفى: وادى النبوت يا الله يارجال السلسله

أبودعموم: واللى ييجى يودى لهم الزواده مين

أبو الزلفى: زواده إيه دول رايحين مدرسة الميرى

أبودعموم: ويأكلوا منين

أبو الزلفى: من عند أفندينا ياراجل ربنا يطول عمره بيطعمهم ويكسيهم ويديهم فلوس ويربيهم فى عزه هو زيه حد يم

أبودعموم: والله طيب دا بجا ملك عادل ومحسن

أبو الزلفى: هو عادل وبس دا واحد ما جا حد زيه مطلج

أبودعموم: يا شيخ ربنه يطول عمره ويكمد عدوه

أبو الزلفى: امال له الحكومه لعبه دى مالها إلا كل بطل

أبودعموم: اجرن الناس كلها بتدعى له وفرحانين به

أبو الزلفى: كأموان كان هوه والا الكبرات اللى وياه كلهم أهل خير وطيبين ياشيخ

أبودعموم: والكبرات الا وياه رخرين

أبو الزلفى: ييجى منتش شايف اللى كل يوم والثانى يبطلوا من علينا اجلام

أبودعموم: آى من حج يا بو الزلفى والله أنت بتفضل حافض يا مشا الله

أبو الزلفى : يه شوف الناس اللى كانت فاتت بلادها رجعت

أبو دعموم : دول عرب ياخويه

أبو الزلفى : أيوه ما كانت الناس هجت عرب وفلاحين

أبو دعموم : اصبر لما نشوف جايين منين

بدر : أيها الوطن العزيز

أبو الزلفى : سير بنا وحياتك الوطن ليعمر ويبجى عجب

أبو دعموم : والله يعمره ويصلح حاله

أبو دعموم : الله يعمره ويصلح حاله

بدر : إنى أتيت إليك من صنعا بعد الشدة والبأسا قافلا اليك ياوطنى ومحل سكنى وقد أخذتنى هزة العرب وحركتنى حمية الطرب فقلت أبياتا أذم بها ذاك البلد وامتدح أهلى رجال القوة والجلد

الوطن : هات اسمع لايفضض الله فاك

بدر : لاحبذا انت صنعاء من بلد * ولا شعوب هوى منى ولا نقـــم

وان احـــب بـــلادا قد رأيت بهـــا * عنـــسا ولا بلدا حلت به قـــدم

اذا سقى الله أرضا صـــوب غادية * فلا سقاهن إلا النار تضطـرم

وحبذا حين تمســى الريـــح بـــاردة * فى جو مصر وفتيان به هضم

عامر : عم صباحا يابدر

بدر : أنعم الله عليك بجلائل النعم

عامر : فيم وقوفك على الأطلال

بدر : إن هذا وطنى لا أطلال

عامر : ما أرى إلا أثافى تذرو عليها الرياح

بدر : خانتك عيونك هذه بيوت وقصور

عامر : إن كانت هذه قصور فأين القبور

بدر : عهدى بها طويل ولست أدرى ما غيرها

عامر : وماذا كنت تنشد قبل وفودى عليك

بدر : كنت أنم صنعاء اليمن وامتدح هذه الآثار

عامر : هى حقيقة بالندب والرثا لا المدح والثنا

بدر : يبكى إهيء إهيء إهى ويقول

قد كنت اشعث فى المقادمة سادرا   فنظرت قصدى واستقام الأخدع

وفقدت اخوانــى الذين بعيشـــهم   قد كنت اعطى ما اشـــاء وأمنع

فلمـــن أقـــول اذا تلـــم ملمــــة   ارنى برأيك أم إلى مـــن أفــزع

وايـــــاتين عـــليـــــك يـــــــوم   مرة يبكى عليك مقنعا لاتسمــع

آه

عامر : إهيء إهيء إهيء الحر يستبكى فيبكى ذكرتنى الظعن وكنت ناسيا

انى ارقت فلم اغمـــض حـــارى   من سىء النباء الجليل السارى

من مثله تمسى النساء خواســرا   وتقوم معولة مـــع الأسحـــــار

أفبعد مهلك فتيــة فـــى مصـرها   ترجو النساء عواقب الاطهـــار

ما إن أرى فى قتلهم لذوى النهى إلا المطـــى تشـــد بالأكـــوار
ومجنبــات مـــا يذقـــن عـزوفا يقذفـــن بالمهـــرات والأمهـــار
ومساعرا صدىء الحديد عليهم فأنكما طـــلى الوجـــوه بقـــار
من كان مسرورا بمهلك حيـــه فليـــأت نسوتنـــا بوجـــه نهـار
يجد النساء حواســرا يندبنـــه يلطـــمن أوجههـــن بالأسحـــار
قد كن يخبان الوجوه تســـــترا فاليـــوم حـــين بـــرزن للنظـــار
يضربن حر وجوههن على فتـــى عف الشمـــائل طيـــب الأخبـــار

آه

بدر : وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا فلما انقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمـــى لم تلـــدنى وليتنـــى سبقتك إذ كنا إلى غايـــة نجـــرى
وكنت به اكنـــي فأصبـــحت كلمـــا كنيت به فاضت دموعى على نحرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العـــــدا فأصبحت لايخشون نابى ولا ظفرى

سلمى : أى عامر

عامر : لبيك ياسلمى

سلمى : اين ديارنا

عامر : ها هى التى أنت بها ياسلمى

سلمى : وارجالاه

مـــا للديـــار ربوعهـــا تتهـــدم والدهـــر يأتـــى بالدمـــار ويقـــدم
أين المنازل والقصـــور وأهلهـــا أين الجياد وقرنهـــا والضيغـــم

أين الذين اذا تبـــدى خصمـــهم | فى جيشه مستأسدا لم يهزمـــوا
أين الديـن غـزوا بقـوة جاشهـم | فعلوا على كـل الـورى وتحكمـوا
أين الأولى طردوا الجياد إلى العلا | فدنت إليهم من علاهـا الأنجـم
يا دهــر غيــرت المعالــم فاتئد | وارحم فتــاة بالهـا لا ينعـم

دعد : اين الديار

عامر : ها هى التى أنت بها يادعد

بدر : ما الذى غير منك المعالم وهد الشوامخ ودرس المآثر وصيرك مأوى الوحوش ومسرحا للذئاب فلا أسمع فيك إلا غرابا ينعق وثعلبا يضبح وذئبا يعوى.

دعد : اواه مما تتقيه الاســهم | خطب به نار الحشاشــة تضــرم
ياربع انسى والوجود فــداؤه | إنى أنادى هــل تجــيب وترحــم
أين المرابد والمرابـع والربـــى | أين الرجـال ومن بـه استعصـم
أين الذين إذا تأخـر جارهــم | عرفوا له حق الجــوار وقدمـــوا
اين الذيـن اذا تلـم ملـمـة | طاروا على رأس العـدو وحومـوا
شلت يمينك يازمـان فجعتنـى | بذهاب من يقرى الضيوف ويكــرم
يامى قومى ساعدينى فى البكا | ودعى اللئام فقد تولـى المحـــرم

مى : يا دعـد مزقـت اللثــام | وسلـلت مـن جفنـى المنــام
وضــرب وجـهـى بالتـــى | كـانــت تقبلهـا الكـــرام
من أصبـحت فـى حــالتـى | لا تتـقـى عـين الأنـــام

يا طالمـــا ســلت سيـــــو   ف اعزتـــى حـــول الخيـــام

يادعـــد من يحمـــى الحمـــا   والقـــوم مـــا فيهـــم همـــام

يادعـــد من نشكـــو لـــه   والجـــار قـــد خفـــر الزمـــام

ياعـــين جـــودى بالدمـــا   واسقـــى الربـــى بدل الغمـــام

يانـــار حـــزنى حـــرقـــى   قلبـــى وزيـــدى فى الضـــرام

يـــاحســـرتى يانكبتـــى   يـــا بلوتـــى ردنـــا الهيـــام

مـــات الأولى عـــرفوا العـــلا   فعلـــى منازلنـــا الســـلام

عامر : يابدر

بدر : لبيك ياعامر

عامر : إنى وأنا مرتحل مررت على كرام وفى وسطهم فتى يتذكر فى إصلاح الشئون بهمة وحمية وإراهم بالغين فى بلادك كل مبلغ من العمران فإن الذى فى وسطهم

فتى عزلت عنه الفواحش كلها   فلم تختلط منه بلحـــم ولادم

كان زرور القبطـــرية عـــلقت .   علائقها منه بجذع مقـــوم

عملس أسفار إذا استـقبلت له   سموم كحر النار لم يتأسم

اذا ما رموا أصحابه بجبينـــه   ترى الليلة الظلما لم تتهكم

فزحزح الهم ما استطعت ولا تبتئس على ما فات فاستفرح بما هو آت فقد سمع نداك مجيب وكل آت قريب

بدر : اظنك يا عامر صادقا فيما تقول فإنى أرى وافدا فى بزة الشعراء فلعله

من اتباع الأمير الذى أشرت إليه

عامر : أين هو

بدر ها هو مقبل يقصد حينا

الحطيئه: يا بدر

بدر لبيك يا واعظ العرب

الحطيئة : يا عماه العمران يحتاج إلى مكارم الأخلاق فخذ منى أبياتا فصيحة واعمل بها فإنها نصيحة

بدر : هات لايفضض الله فاك

الحيطئه : يابدر والأمثال يضربها لذى اللب الحكيم

دم للخليل بوده مـــا خـيـــر ود لايدوم

واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم

واعلم أن الضيف يوما سوف يحمد أو يلوم

والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم

واعلم بنى فـــإنه بالعلم ينتـــفع العليم

إن الأمور دقيقها مما يهيج له العظيم

والتين مثل الدين تقضاه وقد يلوى القديم

والبغى يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

ولقد يكون لك البعيد أخا ويقطعك الحميم

والمرء يكرم للغنا ويهان للعدم العديم

قد يقتر الحول التقى ويكثر الحمق الأثيم

يملى لذاك ويبتلى هذا فأيهما المضيم

والمرء يبخل فى الحقوق وللكلالة ما يسيم

ما بخل من هو للمنون وريبها غرض ولا نعيم

كل امرء ستئم منه العرس أو منها يئيم

ما علم ذى ولد ايثكله أم الولد اليتيم

والحرب صاحبها الصليب على تلاتها الغروم

من لا يمل ضراسها ولدى الحقيقة لا يخيم

واعلم بأن الحرب لايسطيعها المرح السؤم

والخيل أجودها المناهب عند كبتها لزوم

فلئن وعيت نصيحتى وعلمتها أنت النديم

بدر : لايفضض الله فاك وحفظك ووقاك

النابغة : ها ياعرب

العرب : لبيك يا نابغة

النابغة : مالى أراكم شعثا غبرا مدرجين فى أطمار بالية أما سمعتم بشمس البر والرفاهية التى أشرقت على أوطاننا وبدر السعود الذى طلع فى سماء بلادنا

بدر : من تعنى وإلى من تشير بهذه العبارة يانابغة

النابغة : أعنى منبت شعر العز في رؤسنا وباعث روح المعارف فى أجسامنا أميرنا الذى تحلى باسمه الوجود وعمنا بطالعه السعود ولقد سعدت بالوفود عليه والمثول بين يديه فرأيت ما لم أره وسمعت ما لم أسمعه فارتجلت قصيدة انشدتها بمسمع من جلالته فانعم وتفضل واحسن وتكرم وانصرفت من ساحته الفيحاء وقلبى معلق بحسن مقابلته ونفسى أشوق للثم أطراف أردانه من الظمآن إلى الماء الزلال فأصيحوا الآذان واسمعوا ما أنشدته بالحضرة العلية فبمدحه يحسن الإنشاد وباسمه يتحلى البديع

العرب : هات يانابغة الزمان وسباق حلبة الرهان فإنك شاعر العرب ومعدن الفصاحة والأدب

النابغة : إلى من إذا عز النصير نصير　　وأين إذا ضاق الفضاء نسير
نصول ونجرى والنفوس تقودنا　　لامر به قلب البلاد كسير
اذا فترت فى الجد همة طالب　　فكل يسير يرتجيه عسير
اسير ولى فى الحى مجد مؤثل　　يزار وحظى فى الخمول أسير
وباعى لنيل المجد عند علوه　　طويل وفى نيل القبيح قصير
وإن ركضت خيل الرهان إلى المرا　　فنهد صفائى للوفاق يسير
اسامح عفوا لا التجاء لزلة　　فإنى لارضاء الخصوم فقير
وما عن قلى انأى ولكن اذا اسا　　حبيب اداری والمحب غيور
وما بقليل نبوة فى بلاغة　　وذكر جميل إن ذا لكثير
اذا كان نور المجد فى حسن هيئة　　فسيان فيه أكمه وبصير
غرور مسير النفس فى طلب العلا　　وحاملها فى السافلين أجير

سلونـى عن الأمـر الجليـل فإننـى علیم بأخـلاق الرجـال خـبير
إذا أفلت شمـس المجـد بمغـرب تراءت له بعد الغـروب بـدور
وإن فقـد الإنسـان صيـد مـراده بفخ الأمـانى فالمصيد صغير
وإن رضيت غـر الرجـال على فتـى فإن مريد الشـر عنـه نفـور
وإن بذلت فى الخير عسجدها الورى يعز علـى الوغد الشحيح نقير
وإنـى كفيـل أن يحـب منـافـق إذا سار عن ارض الحجاز ثبير
يعظـم ميتـا رب فضـل وشـاكـر ويقبر حيـا مجـرم وكفـور
فسى الفتى صنـدوق بـرزخ مجـده وكسب الثنـا فى ذا المقام ننور
إذا مـاجـد دارت رحـاه بعـزة فهمـته قطـب علـيه تـدور
أجـل مـزايا المـرء فضـل ومنطـق ويعدهما كـل الصفـات غـرور
فحافـظ علـى ما أدرك العـزم شـاؤه فكل صغير ضاع منك كبير
اذا المحـل سـاء المجرمين لحقدهم فروض سرور المحسنين نضير
علـى مهـل يجـرى الزمـان وإنمـا يعاملنـا باللطـف فيه قـدير
ركبنـا الهـوى حـتى اسـأنا بلادنـا فـدارت بنـا الأيـام وهى تمور
تقلبنـا الأخبـار بيـن أكفهـا ولم ينهنـا عمـا نود نذيـر
ولكـن يرى لـى أن قومـى تنبهـوا ففيهم رجال فى العلـوم بحور
ينبههـم للسـعى فيمـا يعـزنـا جواد لأفكـار الصـلاح سمير
اذا استـقبت أهـل السياسـة للعـلا فتوفيقنـا فـى ذا المقام أمير

بدر : هيا يا بنات غنو على ذكر الأمير

البنات : يوم الخدوى سعيد. والقطر كله نظام. توفيق مصر عزيز بلغه رب المرام. يا مصر زيدى جمالا. فالعدل صار له حواس. رياض مجد المعالى.

اضحى بديع الأساس . انظر لرفقى وفهمى . تلق المحاسن تمام.

والقدر سامى على . والفخر باب السلام . لابد تلقى صلاحا .

من نيل خير الكرام . فالناس أضحت تنادي . يارب حسن الختام .

بدر : هيا بنا ياعرب ننظر إلى الأمير ونقدم عليه

(فريق التمثيل العربى)

تمثيل الأحوال والوقائع بالتياترفن بديع يقوم فى التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وأخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية مقام أستاذ وقف أمامه تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم وكان ذلك شائعا ذائعا بين العرب والمصريين من زمن بعيد فما كانت تحيا ليالى أفراحهم إلا بالممثلين ولكن لتوالى دواعى الجهالة على الأمم الشرقية نظروا إلى أرباب هذا الفن بعين الازدراء واتخذوهم مضحكين فى أفراحهم وعدوا تشخيصهم الأحوال أمورا مضحكة وانصرفوا عن العظة بها والاعتبار بما فيها فكان ابن رابية فى مصر يمثل أحوال الحكام وأخذهم الناس للسخرة فى الحبال والحديد وقتل الرجل على عشرين فضة وشنق آخر بغضب المدير أو المأمور ونهب المزارع والماشية وإصدار الأحكام بحسب ما يتصور الحاكم الخط فضلا عن المأمور وفضلا عن المدير كما يمثل أحوال من تغاضوا عن بيوتهم واهملوا المحافظة على أعراضهم وأئتمنوا الخدم والمماليك فرأوا ماساءهم وغير ذلك ولكن كانت فائدته عندنا أن نضحك عليه وكذلك خلبوص العرب إلى الآن يمثل وقائعهم وماجرى بين القبائل من ظفر وخذلان وحط وارتحال. فهو فن قديم أخذه الأوروبيون عن العرب عند مخالطتهم لهم فى الأندلس والشام ولكنهم هذبوه وبنوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التى لها وقع فى التهذيب والتأديب وطهروه من كل ما يخل بالآداب العامة فلا تستحى الأنثى من حضور مجلسه ولا يأنف الأمير من تلك المواضيع وما زالوا تنقيحا وتحريرا حتى صيروه أحسن فن تميل النفوس إليه للتهذيب والترويح وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصورة واعتنى به علماؤهم ومهذبوهم وقام به شراذم من أدبائهم ونبهائهم وبنيت له المبانى العظيمة وصارت مجامع الأمراء والفضلاء والأعيان وقد أخذه

الآن بصورته الأخيرة جماعة من الشرقيين منهم من أحسنه ومنهم من بقى تحت التمرين فكان من المحسنين الفريق (الجوق) الشرقى المكون من المجيد الماهر الشيخ سلامة حجازى ومعه المحسن أحمد افندى أبو العدل والمتقن حسين افندى الانبانى وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات لم يفتهن من الإحسان شيء يرأس هذا الفريق مديره المحسن المتفنن اسكندر افندى فرح الشرقى وقد شهد كثير من الامراء وفى مقدمتهم عطوفتلو وفضيلتو على باشا مبارك إنهم أولى بالتشخيص فى الأوبره من غيرهم لإحسانهم التمثيل وعدم وجود فرق بينهم وبين من اتقنه من الأوروبيين ولقد رأيت ممن يحضرونهم أريحية عصبية لوقائع الرواية فيفرحون عند الفرح ويحزنون عند الحزن ويتأثرون بالتمثيل تأثر من شاهد الأصل فنحث أبناء مصر على الإقبال عليهم سعيا خلف ما فيه منفعة النفوس وتكثير الآداب .

***

(لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا)

هى كلمة أوروبا التى ترددها على أسماع الشرقيين كلما فعلت فعلا يحملها عليه الاستعمار الملكى أو الانتشار الدينى وقد احكمت التأليف بين القوتين الدينية والملكية فجلعت الأولى سفير وداد والثانية فارس جلاد وقد أضاف كل ملك أوروبى إلى عنوان الملك حماية الدين فيقول فى مخاطباته ملك أو امبراطور كذا وحامى الدين المسحيى أو عبارة أشد وقعا فى النفوس من هذه ليعلم الأمم أنه القابض على زمامى السياسة والدين فيؤيد رجال السياسة بتنفيذ ما يرونه من لوازم تأييد الملك وأتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم الغيرة على بثه والدعوة إليه فنرى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض إليه لاتفتر

لهم همة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التى فيها حياة الدين والملك وزيادة شرف الأمم. والأمم لكونهم أدركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة الدين اندفعوا معهم اندفاع السيل فى المنحدرات فعقدوا الجمعيات الدينية والعلمية والصناعية والتجارية والزراعية والسياسية وأخذ كل فريق فى إحسان ما كلف به نفسه وأوجبه عليه مجاراة جاره فى الملك ومباراة نظيره فى العلم أو العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا قصده فاشتغلوا بما اشتغل به. وقد بلغوا القصد فى بلادهم وخرجوا من بلادهم محمولين على قوتى الدين والملك سائرين على نور العلم والصناعة فيخلوا الأقطار الشرقية سائحين ومتجرين واستوطنوها مراقبين ومتغلبين وجرائدهم الكثيرة العدد برزت تتسابق فى ميادين الانشاء بمواضيع مبتكرة ومقالات مطولة وعبارات مزينة فأصبحت ناقلة للأخبار ناشرة للآداب معلمة للعلوم مؤيدة للمبادىء حاثة على المقاصد منشطة للهمم مرشدة للأمم منبهة على الأغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن وثبة الجار أو معاكسة المتاخم ناشرة للفضائل مؤرخة لرجال الفضل والعمل حافظة لسير الملوك داعية أفراد الأمم إلى ما فيه خير البلاد وتأييد الدين خادعة للشرقيين لاعبة بأفكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبحة لما هم عليه من دين وسير ومعيشة وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بأن الغرب محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل لاحياة للأمم إلا بما تأخذه عنه ولا مجد لمن لم ينتم إليه ولافضل لمن لم يتعلم فيه ولاشرف لمن لم يتكلم بلسانه ويتعبد بعبادته ويتقيد بعادته. هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التى لا تحتاج لبرهان بعد ظهورها للعيان قالت أوروبا إنكم متوحشون لكونكم لاتحسنون صنع الأثاث واللباس وأنكم فى حاجة إلى مصنوعنا ولاتصلون إليه إلا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من إدخال مصنوعها فى الشرق لتحول الثروة

إليها فأماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها فما يصنع فى الهند والصين والعجم والأناطول وغيره إنما ينفق ويباع على يد الأوروبى كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون ليرجوا تجارة أوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها الملكية بالإيرادات المالية فلا حظ لهم فى الوجود ولا رغبة لهم فى الملك كأنهم أمام أوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجاراة أهلها ومما زادهم بعدا عن الصناعة وثمراتها وجود دخلاء أجراء يزعمون أنهم نصحاء يثبطون الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة ويغرونهم بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم يعلمون أن كثيرا من الممالك التى لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير واحيت صناعتها الوطنية وحتمت على أهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير حفظا لثروة أهلها فهم بصرفهم الهمم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقى فى قبضة الغربى احتياجا اليه وترك الشرق ميدانا لمسابقة رجال أوروبا فلا يجدون مصنوعا يعطل عليهم ولامعرضا عن صناعتهم فتبور. وضعفاء العقول يغترون بخداع هذا الدخيل ويظنون أنه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الأعمال لوقوعهم فى اليأس والقنوط بالمفتريات ورجال أوروبا تتعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا.

قالت أوروبا أن وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء على الهمجية والتوحش فلا بد من مجاراتنا فى حركاتنا المدنية لتساوونا فى الرتبة وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكب الاغبياء والمغفلون على الخمور فساءت أخلاقهم وضعفت

عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا إلى المومسات فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للأجنبى بعدم غيرتهم عليها فهم فى رتبة القواد بل هم هم ومال فريق إلى القمار فباع الغيط والدار واضطر لبيع حلى زوجته برضاها أو بسرقته منها والكل عطف على المرابين يقترض ويصرف فى الملاهى ومتلفات العقل والجسم والملك حتى أسكن الأوروبى مكانه وصار له خادما بعد أن كان عظيما محترما وكلما تهالك الشرقيون على الخمور والملاهى واصلت أوروبا رسائل الخمر وارتحل إليهم المومسات وأرباب الملاهى تحويلا للثورة وازهاقا لروح الدين حتى أصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لاشرقيين ولا غربيين واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها إلى مقاصدها من الشرق وهى تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية وما هى إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة إذ لو كان الانغماس فى الملاهى ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته أوروبا وعدت مرتكبه همجيا جاهلا مجنونا ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة منها ولما كتبت الرسائل العديدة فى ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين عن العبادة وحضور الكنائس وإنما هذه إشراك وفخاخ تنصب فى طريق الشرقى حتى لايخطو خطوة إلا وقد وقع فى حبالة أوروبا. ولما رأت أوروبا أن الشرقيين لاينتبهون من غفلتهم ولايعقلون مقاصد الدول ولا يدركون مكايد الملوك ولايسعون فى صالح بلادهم ولايحافظون على دينهم ولايعرفون شرف لغاتهم ولايحفظون كراسي ملوكهم ولايهمهم ضياع أوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهى تقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا .

قالت أوروبا إن الشرق فى حاجة لتداخل أوروبا لإصلاح إدارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الأوروبية واجمع رجال أوروبا على جعله قسما مقابلا لها

وربطوا عزمهم على ضمه إليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلووا فى الدخول فيه تلوى الأفعى وملكوا بعضه بالتجارة والبذل وبعضه بدعوى من حق دولة أو إهانة بواب قنصل أو حفظا لطريق مملكة. والداهية الدهياء أن ملوك الشرق وعظماءه ملأوا قلوب أممهم بالأوهام وخوفوهم من الأوروبى وأرهبوهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم أن الأوروبى ملك يمكنه قلب المملكة أو جني يقدر على حرقها فامتلأوا رعبا وخوفا ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التى يعاملونهم بها فى وقائعهم مع الأوروبيين وقد اضطروا كثيرا من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك إلى الاحتماء بالغير تفاديا من تلك المعاملة فكانوا أقوى يد للأوروبي فى تداخله واستيلائه على ممالكهم . فلو ربوا رجالهم على الحماسة ومرنوهم على الأعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالأدبيات وصانوهم من المفاسد العقلية وعلموهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم وأوقفوهم على تواريخ آبائهم ومسابقات الدول فى بلادهم ودسائس أوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون أوروبا باسم المصلحة الشرقية لوجدوا أمامهم رجالا وأى رجال ولكنهم أهملوا ممالكهم واهدروا حقوق رعاياهم فأصبح ملوك أوروبا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا إليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا.

ولا لوم على الأروبيين فى ذلك فإنهم إنما يسعون فى مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون يرونهم يعملون الأعمال العظيمة فى بلادهم وهم

ينظرون إليهم نظر المغشى عليه من الموت ولايتحركون لمجاراته أو لإيقاف تيار تداخلهم ويرونهم يسلبون أعمال أمرائهم وولاتهم عملا فعملا وهم ناكسون الرؤس ومنكمشون فى ثيابهم تسمع منهم أصوات عالية فى خلواتهم يظنها السامع أصوات أناس حريصين على المجد والشرف فإذا خرجوا إلى الطرقات ساقهم أضعف أروبى بعصاه وهم بين يديه كأنهم قطعان الأغنام تساق إلى الحظائر. بمن تقيس الجزائرى إذا شاركه التونسى والهندى والمصرى والقبرسى والعدنى والمسقطى والزنجبارى والبرنوى والبخارى والمروى والطاغستانى والتركمانى والسرخسى وقابله المراكشى والأفغانى. برعدة الخائف الوجل ونظر إليه العجمى والعراقى واليمنى والحجازى والنجدى والسورى والطرابلسى والأناطولى نظر المتوجس الحذر الذى تبعثه الهمة وتقعده الذلة كلما شموا رائحة السلم من دولة جاءهم انذار الحرب من أخرى سعيا خلف الدين لا طلبا لسعة الملك فإنه لو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التى هى جزء منها فى الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسعى أوروبا فى تلاشى الدين الإسلامى أوجب هذا التحامل الذى أخرج كثيرا من ممالك الدولة بالاستقلال أو الابتلاع. وإننا نرى كثيرا من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوروبا يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الإدارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا إنها أعظم الدول ثباتا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة فإنها فى نقطة ينصب إليها تيار أوروبا العدوانى لأنها دولة واحدة إسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية غير دول أمريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والأجناس والأديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال أوروبا إلى من يماثلهم مذهبا أو يقرب منهم جنسا وكل دولة طامعة فى قطعة تحتلها باسم المحافظة على

حدودها أو وقاية دينها مع اتساع أراضيها وعدم وجود السكك الحديدية المسهلة للنقل والتحول وعدم وجود أنهر مستمرة الفيضان فى غالب أراضيها ووجودها تحت رحمة الله تعالى إن شاء أمطرها فأخصبت أو منعها فأجدبت وهذه أمور لو ابتليت بها أعظم دولة أوروبية ما قاومت هذه الصواعق أكثر من عام أو عامين وتسقط أو تتلاشى. ولكنها تلام على إعطاء السكك الحديدية التزاما للأوروبيين بواسطة أناس يزعمون أنهم من رعيتها ظاهرا وهم فرنساويون أو انكليز باطنا فإن السكك الحديدية بالنسبة إلى المملكة كالشرايين بالنسبة إلى الجسم فهى من أعظم العلل التى ستتخذها أوروبا وسيلة للتداخل باسم وقاية أملاك اتباعها ومن لن بكف يد الوزراء عن مثل هذا التهاون ويكفى ما جرى وما ذهب منا سدى فإن ارتكنا على الشروط فقد ارتكنا على أوهن من العنكبوت فإننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا وقد وقع عليها الدول فكيف ننفذ شروطا بيننا وبين رجال جعلتهم الدول ذرائع للتداخل ووسائل لا سوء المقاصد. ولقد أذهلتنا أعمال أوروبا التى لم تسمح لشرقى بامتلاك شبر فى أرضها وهى تخرجنا من مساكننا وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولاحجة مسجلة ولكنها معنورة فإنها لم تجد من يعارضها أو يجاريها فهى لاتعترف اننا معها فى ثوب الإنسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا .

إن دولة من دول أوروبا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء وإنما باسم الإصلاح وبث المدنية وتنادى أول دخولها أنها لاتتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ فى تغيير الاثنين شيئا فشيئا فلا تقدم على العمل بل تفعل الشىء على قبل التجربة فإن نفذ فقد مضى وإن عورضت فيه التزمت التأويل كما تفعل فرنسا فى الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانونا فيه بعض مواد تخالف الشرع

الإسلامى بل تنسخ مقابلها من أحكامه ونشرته فى البلاد واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ولما لم تجد معارضا اخذت تحول كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الإسلام توسيعا لنطاق النسخ الدينى ولم نلبث أن جاريناها وأخذنا بقانون يشبهه إن لم يكن هو هو ولم ينتطح فى إصلاح مواده المخالفة عنزان ثم تداخلت فى الأوقاف واستولت على غلها ومنعت المستحقين وطردت كثيرا من خدمة المساجد اقتصادا ماليا وتخفيفا دينيا ثم رفضت ضباط العساكر الوطنيين الكبار واستبدلتهم برجالها خوفا من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم أو يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية وألزمتهم بتعليم لغتها والأخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لايشم الأبناء رائحة الدين لئلا يعلموا أنهم يغايرونهم دينا فيثورون عليم أو يلتجئون إلى دولة أخرى وهذه عواقب الالتجاء إلى دول أوروبا والاغترار بوعودها الخلبية وشروطها المكتوبة بالماء على صفحة الهواء. وهذ دولة الروسيا دخلت مرو وهراة وبخارى باسم حمايتها من اعدائها وبعثت إليها بتجارتها فنفذت ثم برجال يساكنون أهلها فمضوا ثم بعساكر فى الحدود فأقاموا ثم بشروط تربطها بها فأمضيت ثم هى آخذة فى تقدم لغتها هناك توصلا لاعدام اللغات الوطنية التى يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء أهلها وأخذهم بناصرها بعلة تأييد المركز الخديوى الشريف ثم زيد على تلك العلة علة بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات أوروبا وقد بذلت ما فى وسعها فى التحسين والتنظيم بما يتراءى لها ولم تجد غير آذان سامعة وأيد عاملة ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها فى شىء مما دخلت لبثه فينا بل تركناها تفعل أفعالها ونحن نتفرج عليها كأننا فى ساحة سيماوى يرينا من أعماله العجائب ونحن فى حيرة من العابة المدهشة. ومن جهل أعمال انكلترة

فى مصر بيناها له ليرى أنه حقيق بما يوجهه إليها من النكير.

أولا أطلقت حرية المطبوعات والأفكار فرأينا الجرائد الكثيرة تتكلم بما تريد وتتصرف فى أفكارها كيف تشاء. هذه تقول أنا وطنية أنادى بأن خير البلاد وصلاحها موقوف على جعل الأعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية تحت مراقبة بريطانيا العظمى حتى إذا رأتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق النافذ وفت وعدها واجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم فى بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الأسود والسرب وغيره مما هو أقل من مصر بكثير والأمة مرتاحة لها. وهذه تقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز ووضع الإدارات تحت أيديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهيأ المصريون لاستلام أعمالهم لاتبالى رضى عنها المصريون أو غضبوا منها. وهذه تقول إن فرنسا هى الدولة الوحيدة فى المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأييد الخديوى ولايضرها إلا وجود الانكليز فيها.

وهذه مذبذبة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه تورد لهم من مصادرات الأديان ما يوقعهم فى الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه طبية. ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون ويتجادلون لارقيب عليهم ولاجاسوس ولما رأت أن كثرة المؤثرات الفكرية لم تنبههم على طلب حقوقهم وظهورهم أمامها بالتظاهرات الأدبية استدلالا على استعدادهم للقيام بأعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض فى المواضيع المتضادة وتلعب بالأفكار الجامدة ونحن فى بحار اللهو غارقون.

ثانيا : إنها كفت يدها عن الأعمال عند دخولها مصر وسلمتها إلى المصريين ظاهرا لتقيم الأدلة لأوروبا أنها ما دخلت إلا لتراقب المصريين وتشير عليهم بما

فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد أمامها من يجعل هذا الظاهر باطنا بحصر السلطة فى الذات الخديوية الفخيمة والإدارات فى الوطنيين أخذت تقول وهم يفعلون حتى أصبحت تفعل وهم لاينطقون وكانت تتقى باسمهم المطاعن الأوروبية حتى خلا الجو وامنت الاعتراض فأخذوا ينمونها ويرمونها بخلف الوعد ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع فى الخداع وهم غير محقين فإنها ما دخلت إلا لتعمل عملا أمام أوروبا فلما فوضوا إليها الأعمال استلمتها بهمة ونشاط. ومثلها ومثلهم كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم حملونى ما عندكم من أثاث وحلى وآنية فأخذوا يحملونه ما يديد من غير معارضة فهل إذا دخل عليه البوليس وأهل الدار يحملونه بأيديهم يقول هذا لص كلا بل يقول إنه صاحب الدار وهؤلاء خدمه.. أيرون أن الانكليز هم الذين نشروا منشور المومسات. ورخصوا للنساء أن يخرجن للبغاء تحت حماية القانون. أم هم الذين سنوا كشف الاطباء على البغايا واعطاهن شهادات بأنهن صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى فى كل كتاب. أم هل قالوا للمصريين ستنفق ملايين فى المقاولات والأعمال الهندسية من غير أن نسأل عما نفعل فيها فإياكم والسؤال عن مبالغ ستكنون عبيدا مكلفين بسدادها إلى روتشلد وغيره. أم هم الذين اعطوا الالتزامات الوابورية والأرضية ووسعوا نطاق المعاهدات إلى أن ضيقوا كل عمل مصرى . أم هم الذين منعوا المصريين من زراعة الدخان والحشيش لتروج مزارع أوروبا بخراب بيوت هؤلاء الضعفاء. أم هم الذين باعوا مهماتهم وآلاتهم بغير ثمن وربما اعطوا من أخذها شيئا يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا أو بالنبوت. أم هم الذين أبعدوا المصريين عن الخدمة وحشروا الغرباء فى المصالح حتى أصبح ألوف من

المصريين لايجدون القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلا. أم هم الذين قللوا من تلامذة المصريين فى مدارسهم وأكثروا من استخدام الأجانب فيها وتدرجوا لإماتة لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ فى الانكليزية لتنسى لغة القرآن فينسى بها الدين الواقف عقبة أمام أوروبا كما يصرحون بذلك فى مجالسهم وأندية شوراهم. لا والله ما نالوا أملا ولا قارفوا عملا ولا أذلوا رجلا ولاخربوا بيتا ولا هتكوا حرمة إلا بالمصريين. ماذا على الانجليز اذا سعوا فى ربح تجارتهم واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائقا أيرجعون وهم لهذا مرتحلون. ومن يلومهم إذا وجدوا طريقا لتوسيع ممالكهم لاخوف فيه ولاعقبات أيتركونه وهم في جميع بلاد الدنيا طامعون كانوا يرون أن المصريين إذا رأوا دولة حرة دخلت بلادهم لتأييد خديويهم وإصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين الأمم تجمعوا حول أميرهم حاملين كرسى فخامته على رؤسهم منادين باسمه قائمين بتنفيذ أوامره محافظين على حقوقه مستميتين فى اختصاصهم بأعمالهم والقيام بشعائر دينهم مجتهدين فى حفظ الأمن وخدمة البلاد حافظين لحقوق الأجانب والغرباء النزلاء والمجتازين جاعلين حافلهم التى استخدمتها أوروبا فى مصالحها محافل وطنية تستخدم أوروبا فى مصلحتهم فكانت تساعدهم على هذه الأمور التى تعهدت لأوروبا أن تعلمها للمصريين وتؤهلهم إليها ولكنها رأت غير ما ظنت فلا لوم عليها إذا وضعت قدمها على عمائمنا لتعلو جواد الفخر والخيلاء .

لماذا نتألم من أعمالها وامراؤنا اقتصروا على القعود فى القصور وركوب العربيات للتفسح فى المنتزهات وعقلاؤنا صامتون لاينطقون بكلمة رجاء أو صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون ونبهاؤنا فى المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لايفيد الوطن والملك شيئا متعللين بأن

محافلهم لاتتعرض للسياسة ولا للدين فإذا انصرف النبهاء عن وجهتى السياسة والدين فبمن تقوم الأعمال ويتقوم أود الحكومة ويبقى عمود الدين قائما كبقية الأديان. أبا لأخاء الذى ربطناه بين الأجنبى نتخلى له عن مرجع المجد واصل الشرف. وهل تريد أوروبا أن تنتصر علينا فى حرب عوان باكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر فى الملك والدين ليخلوا لها الجو فتفعل ما تشاء وتغير ما تشاء مع أن النبهاء يمكنهم أن يستخدموا محافلهم فى مصالح بلادهم فيتمكنوا بقواهم العقلية مما لايمكنهم منه سيف ولامدفع من غير إثارة فتنة أو إراقة قطرة دم ويصلحون ما أفسده الاغترار والانخداع ويحدثون فى البلاد عصبية وطنية لاتردها أعظم أمة عن مشربها المصرى وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة. وما الذى استفاده النبهاء المصريون من الأخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتأخرهم واتخاذنا بيت مال لفقرائهم وعجائزهم. دعونا من المجاملة فى الكلام والتستر بما استهجنه العقلاء ما ابتدعت المحافل إلا لتصير الممالك دستورية وقد نجحت فى ذلك وقلبت كثيرا من ممالك أوروبا وحيث أننا بين يدى حكومة دستورية فلم لم نؤيدها بعصبية وطنية ونظهر من أعمالنا ما تفتخر به انكلترة أمام اوروبا وإلا فإن بقى الامراء فى البيوت والنبهاء فى المحافل على ما هم عليه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول أوهام الأجنبى وإرهابه والخديوى الأعظم ينظر إلى هذه الجموع نظر الأب الرحيم إلى الأبناء العاقين فلا نعترض على بربر افريقية فضلا عن الانكليز اذا جاءوا واخرجونا من مساكننا وابعدونا عن عائلاتنا وتمتعوا بما نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع وعقار. مضت والله أيام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدى خديوى يريد أن نجاري الانكليز فى الأعمال الإصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ونحن عن إرادته السنية ساهون، ويحب أن نتقدم فى التجارة

والصناعة والزراة والمعارف ونقبض على أزمة أمورنا ونحفظ عرشه المصرى بالمصريين ولكننا عن نظره العالى عمون. يتألم من ضياع المصرى والاستخفاف به وتركه فى زوايا الإهمال أكثر من تألم المبعدين ولو أحسسنا بما عنده من الآلام لبتنا لمضاجعنا جافين. إن أوروبا تنظرنا من بعيد لترى أعمالنا وما نتقلب فيه من الأحوال وما تهدينا اليه انكلترة مما نؤيد به الخديوى الأفخم كمنشورها التداخلى ونحن عن هذا كله لاهون. كفوا أيها المصريون عن القيل والقال فقد عيرتنا الأمم بأننا نقول ولانفعل واظهروا بين يدى انكلترة برجال يسرها تجمعهم حول أميرهم الذى جاءت تؤيده واطلبوا منه حقوقكم المقدسة واشكروا انكلترة على ما أوصلتكم اليه من الحرية التى تركتكم تتظاهرون تظاهرا أدبيا طلبا للحقوق وسعيا خلف الحقائق والامتيازات الوطنية فإن كل انكليزى يراكم في هذا التقاعد وهو يدأب فى عمله الليل والنهار يقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا.

كلكم قائل «بيدى لا بيد عمرو» مضت السنين العشر التى قابلتم غرتها بالأفراح والزين وطرتم فيها حول الأوهام طربا وسرورا وعميتم عن سوء العاقبة فأنشد شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحا وثناء وشربتم الخمور جهارا باسم من استعديتموه على بلادكم ونصرتموه بتثبيط إخوانكم وبذلتم أموالكم وأرواحكم فى دخولهم البلاد والتخلى لهم عما بأيديكم من الأعمال. ولطالما طأطأتم الرؤوس وحنيتم الظهور وركعتم أمامهم تعظيما وتسليما وبصقتم على وجوه اخوانكم ولبستم أجمل ثيابكم تنتظرون يوما يقتل فيه مائة ألف مصرى. فهذه الأيام تريكم كيف تدور الدوائر وكيف تتقلب الأحوال بالأهوال على من لم يقرأ العواقب ومن يلقى نفسه بين نيوب الصل خائفا من العظاية (السحلية) فقد ابدلت المصائب الولائم الأجنبية بالمآتم الفقرية ودعتكم لتكسير أعواد الطرب

والسرور وضرب دف الندب والرثاء، وهل تجزون إلا ماكنتم تعملون. مضى أمس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره وانذاره وقد سار المرحوم أفندينا توفيق باشا إلى جنة ربه. وزين عرش الحكومة المصرية الملحوظ بعناية الله تعالى افندينا عباس باشا الثانى ولا عسكرية تطلب منه حقوقا وطنية فيقال إنها تريد أن تستبد عليه أو تضعف سلطته فأولى أن يستعين بدولة كذا. ولا خوف عنده من أجنبى يهدده بمنشور ينشره ليجعله وسيلة للتداخل العدواني. ولا أحزاب بين يديه فرقتهم الضغائن الباطلة فشقواعصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل ونزغ محتال. بل هو الهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع أجناس رعيته على اختلاف أديانهم الساعى فى منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الإدارية وما يحتاج فى تنفيذ إرادته إلا إلى رجال نبهتهم صدمة أوروبا إلى الرجوع عما هم فيه من الاغترار والاستغفال فحاطوا أميرهم مخلصين فى انقيادهم إليه لينادى بهم رجال انكلترة قائلا هؤلاء رجالى الذين تريدون أن تؤيدوا بهم حكومتى النظامية فضعوا الأعمال فى أيديهم واختبروهم فيما يقومون به من الأعمال. هؤلاء الذين ربتهم مصر وشهدت لهم أوروبا ووقفوا مع سابقيهم تسعين سنة يديرون الأعمال بأنفسهم ويصلحون البلاد حتى حاكوا بها مدن أوروبا الشهيرة بل ربما وجد الأجنبى فيها من الراحة ما لايجده فى أعظم مدن أوروبا هؤلاء الذين قلتم لأوروبا إذا وجدنا قوما لهم قدرة على الأعمال وفيهم استعداد لحفظ لأمن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلا م فهلا جربتموهم فى عمل. هؤلاء الذين لايحتاجون لمجاراة غلادستون فى سياسته ولابسمارك فى خداعه ولا القيصر فى شدته فإنهم يديرون أعمالا بسيطة مكفولة بالقوانين والنظامات ليس فيها سعى خلف استعمار ولا اجتهاد فى نشر دين ولاتحايل على توسيع حدود فأية صعوبة فى مثل هذه الأعمال.

هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم فى مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمى عنهم وقلتم فى مصر من الرجال فلان وفلان فلا يحتاجون إلا إلى مراقبتهم مدة قصيرة فى إداراتهم الجديدة. هؤلاء النين درسوا أعمالكم وحفظوا نظامكم ووقفوا منتظرين تحقيق الآمال وصدق الوعود فعلام تتعبون فى تهذيبهم إن كانوا لايصلحون . وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم أصولكم العسكرية والإدارية والمالية والقضائية إن كانوا لايفلحون. هؤلاء الذين هم أحق وأولى من غريب تستخدمونه بأموالهم المتحصلة منهم وتنفقون عليه من ذهب ما دفعه أوروبى ولاحصله غير مصرى فأى مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الأدبية أصرنا أقل درجة من فعلة الانكليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم وأذهلوا العالم بأفعالهم التى ما دخلها شغب ولا تخللها خلل. وكأنى بدخيل يوسوس للأجانب قائلا إن الأستاذ يدعو إلى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الأراجيف من الدخلاء وتسليط الأوروبيين على كل بلد نودي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجرا فى فم هذا الدخيل قبل أن يحرك شفتيه بكلمة اغراء. إن المصريين قد جربوا أنفسهم فى التظاهر بالقوة فوقف شقاقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثيرو العدد والعدد والآن لاقوة بأيديهم ولا سلاح وقادة الجند من الأجانب ولايحمل العسكرى إلا بندقية فارغة حكمها حكم عصا الراعى. ولاموجب لحركة الأهالى حركة عدوانية بعد خضوعهم لأميرهم وانقيادهم إليه فى السر والعلن. وقد تأدبوا وعلموا دسائس أوروبا وتنهبوا لمقاصد الدول وسعيهم فى اتخاذهم آلة لبلوغ مآربهم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصرى إلا وهو يعلم الآن أن أوروبا لاتصدق فى قول ولا تفى بوعد ولاتحب شرقيا ولا تسعى فى خير مصرى وإنما

هى ملاعب سياسية يقدمونها بين أعين الجهلاء الذين لاخبرة لهم بدهاء الدول ومطامعها يستميلونهم بها استمالة الطفل بقطعة حلوى أو ثوب منقوش. ومن انتهى بهم الأمر إلى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من المعدات الآلية وعدم حاجتهم إليها يستحيل عليهم أن يكدروا صفو الراحة بشغب أصوات فضلا عن قعقعة سلاح. وما يدعوهم الاستاذ إلا إلى مجاراة الأورباويين فيما هم فيه من معرفة وقدر نفوسهم والمحافظة على حقوقهم ولغاتهم وأديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال بأعمال بلادهم فإنهم لايجهلون أن كلا من السرب والبلغار والجبل الأسود ورومانيا أقام تحت تصرف الدولة العلية أكثر من خمسمائة سنة وفى هذه المدة ما استطاعت الدولة أن تغير دينهم أو لغتهم أو عادتهم بل حافظوا على الأصلين العظيمين اللغة والدين وزاحموا ولاة الترك فى الأعمال والإدارات وأكثروا من الصياح والاستنجاد حتى وقعت الحرب الأخيرة واستقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة أو عهد دين أو إعادة معبد ووجدوا أنفسهم هم الذين كانوا قبل ذلك بخمسمائة عام وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميع أوروبا وثنائها عليهم وكان من أعظم المساعدين لهم بل المحركين لهم نفس انكلترة التى نريد أن نجاريها فى أعمالها أو نجارى من أنجدتهم من بعيد ونحن أقرب إليها من حبل الوريد. والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصريا كان أو غير مصرى وأظنه لايسمع إلا قول المخلصين إنها إخبار بحقائق وطلب بحقوق لاتمس شرف رجل ولاتتعرض لأمة ولا تطعن فى سياسة وإنما هى محض درس تهذيبى لمن يسوءهم قول الأوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا .

قضى المسلمون مع الأقباط ثلاثة عشر قرنا وهم فى اختلاط أهل بيت ومعاملة عشيرة واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانية مسببة عن اختلاف

الدين كما نشاهد ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب أملاكهم وحليهم واستحلال تعذيبهم وسوقهم إلى سيبيريا حفاة فيهم القيود والأغلال وتخييرهم بين الانتقال من دينهم أو الرضال بالاشغال الشاقة فى سيبيريا التى هى جهنم العذاب أو جهنم شبيهة بها. ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع الجزويت وهم إخوانها فى الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل مافعله البلغار مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم فى الجمعة يصلون ولا مثل ما فعله الروس فى الشركس الذين اضطروا لترك أوطانهم وأثاثهم وماشيتهم وهاجروا إلى بلاد الدولة مشاة لايحملون إلا أجسادهم . بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع فى شق عصا اجتماعهم وتفريق كلمتهم لنتخذ ذلك ذريعة إلى أمر مطوى فى باطن المستقبل ولهذا لم تجد دولة من الدول العدوانية علة دينية تتداخل بها فى شأن مصر باسم راحة المسيحى والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الأقباط حريتهم فى عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجابا بين مصر وبين تلك الدعوة التى تعودتها أوروبا تغريرا وتضليلا وفتحا لباب الحروب بعلل وهمية لا وجود لها فى الخارج. ولهذا نرى المسلمين متأملين من انشقاق اخوان الوطنية وحل رابطتهم التى مضت عليها القرون الكثيرة وهى أوثق رابطة عقدت عليها القلوب لا الخناصر والكل يهجس ويخمن فى الباعث والعاقبة فقد أدبتهم مساعى أوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها أساليب شتى للإذلال والاستعباد على أن الأمر لو كان متمحض القبطية لساء المسلمين تنافرهم وهجرهم كنائسهم ومقابلة بعضهم بعضا بصدور ممتلئة بغضا وحقدا بعد أن كانت وعاء ألفة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الأجنبية وحسنة من حسنات أوروبا التى تتصدق بها علينا ولسنا نتكلم فى الشقاق من حيث داعيه وإنما

نتألم منه من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفى فى فصل القضاء بينها أحد العقلاء حرصا على الجنسية والجامعة الوطنية وجبرا لصدع قلوب كلها فروع أصل واحد ولا نتكلم على الباعث الدينى بأكثر من أملنا فى التوفيق بين الفريقين وسد الأذن عن سماع الأصوات الأجنبية التي تحرك النفوس وتظلم القلوب وتدخل المجموع تحت كلية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

فيا بنى مصر لم تبق قطعة فى الأرض إلا والجرائد تنقل لكم أخبارها وتريكم أعمالها فإذا لم تكونوا أهلا للاختراع كما قال لكم أحد الانكليز فقلدوا عقلاء أوروبا فى أفعالهم وكفاكم الاغترار بترهات المضلين واللياذ بالأجنبى الذى سلبكم ثوب المجد ولم يبق إلا أن يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظا على أمة تدفعها الطوارىء إلى وهدة المصائب وهى قادرة على دفعها ولا تتحرك ولا حركة مذبوح. ليعد المسلم منكم إلى أخيه المسلم تأليفا للعصبية الدينية وليرجع الاثنان إلى القبطى والاسرائيلى تأييد للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلا واحدا يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين. ايكفينا من الثروة أن نرى أكبر تاجر منا لاتزيد ماليته عن عشرين ألف جينه وإذا عددنا هذا القسم قلنا واحدا اثنان فإذا انتهينا إلى التاسع وقفت بنا الاعداد أما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيرا وتفتح بيوتا أغلقت أبوابها أو كادت أعجزنا عن مجاراة الأمم حتى في هذا العمل الذى يقوم به الأميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش إلى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد. ألا تقدرون على عقد شركات تشترى أجزاء من أطيان الدومين أو الدائرة لتربحوا منها وتستخدموا فيها أخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما أضاعه الإسراف فى الملاهى والخروج عن الحد وصيره فى يد الأجنبى . أفلا يحسن فى أعينكم أن تفتحوا مدارس لأبنائكم تهذبونهم فيها

وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الأوروبية التى تغرسها ببلادنا مدارس أوروبا في أذهانهم تداركوهم قبل أن تفقدوهم. عرفوهم أنكم آباؤهم قبل أن ينكروكم. لقنوهم ما أنتم عليه من الدين قبل أن يخالفوكم. حفظوهم تاريخ بلادكم وأجدادكم قبل أن يجهلوكم. ردوهم إلى الوطنية قبل أن يحملوا سلاح العداوة ليتقربوا بدمائكم إلى من ربوهم وتبنوهم «جازو الحزام الطيبين» ومرق السهم من الرمية وأصبح لفيفهم ينادى غافلكم

فإن كنت ماكولا فكن خير آكلى وإلا فادركنى ولما أمزق

وارحمتاه لصبية وضعهم الله تعالى أمانة فى أيدينا فخناه فيهم وأسلمناهم إلى أجنبى يسقيهم شرابا ما شربه الآباء ويسوقهم فى طريق ما سلكه الأجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزعات السيئة ولا ندرى ما يمنعنا من ذلك أأخذت أبناؤنا فى الحديد وسيقت إلى هذه الساحات الأجنبية لا والله. أم أكرم هنا الحاكم على إرسال ابنائنا إلى الفرير والأمريكان وغيرهم لا والله. أم جهلنا ما يتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله. نحن سلمناهم بأيدينا وصرفنا على إخراجهم عنا من مالنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدى الله مسئولون. نعلم أن أوروبا لاتعطى شهادة لتلميذ إلا إذا أحسن لغته كل الإحسان ولا تدخل تلميذا يغاير التلامذة مذهبا إلا إذا صلى على مذهبهم أو يبعدونه عنهم وتنقل لنا الجرائد أخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترة الحريصة على جنسيتها المتعصبة لدينها أشد التصعب تطالب الأمة بتعليم أبنائها حقوق الوطن والجنس مع أنه ليس وراء ماهى فيه من ذلك مطلب لطالب. وهذه فرنسا تصدر المناشير إلى الكنائس تلزم الأمة جميعها بالصلوات لله

تعالى رجاء أن يخلصها من العراقيل التى هى فيها وهاتان هما الدولتان اللتان تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لانقلدهما فى المحافظة على الوطنية والجنسية والدين وننادى بذلك فى القرى والمدن وحجتنا حجتهم وحاجتنا حاجتهم. نرى كثيرا من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الأجنبى لياذا به وطلبا لمعروفة فهل تناول منه إلا لقمة لو لم يجده لطرحها للكلب ولكنها فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس فى حضرته إلا مهينا مزدرى منظورا إليه بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من أضعف الأعمال إلا ليستعمله آلة فى تنفيذ آماله وتحقيق أمانيه وهل بش فى وجه مرة إلا ليدخل عليه غفلة الرحمة والحنان ليصرف انظاره عما يراه من سلب الحقوق. أن والله أن يتبصر المصرى ويشابه رجال أوروبا فى الأخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصا على ما بقى وطمعا فى فرص المستقبل وتحقيقا لآمال الانكليز فى صلاحنا على أيديهم حتى لايبكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا «طول العمر يبلغ الأمل» وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها فلايحملن الطيش الأحمق منا على التهور والتخلق بأخلاق البهيم فإننا نعلم أن صيانة بلادنا موقوفة على حفظ الراحة ومعاشرة الأجانب والنزلاء بالمعروف وبقائنا على الهدو والسكون وبعدنا عن الفتن التى يحركها الدخيل والأجنبى لمصلحة دولته فيجنى ثمارها ويلحقنا عارها وناهيكم مذبحة الاسكندرية التى تعيرنا بها أوروبا إلى الآن وهى تعلم من أحدثها من رجالها بحيث تسميهم رجلا رجلا تقدر ما صرف للإجراء جنيها جنيها وقد نجت من نسبتها إليها وجعلتها قوباء فى غرة مصر ومصر بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذى ألحقه بنا بعض المأمورين فى فتنة طنطا التى دفعته اليها اليد الأجنبية أيضا فباء بخزى الدنيا وعذاب الآخرة ولحق ببيته غير مأجور على سعيه ولامشكور على فعله

وهذا جزاء ضعفاء العقول الذين يتجرأون على ضرر عباد الله وإهلاكهم فى مصلحة من يرضيهم بما لايساوى قلامة ظهر إنسان تا لله أنه لو جاز لمصرى أن يصرح بكل ما يعلم لذكرنا من الحقائق العدوانية ما يكون عبرة وذكرى لقوم يعقلون. وفى الإشارة ما يغنى عن الخبر. فاعتبروا يا أولى الألباب. ومن لم يقرأ العواقب وقع فى المعاطب. والعاقل من اعتبر بغيره. فالله الله أيها المصريون فى أنفسكم وأميركم وأعراضكم وأموالكم وبلادكم. جاهدوا أنفسكم فى توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن أبواب أوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم أمة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة على حقوقها والمطالبة بخصائصها ولاتشغلكم المظاهر الأجنبية عن تصحيح أغاليطكم وتطهير بواطنكم ولاتظنوا أنكم عاجزون عن استرجاع مجدكم والقيام بأعمالكم فإنما أنتم بشرمثل رجال أوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجهلناها ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم وجنسيتهم وتهاونا فى البعض وتركنا البعض فإذا جاريناهم فى طرقهم الوطنية ساويناهم فى الخصائص والمزايا ودوّنا لنا تاريخا جليلا يفتخر به الأبناء وترحم بسببه الآباء . عما قريب تنبش قبور آبائكم وأضرحة عبادكم وسادتكم لتؤخذ تلك العظام النخرة إلى معامل سكر أوروبا حتى لايبقى هناك أثر لذى مجد من الشرقيين فإن خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدى تراب قبورهم فإننا نرى الأوروبيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها فى أوطانهم حتى يزورها الآتى ويقرأ تاريخها العجيب.

لاتظنوا أن هذا لسان التخريف أو التزييف فإنكم ان استبعدتم الأمر وانتم على ما انتم فيه من التهاون والإهمال فكل ما هو آت آت وأن تنبهتم لذلك وحافظتم على أوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم المكفولة ببقاء الخديوي الأعظم فى

منصة حكمه مؤيدا بخضوعكم إليه وتأييدكم مبادئه الوطنية وأعماله الإصلاحية رضى الله عنكم وأرضاكم وحفظت أضرحة ساداتكم وقبور موتاكم وما ذلك بعزيزعلى أمة خالطت كل الأمم وقرأت تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم للوطن وحكومته وساح منها فريق بلاد أوروبا وعرفوا طرق التقدم والإصلاح . أفيليق بمن هذه صفتهم أن يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوى وفى الخمارات واجتماعهم للتشاتم والتقاذف بالمذام والسعى فى المضار . لا والله أن هذا لمن أكبر العيوب وأعظم المصائب ومن لم تتبهه الحوادث فهو الغافل ومن لم يؤدبه الماضى اضربه الآتى أفلا يحركنا قول أوروبا لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

«أنا خوك فلم انكرتنى» ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون فى جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم فى مصر ألم يكن الأجدر بنا أن نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية فى صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها . ابراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل وجنسه ودينه أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا فى خدمة الأجنبى لنعينه على إخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجنى على غير جان . بئس والله ما وصلتنا اليه هذه الخزعبلات التى نسميها معارف وآدابا زرعنا الاحقاد فى قلوبنا بغيا وعدوانا . أهلكنا أنفسنا بالعداوة فى غير مصلحة جهلا وحماقة. فضحنا أنفسنا بنقل عوراتنا للغير سفاهة وجنونا .بعنا هيئتنا للأجنبى بلا ثمن خبلا وبلاهة. ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم فى حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لحسدتنا المعالى ووقفت أوروبا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال ولكن قضت شقوة الشرقيين أن يكونوا كحطب النار ياكل بعضه بعضا لينتفع

الغير بنارهم اصطلاء وطبخا واستعمالا فيما يشاء والعهد قريب والعود غير عسير فما نتكلف فى جمع الكلمتين وتوحيدهما أكثر من الانصراف عن شياطيننا الذين قاموا فينا خطباء ووعاظا بدروس يتلقونها اليوم بعد الآخر عن الأجنبى وتبادل الزيارات والمسامرة فى المجامع وإخلاص السير وما ذلك على الله بعزيز. وإلا إذا بقينا على هذا التنافر والتضاد اتخذنا الأجنبى آلات لتنفيذ أوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الأمر إلى ما لاتحمد عقباه بجهالتنا واعتمادنا على العضد الأجنبى وفى ذلك من الخزى والعار ما لا يمحوه أكبر الحسنات. وأسفاه على رجال قضى اباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لايفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبى فجاؤا من بعدهم وخالفوا سيرهم وحالفوا غيرهم وخدموا الأجنبى بمساعدته على التداخل فى بلادهم بل على الاستيلاء عليها لا لعداوة بين الأمتين ولا لحرب جرت فى الوطنيين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ. وإن قيل إن جامعة الدين اضطرتهم قلنا إن غر الاستقلال بالوطنية خير من الإزلال بجامعة الدين فإن الأجنبى يغر الرجل منا حتى يوصله إلى غرضه ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء ولا يعرف له حقا غير خدمته ولا يفرق بينه وبين من غايره دينا فى الاستخدام والاهتعباد. أنقول هذا وقتنا فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالى جاء المستقبل على أهلنا وإخواننا بالعز أو بالهوان. بئس ما يختاره الرجل لنفسه من أن يطعم لقمته مغموسة فى دماء جنسه واخوانه، إن البهيم ليدافع عن جاره فضلا عن نوعه فكيف يرضى العاقل أن يكون أقل فضيلة من البهيم « إن كان هناك اعتقاد بجنة ونار فتقربوا إلى الله بما يدخلكم به جنته وليس ذلك إلا البعد عن مساعدة الأجنبى على اخوانكم وان كان الاعتقاد وجود الله وخلود النفس فقط أو لا رب ولا إله كما يقول الفريق المدنى الاحمق فبيضوا

صحائف التاريخ بمجد خالد وذكر جميل وإن كان لا اعتقاد رأسا ولا [illegible] ولا شرف وإنما هى بهيمية محضة تبعثنا الطبيعيات فيها إلى مالا تعلق للعقل فيه فيا سوء ما وصلنا إليه. وبالجملة فإن آخر الدواء الكى وقد بلغ السيل الربى فإن رفأنا هذا الخرق وشددنا أزر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربية وتركية أمكننا أن نقول لأوروبا نحن نحن وأنتم أنتم وإن بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوروبا أن تطردنا من بلادنا إلى رؤس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي وتصدق قولها لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا .

(من خطبة يوم الجمعة وهو مختف فى الريف)

الحمد لله الذى أحل البيع وحرم الربا وهو أعلم بمصالح العباد * وأجاز القرض والرهن والسلم بلا ازدياد * فمن أطاعه تطهر ومن عصاه تضمخ بالأوساخ * احمده حمد من اتبع الزواجر * واشكره شكر من انزجر بالزواجر * واعبده عبادة من وحده حتى كبر وشاخ * واصلى وأسلم على المخصوص بالوسيلة الفيحاء * سيدنا ومولانا محمد صاحب الشريعة السمحاء * وعلى آله وصحبه الأساتذة الأشياخ * عباد الله ما شدد الله تعالى فى محرم تشديده فى الربا * فعد مرتكبه بعد النهى محاربا * وأمره تعالى لايقبل الانتساخ * فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله * إن شاء الله عفا عنه وإن شاء آخذه بما جناه * ومن عاد فأولئك أصحاب النار يوم لاينفع الصراخ * فتأملوا تهويله تعالى فى خطابه أهل الدين * يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فياله من وعيد يصم المصاخ* الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس * يوم يخرجون من الأجداث ويذكرون ما فعلوا بالأمس * ويأكلون النار كما أكلوا الربا فى البيوت والأكواخ * الربا وإن كثر فهو إلى قل كما قال صاحب المعراج. * فلا تغرنكم ثروة المرابى فإنها ابتلاء واستدراج * وإثمه يشترك فيه الآخذ والمعطى والشاهد والواسطة والنساخ * غركم المرابون بالنقود فتوسعتم توسع المفاخرة * ثم استولوا على العقار والمزارع فجمعتم بين خزى الدنيا وعذاب الآخرة * واستخدموكم اجراء لما وقعتم فى الفخاخ * وقد عمت به البلوى حتى عرفه النساء فى الربوع * فتقول المرأة لجارتها اسلفينى قرشا بستين فضه إلى اسبوع * وآتيك به عند بيع الغزل أو الفراخ * بل استعمله الناس استعمال الأمر المشروع * وعدوه

نوعا من أنواع البيوع * ولفقوا له صورا لتثبت صوككه عند القضاة بلا انفساخ * وكم من حيلة يضعونها وما ربك بغافل عما يعملون توالت علينا المصائب فإنا لله وإنا اليه راجعون * وقد صارت المواعظ كالزرع فى السباخ * فاتقوا الله وذروا ما بقى من الربا واطلبوا منه المغفرة * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين يوم ينقض عليكم الزبانية كالرخاخ

الحديث

قال صلى الله عليه وسلم من أجبى فقد أربى أي من باع الزرع أو الثمر قبل بدو صلاحه * وقال صلى الله عليه وسلم الربا وإن كثر فهو إلى قل

(خطبة ثانية)

الحمد لله ذي السطوة العظيمة العامة * والوطأة الشديدة التامة * والحكم النافذ فى جميع العباد * أحمده حمد من عرف بطشه فخافه ورجاه * واشكره شكر من علم عفوه فلجأ اليه ودعاه * واعبده عبادة من ائتمر بأوامره وانتهى بنواهيه ليبلغ المراد * وأصلى وأسلم على من جرت من بين أصابعه المياه * سيدنا ومولانا محمد واسطة كل مخلوق إلى مولاه * وعلى آله وصحبه الموالى والأسياد * عباد الله إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان * هذا نص آله العالمين فكيف يخالفه الإنسان * لايخالف مولاه إلا من أضله عن سبيل الرشاد * اجتمع فى الخمر من المفاسد مالا يجتمع فى غيرها من البواعث * وحسبك قول الشارع صلى الله عليه وسلم الخمر أم الخبائث * فانطوى تحت هذه الجملة أنواع الفساد * كل مسكر خمر وكل خمر حرام * فالعصير والنبيذ شريكان فى الآثام * وبه الفتوى فى مذهب أبى حنيفة

كما اعتمده ابن العماد * شارب الخمر يغيب عقله فيتكلم بما به يفكر * وربما طلق زوجته وهو لايشعر * والحكم عليه كالحكم على العاقل لتعديه بالسكر بعد الاعتقاد * شارب الخمر لا يبالى بالزنا والقتل والسب والفحش * ويعامل الشريف والوضيع معاملة الوحش * فإن الفارق بينه وبين البهيم غاب عنه وحاد * قد صرنا إلى زمان فتحت فيه المواخير فى الشوارع بلا نكران * وصارت مجامع الأمراء والوجهاء والأعيان * وعم الأمر حتى شربها النساء والأولاد * وقد تنقلت من المدن إلى الأرياف * واجتمع عليها مشايخ القرى والعمد والأجلاف * فلا يوجد فى البلد من لايشربها إلا آحاد * وقد اختلطت بسببها الانساب فى القرى والبنادر * فلاتجد ولدا يشبه أباه إلا النادر * وقد فقدت الغيرة فلا إنكار ولا انتقاد * وإذا تأمل عاقل فيما تركناه من الأحكام * قال إن هذه الدار ليست دار إسلام * فلا زجر ولاحدود فما بقى إلا الجهاد * فتوبوا إلى الله تعالى من هذه الذنوب * وطهروا أنفسكم ودياركم من هذه العيوب * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عادت لكم الانكاد * وتداركوا أنفسكم قبل أن تؤاخذون بما تعملون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون * قولوا انتهينا يارب قبل أن يحال بينكم وبين التوبة فإن الله قد حكم بين العباد .

«الحديث» قال صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة له .

***

(عقد اتفاق)

اجتمع المعلم حنفى وأبو دعموم ومرعى وحنيفة ولطيفة ودميانة وزبيدة ونبوية

عند نديم وأنابوا المعلم حنفى ليتكلم عنهم فقال مرادنا تعمل لنا مدرسة في جزنالك تعلم الأخلاق اللطيفة والآداب الجميلة ماذا تقول ياحلو . ن. حبا وكرامة ولكن المدرسة يلزم أن يكون كلامها بالعربي الصحيح ليس باللغة العامية . ح. ويمكن أن ما نقدر نفهم الكلام العربي النحوي لأنه كلام صعب على الستتات والناس امثالنا . بقى انت تريد تحرمنا من التعليم بكلامك النحوى . ن. لكن على انى أخاطبكم بكلام يفهمه الطفل الصغير والرجل والمرأة من غير تعب ولايحتاج لتفسير ولا لشيخ يقول لكم على معناه . ح. واذا كنت تمشى مثل ما كنت ماشى ماذا يكون هو أحد خانقك على الكلام العادي. ن. أما أن أحدا خانقني فإن ذلك ما حصل وإنما رأيت بعض المشتركين فى الاستاذ أرسل محاورة بالكلام البلدى تراها مطبوعة فى الملزمة الثالثة فخفت إن الكتابة تمشى بالبلدى فنحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الأجنبى وجيش اللغة العامية فلذا جمعتكم لاخبركم أنى مستعد لمخاطبتكم بكلام بسيط من جنس البلدى فى سهولته ولكنه عربى صحيح . ح . بقى الكلام المخصوص بالمدرسة يبقى بالعربى النحوى. ن. نعم . ح. الآن اسألك عن حاجة لما تحب تتكلم مع لطيفة أو غيرها تكلمها بالنحوي والا بكلام النسوان. ن. أكلمها بالعربى الذى تفهمه مثل ما تفهم كلامها العادى من غير فرق. لطيفة. اسألك عن مجلس الهوانم فقل لى على ما جرى فيه وما تم عليه الرأى. ن. عند ما انعقد مجلس الهوانم قالت أم حسن لما تحضر أزواجنا سكارى نضربهم. فقالت الست نجيه أولا ضرب الرجال من النساء أمر قبيح ولاتفعله إلا قليلة الحيا عديمة التربية ولايقبله على نفسه إلا رجل دون عادم الشرف ليس له بين الرجال قيمة. ثانيا إن العصمة بيد الرجال فيمكن أن المرأة اذا ضربت زوجها يطلقها اذا كان فيه حرارة وبعد ما تكون ست بيتها تصبح عدم العدم والداهية أنها اذا

كان معها أولاد وكانت فقيرة الحال فإنها تحتار بهم وإن راحت بيت أبيها تبقى قاعدة مثل الغريبة. فقالت نفوسة. إذا جاء الرجل وهو سكران نقفل الباب فى وجهه ونتركه ينام على الباب لأجل يتأدب. فقالت الست سنيه. هذا رأى بطال فإن المرأة إذا قفلت الباب فى وجه زوجها يغضب عليها ويمكن يطلقها والواحدة إذا أمكنها تطرد زوجها وتخليه ينام على باب بيتها أوفى بيت ثان يبقى الرجل عندها مثل الخدام فتقل قيمته وتبهدله بين الجيران والست منا اذا ما كانت تعرف قيمة زوجها تبقى هى والكلب على حد سواء فقال الست أم فلتاؤس. نعذر الرجال إن سكروا ونضيق منافسهم لأجل ما يتوب الواحد منهم وكل ما جاء واحد وهو سكران ننزل عليه بالكلام المؤلم ونرذله بين أولاده حتى يعرف قيمة نفسه ويفضها سيره. فقالت الست نجيه. الواحدة إذا طال لسانها على زوجها صارت قليلة الحيا وضيعت الأدب ويمكن الرجل ينفر من كلامها ويطلقها. وفى أي شريعة أن المرأة تشتم زوجها وترذله هذا رأي فاسد. نحن يلزمنا التمسك بالآداب مع الرجال ونحافظ على شرفهم ونعطيهم حقهم الواجب علينا فى كل وقت حتى لو كانت الواحدة منا غنية وزوجها فقير لا بد أنها تعطيه حقه وتعرف مقامه فإن الرجل هو عز المرزة وحافظ شرفها وهو الساعى فى المعاش التعبان فيه وعليه مدار البيت والمرأة من غير الرجل لاتساوى ابيض ولا اسود والواحدة منا على رأي المثل سيدى ما أحسن وصفه لا في يده ولا فى طرفه . الست عزيزة . نعمل طريقة لطيفة نكتب للحكومة نطلب منها أنها تصرف للمستخدمين السكارى نصف ماهيتهم وتعطى نسوانهم النصف الثانى وتحيل أولاد البلد السكارى على المجلس الحسبي وتعمل لهم مشرفين مثل المعاتيه يحافظون على أموالهم أظن أننا إن عملنا هذا العمل نحفظ حقوق إخواتنا الهوانم والستات ونهذب أخلاق الرجال. الست نجيه. لايخفاك إن الحكومة

لاترضى بهذا الرأى فإن كل إنسان حر فى ماله وهو المسئول عن بيته وعياله ومسئلة المجلس الحسبى لايجوزها قانون ولا حكومة ومع ذلك فإن هذه فضيحة كبيرة للرجال وعار للنسوان وإنما الرأى عندى إننا نكتب عرض حال للسكارى عن لسان أزواجهم بقلم النديم وننشره فى الأستاذ ويكون من باب الرجا والالتماس فإن نفع ورجعوا عما هم فيه من البلاوى يا دار ما دخلك شر وان استمروا فى خسرانهم نكتب عرض حال للحكومة وتبقى تعرف شغلها فيمن يأخذ فلوسها ويرصفها فى ضياع عقله وشرفه. الجميع. هذا هو الصواب ثم ان نجيه هانم كتبت لى تقول أن الستات اتفقت كلمتهن على أنك تكتب عرض حال عن لسان نساء السكارى إلى أزواجهن فأنا بالنيابة عن الكل أرجوك أن تكتب عرض حال يلين الحجر ويبكى الذى عمره ما يبكى وأنت لا تحتاج لوصاية فإنك عارف بالحالة كما ينبغى وبالله عليك ما تخلى وراك ورا فى الاستعطاف بالكلام الطيب وتعال لهم من باب مسح الجوخ وهز القاووق وعرفهم شرفهم وصبر نسوانهم عليهم كل هذه المدة الطويلة وربنا يأخذ بيدك ويجزيك عن الولايا كل خير . ن. سمعا وطاعة لابد أن اكبت ولو يشتمونني .

(عرض حال نساء السكارى لأزواجهن)

نسؤكم اللاتي أخذتموهن بكتاب الله تعالى واستلمتموهن من آبائهن على أنهن أمانات عندكم وضربتم عليهن الحجاب غيرة على أعراضكم وحفظا لأنساب أبنائكم ومنعتموهن من مخالطة الرجال والخروج إلى المجامع تشريفا منكم لهن وتعظيما لمجدكم المرتبط بعفافهن وصيانتهن يتقدمن بين أيديكم بهيئة الخضوع والادب ولسان الذل والاحترام سائلين مقام رجلويتكم ان تتفضلوا عليهن ببعض الذى تنفقونه فى الملاهى ومذهبات العقل والشرف ليسددن به

رمق العيال ويحفظن لأنفسهن حق التمتع بلوزام الزوجية كما يلتمسن أن تصرفوا بعض أويقات فراغكم من الأعمال بين أولادكم تلاعبونهم وتهذبونهم وتجبرون خاطرهم بوجودكم بين أعينهم وإلا اذا بقيتم على ما أنتم فيه ونحن حبيسات البيوت من ترونه يجالسنا ويؤانسنا فى الليالى الطويلة التي تقطعونها فى مجالس اللهو واللعب. هلا تأملتم وتدبرتم وعلمتم أننا خلق مثلكم يطرأ علينا من العوارض ما يطرأ عليكم ولولا حجاب الشرع وشرف الوحدة منا لساءكم منا ما ساءنا منكم معاذ الله تعالى. ألا ترون أن الافرنج الذين أباحوا لنسائهم الخروج لايدخل الرجل منهم مجلسا إلا وقرينته معه وهى كذلك لا تخرج من بيتها ما دام زوجها فى عمله وما يفعل الرجل ذلك إلا ليعطيها حقها فى وقت فراغه من العمل وحيث أن خروجنا ممنوع شرعا فوفونا حقوقنا بوجودكم معنا فى البيوت للأنس بكم ودفع الوحشة والريبة عنا . على ان الافرنج الذين قلدتموهم فى شرب المسكرات والقعود فى البير لا يأكل الرجل منهم لقمة إلا مع زوجته وأولاده وقد رتب أوقاته وحددها لزوجته فهي تعلم أنه يأتى ساعة كذا وأنه الآن فى مكان كذا فإنه لا يخطو خطوة إلا أعلمها بها مع انهم لايشربون من الخمر إلا ما يمرون به الطعام لتعودهم في بلادهم الباردة وانتم تركتمونا وديعة عند الاهمال واهدرتم حقوقنا واغفلتم ابناءكم وهجرتم بيوتكم ووصلتم اللوكاندات فإن كنا لانحسن الطبخ وترتيب ادوات السفرة فاستخدموا لنا من نتعلم منهن من الطابخات لنساويكم فى أكل النظيف والجميل من الأطعمة وكيف ترضون لأنفسكم أن تاكلوا شيئا لم تره أولادكم ولا ذاقته نساؤكم. ولاي علة حبستمونا فى البيوت اذا كنتم لاترضون لانفسكم القرار بها وتعلمون انكم مسترسلون خلف لذائذكم لاتبالون فى تحصيلها وقعتم فى العار أو رددتم الى النار . أى شرف لرجل تضحك عليه اطفاله ويعاشر المرأة معاشرة الأبله

المجنون إلى من تتزين المرأة منا بعد فراغها من عمل البيت اذا جئتمونا سكارى مساطيل لاتنظرون ولاتعقلون . بأى سوط تتأدب المرأة وقد تعطلت حواسكم بسورة الشراب وربما وقع الرجل منكم طريحا كأنه بين يدى المرأة قتيل. افتونا هداكم الله تعالى اذا نزل علينا لص وأنتم فى خمود السكر من يدفعه واذا احتجنا القوت أو اللباس وانتم مفلسون من يأتينا به واذا طردتم من الخدمة أو أفلس تاجركم ولا شيء عندنا من يموننا وبماذا نقيت عيالنا . ارحمونا يرحمكم الله فقد ضج منكم أهل الملاء الأعلى يشكون الى الله تعالى سوء فعلكم وقبح سيرتكم إن البهيم النفور يلاين فيرجع عن نفوره ويستأنس بصاحبه ونحن نخدمكم وننظف ثيابكم وأبدانكم وبيوتكم ونطبخ وننخل ونعجن ونخيط ثيابكم ونتزين لكم بكل ما نقدر عليه ولايزيدكم عملنا إلا نفورا منا وبعدا عنا . هل نحن جنس آخر غير مألوف عندكم. تراكمت علينا المصائب فبمن نستغيث وضاقت طرق الحيل فبمن نستجير ليس لنا فى هذا الباب إلا نخوتكم الانسانية وغيرتكم الزوجية وتعطفاتكم على كسيرات الجناح ضعيفات الجانب مغلولات الأيدى محجوبات الابصار عما فى العالم من غير ازواجهن .. رفقا رفقا فقد دارت حولنا الضرورات. عطفا عطفا فقد تلوت علينا سبل الاصطبار حفظناكم فيما مضى فاحفظونا فيما بقى. خدمناكم بالذات فكافئونا بالالتفات. إلا تذكرون أننا مع ما أنتم فيه من الاغضاء عنا نجزع إذا أصبتم ونمرض إذا مرضتم ونبكى إذا غبتم ونتلهف إذا أبطأتم سيئاتكم عندنا مغفورة واساءتكم محتملة. وهذه فروض نقدمها لكم استعطافا لخاطركم واستجلابا لمحبتكم ولم يفرض الله تعالى علينا شيئا من ذلك بل كلفكم بكل ما يلزم المرأة من ضروريات المعاش وما عليها إلا أن تسمع وتطيع. أجيبوا ملتمسنا منكم فقد رفعنا هذه العريضة إليكم مشهدين عليكم أهل بلادنا وجموع العقلاء راجين من

الله تعالى أن يلهمكم الصواب فى أمرنا ويردكم عن طريق الغواية إلى سبيل الهداية وأن يديم علينا ستره ويحفظنا من العار والنار فى هذه الدنيا ويوم القرار فإنه القادر على ذلك وحده جل شأنه الإمضا (حرائركم)

(مدرسة البنين)

(نديم وحافظ)

ح. وعدتنى فى الدرس الماضى أن تعلمنى شيئا من الحقوق المدنية وها أنا مستعد للتلقى فتفضل بما تسمح به النفس الكريمة. ن: أراك قد ترقت أفكارك ودخلت فى طور أدبى وصلت إليه باحتكاك أفكارك فى أفكار إخوانك التلامذة المتنورة بمصباح الأساتذة القائمين بنقلهم من الجهالة إلى العالمية فيجب عليك أن تعرف قدر نعم أشياخك ومعلميك وتحترمهم إذا حضروا وتثنى عليهم إذا غابوا كما يجب عليك أن تحفظ حقوق إخوانك التلامذة الذين معك فى مدرستك والمتعلمين فى مدرسة أخرى وطهر باطنك من بغض أبناء جنسك فإذا رأيت أحدا متقدما عليك فى الدروس فبدل أن تحسده وتسعى فى إضراره تمنى له النجاح لتنتفع به وجد لتدركه. وإن ذكر أمامك واحد من أبناء جنسك فتلطف فى ذكره بخير وإن ذكر الغير له معائب فادفعها بأدب واذكر محاسنه وآثاره وشرف عائلته ومجده فى سيره فإنك إن جريت على أفكار الغير وذممت أخاك فقد قطعت الوصلة التى بينك وبينه ومكنت الغير منك ومنه فهو يلعب بك وبأفكارك متى شاء. ولا تجعل محبتك لاخيك طريقا لبغض غيركما فإن المجتمع الإنسانى قاض بالتئام الأجناس ووقوف كل عند حدوده وانتفاع كل جنس بمزايا الآخر وفوائده العامة وقد مليء الشرق عموما وبلادك خصوصا بالأجناس المتنقلة خلف التجارة والتماس التجارة والتماس الرزق فيلزمك أن تعامل الناس معاملة

العارف بحقوق المدنية الحريص على حفظ الخصائص الوطنية ولا تسع فى ضرر الغير لئلا تجلب على نفسك واخوانك الدمار وتمكن الغير منك. ولا تسكت عن نصح إخوانك وتعليمهم كل ما تتعلمه منى ومن اساتذتك لتكون مدرسا أيضا تعلم العاجزين عن دخول المدرسة أو المتخوفين مها فتحثهم بمعارفك وآدابك على دخولهم معك فى أماكن التعليم. واحرص على استجلاب رضا والديك بالتأدب معهما والتلطف فى مخاطبتهما والإسراع فى إجابة طلبهما والبعد عما يكرهانه وإياك أن تظهر النفور من أمر يأمرانك به بل إذا أمرك أحدهما بأمر ورأيته ضارا بك أو به أو مخالفا للأدب أو مغايرا لما عليه أبناء جنسك أو خارجا عن حد طبقتك فتلطف فى رده بتبيين السبب والضرر. ولاتقبح لهما عملا خاصا بهما وإن رأيته موجبا لمؤاخذة أو لعار فاسلك طريق الالتماس والرجاء مع الخضوع والخشوع ليكون رجاؤك مقبولا مثلا إذا رأيت والدك يأكل وهوماش فلا تقل له إن هذا شأن الرعاع وعادة الأوباش فتنفره منك وربما قطعت ما بينك وبينه بهذه العبارة الخشنة بل قل له إن بعض الناس كان عند القاضى يترافع مع شخص فى قضية واورد الشهود على حجة دعواه فجاء خصمه ببينه نفى ليدحض دعواه فعارضه بأن شهود النفى يأكلون فى الطريق وهذا مسقط للعدالة وبتجريح شهوده حكم له بصحة دعواه لعدم وجود ما يبطلها ومن وقت ما علمت أن الأكل فى الطريق مسقط للعدالة مضيع لاعتبار الإنسان عند القاضى ما أكلت شيئا فى الطريق حتى إذا اشتريت لب البطيخ الذى يأكله الناس فى الطريق فإنى استحيى من أكله ماشيا لئلا يسقط عدالتى وهكذا كلما رأيت منه أمرا مخالفا تلطف فى تفهيمه ما فيه من القبح أو العيب وهو يتنبه لتركه وتكون نصيحتك بهذه الصورة أوقع فى النفس من التشنيع عليه الذى ربما صار إغراء على الفعل. واستشر والديك فى أمورك الخاصة بالبيت لتدخل

عليهما السرور بإرجاع أمر البيت إليهما ولو تخالفهما في مشورتهما إذا رأيتها غير نافعة وتعتذر لهما عن العدول عن رأيهما . واحفظ أسرارهما فإنها عورتك التى إذا ظهرت كان عارها عليك. واستر عيوبهما فإن مجدك الأولى مربوط بمجدهما . وإذا ارتفعت لدرجة ثروة أو رتبة فارفعهما معك بتحسين ثيابهما وإجلال قدرهما وإبعادهما عن كل ما يعيرك به متتبع لعيوبك. وتغافل عن هفواتهما معك حتى إذا تمكنت من تنبيههما فتلطف فى ردهما واحرص على تعليم اخوانك التلامذة هذه الفضائل ليكون مجموع الجنس فى فضيلة واحدة . والتزم الصدق فى أقوالك فإن الرجل إذا كذب كذبة وعلمت للناس ترقبوه فإذا كذب ثانية سقط اعتباره وأهدر حديثه الصدق وعد كذبا حتى لو حلف لهم على أمر فإنهم لايصدقونه . ح. إنى إذا قلت الصدق فى كل شيء تتعطل علي أمورى فإن الإنسان يجب أن يكذب ليروج كلامه عند السامع ويقضى له حاجته. ن. هذا عين الخطأ فى الفهم فإن الإنسان يقضى بالصدق مالايقضيه بالكذب حتى لو وقع فى جناية وأوخذ بها لإقراره بالصدق فإنه اكتسب شرفا يفوق ما كان يتمناه لو كذب. على أن الإنسان إذا احتال لوقائعه فإن احتياله بالجزئى لايقدح فى صدقه الكلى فإن مايوجب الاحتيال وقائع يندر حصولها فلا تؤثر فى عادة المرء التى رفعته بين قومه والمطلوب البعد عنه هو استعمال الكذب لقضاء الأوطار به أو لغش الناس أو لإيقاع الفتن والبغضاء بينهم أو لإفساد طائفة أو غير ذلك مما هو قبيح عند كل إنسان. وإياك أن تسرق دفاتر أخيك أو قلمه أو دواته أو شيئا مما يختص به فإن أقبح عيوب الإنسان السرقة واللصوص إنما ألفت السرقة بالتعود والانتقال من سرقة البيضة إلى سرقة الفرخة ومنها إلى الخروف إلى الثور إلى الهجوم على البيوت فطهر نفسك من هذه الرذيلة وعودها على الأمانة حتى لو خانك إنسان فى شيء فلا تخنه أنت لأنك استقبحت عمله

وعلمت أنه نقص فيه فكيف ترضى بالقبيح والنقص بعد ذلك. ح. وإذا شتمنى أحد اخوانى ماذا اصنع. ن. انت تعلم أن الشتم قلة حياء وبذالة لسان ولايرضى به إلا الدون من الناس فإذا شتمته فى مقابلة شتمه فقد ساويته فى رتبته وجرأته عليك وحرضته على التوسع فى الشتم وافتراء القبائح اليك فالأحسن أن تسكت عنه سكوت حلم فإنك تخجله وتسكته عنك فإذا اعتذر إليك فبادر بالسماح وبش فى وجهه والتمس له ما لا يلتمسه من الأعذار فإنك تأخذه أسير حلمك وتلطفك معه وتصيره حبيبا بعد أن كان عدوا فلا يعود لشتمك مرة ثانية حتى لو كنت فى المدرسة فلا تبادر بشكواه إلى الضابط واستعمل الحلم معه أولا وثانيا فإن رجع فقد غنمته وإن استمر كان سفيها ينبغى أن يؤدب فارفع امرك إلى رئيسك المتولى أمرك ودعه يؤدبه بما يشاء. وكما تكره شتم غيرك لك فإن الغير يكره شتمك له أيضا فإياك أن تطيل لسانك على أحد أو تقبح عمل أحد بغير حق أو بتشنيع عليه أو تغرى إنسانا بإنسان ليؤذيه ويضره انتقاما منه أو تجعل نفسك بمنزلة جاسوس لغيرك تنقل له أخبار الغير فإنها حالة مستقبحة عند كل إنسان ومتوليها مسترذل مبغوض لايكلمه أحد إلا اتقاء شره وحسب الإنسان نقيصة أن يعامل بالحسنى دفعا لشره لا رغبة فى ذاته وآدابه . ح. اراك تعلمنا هذه الدروس وغيرك من المعلمين يعلمون علوما شتى بين ابتدائية وعالية ولكنى مع صغر سني أكره بعض أمور تصدر من بعض الأفاضل فإني كثيرا ما اسمع بعض اناس ممن انتسبوا إلى العلم يسهرون مع أبي فإن ذكر عندهم عالم أو معلم قبحوا سيره وجهلوه وعدوا سناته سيئات وافتروا له ذنوبا وعيوبا ولم يردهم علمهم عن هذا الطريق القبيح فهل المقصود بالتعلم أن يصير الإنسان جرابا مليئا علما مع عدم تأثير العلم فى أخلاقه وإذا كان القصد أن يصير الإنسان بهذه الصورة فأى حاجة للعمل وقد ضاعت ثمرته

ولم يعمل العالم بعلمه .ن. إن ما ذكرته ليس أمرا مطردا فى كل فاضل معلم وإنما يوجد فرد أو فردان فى كل إقليم تحكم عليه دناءة الأصل وكبر النفس أن يوحد العالمية فى ذاته ويجهل غيره ومن اتصف بهذه الصفة تراه ممقوتا بين الناس مطالبا نفسه بما ليست له بأهل وإلا فإننا لم نر معلما إلا وهو متحل بأحسن حلية صاغتها الآداب والمعارف وله أخلاق يعشقها كل من خالطه وعاشره وقد بعد كل فاضل عن ذم الناس والوقيعة فيهم لعلمه قبح هذا الأمر ولتصديه لتعليم الفضائل والتحذير من التلبس بالرذائل فإياك أن تقع مرة ثانية فى حق المعلمين الذين هم أرواح الأمم أو أن تقيس الأمة على فرد منها وما حملك على ذلك إلا صغر سنك وعدم اختلاطك بالناس وستكبر إن شاء الله وتتأهل للدخول فى مجالس العلماء وترى من محاسن أخلاقهم ولطائف آدابهم وحسن معاملتهم وتلبسهم بكل فضيلة ما يحقق لك هذا الذى أقوله لك الآن .ح . أحب أن ترخص لى فى التوجه فقد أمرنى والدى أن أكون عنده وقت الظهر .ن. لا بأس من جعل الدرس ما تقدم ولكن احرص على ما فيه واتبع عملك به أيضا وسأقدم لك فى الدرس الآتى ما يلزم من مسائل العبادة إن شاء الله تعالى .

نديم وحافظ

.ن. حفظت الدرس الماضى. ح. نعم واحب أن تعلمنى الصلاة كما وعدتنى .ن. قبل الصلاة يلزمك تتعمل كيفية الطهارة. إذا كانت ثيابك نجسة يلزم أن تطهرها بالماء حتى تزول عين النجاسة ورائحتها إن كان لها رائحة ولونها إن كان لها لون ظاهر فى الثوب .ح. والنجاسة التى يلزم تطهير الثوب منها ماهى . ن. هى البول والعذرة سواء كان من إنسان أو حيوان عندنا معاشر الشافعية ودم الحيض والنفاس ودم الجروح والخمر ولمس الكلب المبتل والخنزير أو بيد مبتلة

فكل هذه نجاسات إذا تلوث الثوب بشيء منها لا يطهر حتى يغسل وتزول النجاسة والنجاسة الكلبية تغسل سبع مرات منها مرة بالتراب .ح. البول ليس له لون وكذلك الخمر اذا كانت غير ملونة فكيف نعرف طهارة الثوب منها. ن. إن كان لها رائحة فتغسل حتى تذهب وإن كانت خالية من الرائحة فتغسل حتى يغلب على ظنك إزالتها ويكفيك أن تصب الماء على الثوب المتنجس بهذه النجاسة حتى تذهب النجاسة. ح. اذا كان الإنسان ماشيا فى الطريق وحيوان يبول فأصابه رشاش هل ينجس ثوبه. ن. اذا كان الرشاش يرى بالعين الصحيحة ويحس باليد تنجس ويلزم غسله واذا كان لايرى ولايحس يعفى عنه .ح. اذا كان الإنسان فى زمن الشتاء والأرض فيها وحل أو ماء راكد وأصابه شيء من الوحل أو الماء ماذا يصنع .ن. مثل هذا يعفى عنه وإن كان نجسا لأن الإنسان لايمكنه الاحتراز عنه فالشرع خفف عنا ولم يلزمنا بغسل ذلك إلا إذا كنت تحب أن ثوبك يبقى نظيفا دائما فاغسله واذا تعذر عليك الغسل أو لم تجد ماء يكفى الغسل والوضوء فصل بأثر الوحل والصلاة صحيحة.ح. واذا تقيأ الإنسان وأصابه شيء منه ماذا يصنع. ن. يغسل الجزء الذى يصيبه القيء فإنه نجس لأنه خارج من المعدة فحكمه حكم الخارج من أسفل الإنسان. ح. على هذا يصير الفم نجسا أيضا. ن. نعم ويكفيك أن تتمضمض حتى يزول أثر القيء منه .ح. ورمص العين ووسخ الآذان نجس أيضا. ن. لا بل هما طاهران والعرق كذلك طاهر وإن كانت رائحته كريهة بل لو كانت رائحته رائحة العذرة فإنه طاهر لاينجس الثوب ولا البدن وإنما اذا كان الرمص فى العين قبل الوضوء يلزمك غسله لئلا يبطل الوضوء لأنه يكون حائلا بين الماء وبشرة الجفن أو الماق وفضلا عن كونه حائلا فإنه ضار بالعين مشوه للوجه أمام الناس واذا كنت عرقانا عرقا له رائحة يلزمك الاستحمام لئلا يتضرر الناس برائحتك فتكون

مبغوضا عندهم ينفرون من مجالستك ومع ذلك فإن تراكم العرق على الجلد يسد المسام ويحدث أمراضا صعبة فيلزمك تنظيف بدنك ليكون التنفس الجلدى مستقيما و لابد من غسل الإفرازات الجلدية لنظافة البدن والتحفظ على الصحة. ويلزم أن لاتتهاون فى الأشياء الطاهرة الملوثة للثوب مثل الطين والتراب ووسخ الجسد فإن وساخة الثياب تضر بالصحة وتنفر الناس منك وتصيرك فى حالة الازدراء فيلزم أن تكون ثيابك نظيفة طاهرة على الدوام ولا جل التحرز من النجاسة عند قضاء الحاجة يلزمك أن تقعد لقضائها إن كان فى الخلاء أو فى المرحاض لئلا يصيبك رشاش البول إذا بلت من قيام ولاتقعد فى مهب الريح لئلا يرد عليك البول فينجس ثيابك ولاتبل فى الطريق لئلا تؤذى الناس وتنجس نعالهم وربما كان فى المارين امرأة فتستحي من المرور عليك ولو كنت مستور العورة على أن البول فى الطريق وقاحة وتشبه بالحيوان البهيم إلا إذا كان فى محل معد لذلك فلا بأس به .ح. واذا احتلمت وتلوث الثوب بالنطفة هل ينجس. ن. أما عند الشافعية فإنه لاينجس لأن هذا الماء طاهر عندهم وإنما يغسل الثوب تنظيفا وعند المالكية يجب غسله لأنه نجس وعند الحنفية إن كان طريا يغسل وإن كان جافا يفرك وعلى كل مذهب يجب عليك الغسل وهو أن تعم جميع جسدك وشعرك بالماء وكذلك عندما تتزوج كلما باضعت زوجتك يجب عليكما الغسل فإنه لاتصح لك صلاة ولا يجوز لك أن تقرأ القرآن أوتمس المصحف أو تطوف بالبيت فى الحج إلا بعد أن تغتسل من الجنابة بنية التطهير منها . ح. ماذاأقول فى نية الغسل .ن. تقول نويت رفع الحدث الأكبر أو نويت استباحة مفتقر إلى طهارة فإذا اغتسلت بلا نية كان الغسل باطلا وبقيت على جنابتك .ح. وهذه الأحكام تلزم بطرس ورحمين صاحبى. ن. هذه من أحكام ديننا الإسلامى ، وأما بطرس ورحمين فإن لكل منهما رئيسا دينيا يأخذ عنه أمور دينه. ويعلمه

الواجب عليه إنما النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك فيجب عليهما تنظيف جسدهما فى الحمام أو بالاغتسال فى البيت وتنظيف ثيابهما لأجل حفظ صحتهما وعدم تضرر الناس منهما ولا تنس أنهما بالنظافة وحسن الثياب فإن النفس تسر بما تراه من حسن هيئة البدن والثياب وتتقبض بالوساخة والروائح الكريهة فالدين ليس بشرط فى النظافة والتجمل بأحسن ما عند الإنسان عند خروجه إلى المجالس العامة ويلزمك أن تنبههما على ما يلزم من هذا القبيل فإنهما ابنا وطنك وإنسانان مثلك والدين لايمنعك من نصح غيرك وارشاده فيلزمك أن تحافظ على دواعى الألفة ما دمت فى المجالس العامة فإذا جاء وقت العبادة ذهبت إلى المسجد وذهب كل إلى الكنيسة وبعد العبادة تعودون لتناول أشغالكم بلا تنافر ولا إضرار فإن الحقوق المدنية تقضى عليك بأمور كثيرة ..

(الانسجام)

هو عبارة عن خلو الكلام من التعقيد والحشو والكلمات المهجورة والألفاظ المستهجنة مع عدم تكلف الشاعر أو الناثر شيئا من الأنواع اللهم إلا ما جاء منها عفوا واسترساله فى موارد الرقة حتى يصير البيت أو القصيدة كالماء المنسجم وقد اعتنى به المتأخرون فهذبوه ورفعوه إلى ذروة الكمال واللطف وهو اليق ما يكون بصدور القصائد والغراميات فإن اتى به الشاعر فى مدح أو هجو زو فخر أو رثاء دل ذلك على اقتداره وقوة ملكته والقرآن العظيم كله من هذا النوع وانظر إلى الفاتحة التى يحفظها العوام والصبيان والنساء لسهولتها وأنسجامها وتأمل آية الكرسي الشريفة تجد انسجامها احلى من انسجام الماء وانور من نيرى السماء وقد اشتلمت على تسع جمل كل جملة تنادي بشأن من شئون الحق سبحانه وتعالى تحته حيثيات شتى الأولى. الله لا إله إلا هو الحى القيوم فهذه لبيان وحدانيته والرد على جعل مع الله إلها آخر أو نسب إليه شريكا أو ولدا أو بنتا تنزه ربنا عن ذلك وأنه حى لاسبيل لورود الفناء عليه قيوم أي دائم القيام بتدبير ملكه من إيجاد وإعدام وحركة وسكون وخلق ورزق وغير ذلك من الشئون. والثانية لاتأخذه سنة ولانوم أي أنه كما كان قيوما مدبرا لملكه فإنه لاتأخذه سنة أي فتور يتقدم النوم فإن القيوم اذا نام أو فتر غفل عن ملكه فتلاشى ووجود هذه الأجرام العظيمة على نسق لايتغير دليل على أنه لاتأخذه سنة ولا نوم وفيه رد على من اتخذ آلهة من الإنسان فإنه تأخذه السنة وينام وهذه صنعة العبيد لا الآلهة. الثالث له ما فى السموات وما فى الأرض أى أن ما فى السموات من فلك وملك وكوكب ونفس وما فى الأرض من عنصر ومعدن ونبات وحيوان ملك له وخلق لاتصرف لأحد سواه فى شىء منها وفيه رد على من يعبدون الكواكب والحيوان فإنها إذا كانت مملوكة للغير مصنوعة له مقهورة

بفعله مسيرة بأمره كيف تكون آلهة تعد مع فقرها وعجزها وانحصارها فى قبضة الغير فهذا الغير المالك لها هو الأحق بالعبادة والتوحيد جل شأنه. الرابعة من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي ليس لأحد أن يتقدم بين يديه بالشفاعة لأحد إلا من أذن له من خاصته واحبابه وفيه دليل سطوته وجبروته وكبريائه وانتهاء العظمة إلى حد أن لايجرأ أحد من خلقه كائنا من كان على الشفاعة قبل أن يأذن له. الخامسة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الضميران راجعان إلى السموات والأرض باعتبار ما فيهما من العقلاء أي يعلم ماكان قبلهم وما يكون بعدهم وما هوحاصل فيهم جزئيا وكليا فلا تغيب عن علمه ذرة ولايشذ منها هباء وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط ورقة إلا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين. السادسة ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء أى لايحيط أحد بشىء من معلومه تعالي إلا بالذى شاء أن يحيط به من جزئيات الأكوان وطوارئها وفيها إثبات لحجب الخلائق عن الوصول إلى مفاتح الغيب وأنه لايعلم أي مخلوق إلا ماتصل اليه أنظاره وأفكاره من المرئيات علما قاصرا عليها غير بالغ حد معرفة الحقائق على ماهى عليه فى نفس الأمر وفيها رد على منكرى معجزات الانبياء وكرامات الأولياء فإنه تعالى إذا شاء علم نبي أو ولي بكائن غيبي فتح له باب الوصول إليه فيخبر عنه قبل حصوله ويترجم عن الماضى بما كان عليه من غير أن يراه ويتكلم فى علوم لم تكتب فى أوراق ولا مارس شيئا منها مما هو مشاهد فى كل عصر من الأولياء وما ثبت فى الكتب السماوية من أخبار الانبياء. السابعة وسع كرسيه السموات والأرض أي علمه أو ملكه أو سرير معين تحت العرش كما جاء فى الحديث الشريف ما السموات السبع فى الكرسي إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على

تلك الحلقة وفيها دليل على إحاطته بكل كائن علما وحفظا وتدبيرا فإن السموات وما فيها اذا كانت كحلقة الكرسي والكرسي كحلقة العرش ونسبة العرش إلى ما فوقه من حجب الجلال والعظمة كنسبة الحلقة إلى الفلاة كانت جزءا صغيرا من كل كبير وهذا الكل مقهور لكبريائه متحرك بإرادته فقهر الجزء ودخوله فى باب العام والإحاطة مع صغره عن الكل أولى فسبحان من قهر بعظمته كل مخلوق. الثامنة ولا يؤده حفظهما أى لايثقله ولايعجزه حفظ السموات والأرض وما فيهما فإنه ما خلقهما إلا وهو قادر على حفظهما إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده وفيه رد على من ينسب الحوادث الجوية إلى الكواكب والحوادث الأرضية إلى الطبيعة فإنه إذا كان حافظا لهما كان حافظا لما فيهما لزوما ويلزم من حفظهما وحفظ ما فيهما أن لايقع فيهما إلا ما يريد واذا امتنع وقوع غير مراده امتنع وجود مؤثر سواه. التاسعة وهو العلى العظيم أي هو العلى فى ملكه وسلطانه وتصرفه واستئثاره بتدبير ملكه العظيم فى عزه وجلاله ومهابته وكبريائه فلا يشبهه شيء من العوالم ولا هو من شيء منها بل هو العلى عن الصفات الخاصة بالعبيد العظيم بالصفات الخاصة بالإلهية ففيها الرد على القائلين بالحلول والجسمية والأبوة فانظر لفخامة قدر هذه الآية واشتمالها على علم الأصول برمته وما يلحقه من أحوال النشأتين مع انسجامها وسهولة تركيبها ورقة الفاظها تعلم الفرق بين انسجام القوى القدير وانسجام العواجز الضعفاء فلو تعلق البلغاء بحبال الفصاحة فى سقف البيان وامطرتهم السماء بدل المياه معانى وانحصرت أنوار النيرين فى عقولهم ما قربوا من باب مجاز الوصول إلى مبدأ هذا البيان فضلا عن الحوم حول حماه قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

منادية بصوته مؤيدة مبتكراته فيقوى بذلك عزمه ويسهر في طلب راحة الأمة وتقدمها فرحا بمعرفة الأمة لقدره مسرورا بتدوين الأمة لتاريخه إذ لابد لكل إنسان من غرض ذاتي مهما كانت حرية ضميره في أعماله ولاغرض لخدمة الأوطان والأمم من كبار الرجال إلا حفظ تاريخ حياتهم بين الأمة التي يخدمونها ويتركون لذائذهم ومشتهياتهم في جانب تمتع الأمة بنتائج أفكارهم التي تركوا اللذائذ والمشتهيات لأجلها. وفي مقدمة رجال الهمم والآثار الملوك والوزراء فترى صورهم مرتسمة أمام التلميذ وأعمالهم مدونة بين يديه فيعرف قدر ملوك وطنه وشرف المحافظة على بيت الملك والدفاع عن أهله ومنصبهم الجليل إذا لاشرف لأمة لاملك لها ولامجد لمملكة أضاعت بيت ملكها ولهذا نرى الأوروباويين متعاضدين على حفظ ملوكهم متدافعين في طريق وقايتهم من العوارض الضارة قائمين بأداء واجباتهم وفروض رسومهم كما نراهم يتمدحون بوزرائهم وينادون بمجدهم وينشرون أعمالهم في جرائدهم ويحفظونها في تواريخهم ويعاملونهم معاملة الآباء الرحماء ويعظمونهم تعظيم أشرف الناس وأعلاهم قدرا. وبهذا أفنى الوزراء أعمارهم في خدمة الأمم وجدوا في حفظ أوطانهم وجلب موارد الثروة إليها وتربية أبنائها تربية الحكماء المدربين على جميع الأعمال ومن مبادئهم تحذير التلميذ من الثورة على ملكه أو إحداث الفتنة بين قومه وتنفيره من الانضمام إلى الأحزاب الفوضوية وتقبيح كل مخالفة لأوامر ملوكه ووزرائه التي تصدر للإصلاح وإحياء المعارف والصنائع ووقاية الملك من الأعداء. ويذكرون له بعض قصص الثائرين وما تم لهم من العقاب وبعض المعارضين وما انبنى على معارضتهم من الدمار فيخرج التلميذ قريبا من كل خير للوطن وأهله بعيدا من كل شر للوطن وأهله. ثم يضيفون لهذا كله تاريخ الأمم وما لهم من العلائق والروابط ويضمون إلى ذلك مكارم الأخلاق

ومحاسن الصفات والإرشاد إلى الاقتصاد المالى والانتظام البيتى وتعليم ضروب التجارة وما يلزم لها فإذا تمت لهذه المبادىء وانتقل منها إلى العلوم العالية خرج من المدارس قابلا للكمالات مستعدا للإدارات مؤهلا للسياسات فلا يزال يطبق عمله على علمه وأشغاله تشهد له حتى ينتظم فى سلك الرجال العظام وهناك تظهر ثمرات مجرباته وفوائد مخترعاته ومروياته ويشار إليه بأنه الرجل الذى بحسن تربيته وشريف عمله زاحم بمنكبه أعاظم الرجال . وهذه التربية هى التى رفعت ممالك أوروبا إلى أوج السعادة والمنعة وانتهت بأممها إلى سنام الكمال .

ومن هذا الإنموذج نعلم أن رجال الدين فى أوروبا هم أساتذة السياسة ورجال السياسة هم حفظة الدين فاتحد المبدأ والغاية وهذا عكس ما نراه فى جميع أهل الشرق فإن العلماء مبتعدون عن السياسة مقتصرون على العلوم الدينية فإذا عرض عليهم أمر سياسى أحجموا عن الخوض فيه لجهل طرقه وإن تكلموا فيه بالجراءة كان الخطأ أكثر من الصواب لعدم اشتغالهم بمثله ولهذا أهملهم الأمراء فى المجامع السياسة المدربين على أعمالهم مع أن فريق العلماء أحق الناس بالاشتغال بها والتفنن فيها وغوص بحارها فإن نوازل الملوك تقضى عليهم فى الغالب باستشارة العلماء فإذا جهلوا ما استشيروا فيه ربما أشاروا بما فيه ضرر الأمة وهم يظنون أنهم محسنون صنعا بخلاف ما إذا اشتغلوا بالأمور السياسية فإنهم بما عندهم من تربية الملكة واقتدارهم على فهم عويص المعانى يمهرون فى السياسة ويتقدمون على المشتغلين بها عمرا طويلا إذا اشتغلوا بها زمنا قصيرا وليس فى النصوص ما يمنع من الاشتغال بها حتى نعده معصية بل كل العلوم الشرعية من قواعد السياسة فإن أبواب البيوع والزروع والوقف والحرب والسلم والجنايات والشهادات والحقوق والعتق

تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنى ذهب ريشه أو أنه لم ينزجر برؤية يعقوب فجاء جبريل فركضه فلم تبق فيه شهوة فكلام لا يقوله الا جاهل بمقام النبوة والرسالة متتبع للخرافات من غير بحث فيما تؤدى اليه ولو علموا أن ذلك يؤدى إلى تكذيب الله تعالى فى الأخبار عنه بالعصمة والإنصراف عن الهم لما تجرأوا على مثل هذه المفتريات التى اخفها يشين أقبح الفساق فضلا عن نبي مرسل ولا يغرنك نسبة هذه الأقاويل إلى مثل ابن عباس وعكرمة وقتادة وسعيد وجعفر الصادق وغيرهم فإن مفترى الخبر مفترى النسبة ليروجه عند ضعفاء العقول كما لايغرك وجود هذه المفتريات أو بعضها فى بعض تفاسير من لايتحاشون النقل من السير وأخبار القصاص إذ لو حصل منه أدنى سوء للزم أن يستغفر الله تعالى منه أو يتوب ولاخبرنا الله تعالى بذلك فى قصته كما أخبر عن كثير من الأنبياء ممن وقعت منهم صور المعاصى فأردفها بالاستغفار أو التوبة - ولله در الإمام فخر الدين الرازى حيث قال هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة أن كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا فى أول الأمر تلامذة إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه فى السفاهة كما قال الخوارزمى

وكنت امرءا من جند إبليس فارتقى * بى الدهر حتى صار إبليس من جندى

فلو مات قبلي كنت أحسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

والله تعالى يحفظنا من الخروج على أنبيائه بما لايجوزه عقل ولانقل ويوقفنا عند تنزيه هذا المقام الشريف من كل سوء بفضله جلت قدرته .

(جواب على سؤال عن أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها فى البلاد)

أرم اسم ابن سام بن نوح جد عاد بن عوص ابن ارم فهو اسم لقبيلة عاد أو اسم لبلدهم التى تسمت باسم جدهم بدليل قراءة الإضافة أى بعاد ارم والمراد بذات العماد ذات الأخبية والخيام التى لابد فيها من العماد والعماد بمعنى العمود أو ذات البناء الرفيع لما كان فى تلك القبيلة من الشدة والقوة والصبر على الأعمال الشاقة كما قال تعالى فيهم «اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون» وإن أردنا بها البلد كان المعنى أنها ذات أبنية مرفوعة على عمد محكمة الصنع. والمراد بقوله لم يخلق مثلها أى مثل عاد فى صبرهم على نحت الصخور واتخاذ البيوت فى الجبال وما يروى من أن شداد بن عاد ملك الدنيا ودانت له ملوكها وسمع بذكر الجنة فبنى مدينة سماها ارم أقام فى بنائها ثلثمائة سنة وعاش تسعمائة سنة وبنى قصورها بالذهب والفضة وجعل أساطينها من الزبرجد والياقوت ووضع فيها أصناف الأشجار والأنهار ثم سار إليها بأهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم وليلة منها بعث الله تعالى صيحة من السماء فأهلكتم وإن عبد الله بن قلابة ندت أبله فخرج فى طلبها فوصل جنة شداد وحمل ما قدرعليه منها وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عيه قصته فبعث إلى كعب الأحبار فسأله فقال هذه إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب إبل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل. فمما لادليل على صحته بل هو من وضع القصاص فإن شدادا لم يملك الدنيا ولا أثر له فى غير بلاد العرب وما جاورها وتاخمها وخبر كعب الأحبار لابد وأن يكون مذكورا فى كتاب ولاكتاب تسند إليه أقاصيص كعب إلا التوراة وليس فيها شىء

من القصة ووصف ابن قلابة ويستحيل على ملوك الدول الآن بناء مدينة من ذهب وفضة ولايوجد فى معادن الزبرجد والياقوت ما يكفى لعمل عمد قصر فضلا عن مدينة قضى العمال فى بنائها ثلثمائة سنة فيلزم لها من العمد ما يساوى جبلا عظيما خصوصا وأنها عمد تقطع كما تقطع الصخور فلابد وأن يكون قد تخلف من الاحجار الثمينة عند قطعها ما يكون حليا للعالم أجمع ولو كان شىء مثل هذا ويعلمه كعب لكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعلمه أولى ولم يصح عنه شىء فى هذا على أن عادا كانوا يسكنون بين عمان وحضرموت وهى بلاد الأحقاف وكلها أرض ذات رمال ولم يكن فيها معادن ذهب ولافضة ولاياقوت ولازبرجد وإن قيل إنه استحضر الذهب والفضة من بعيد قلنا أن هذين المعدنين لم يكونا مستخرجين ومستعملين بقدر ما هما عليه الآن ومع عناية الأمم باستخراجهما فى العصر الحاضر فإن المستعمل منهما لايكفى لبناء مدينة يصرف الصناع فى بنائها ثلثمائة عام والقرآن الشريف لم يتعرض لهذه القصة ولا ذكر شيئا ما يومى إليها فلا نعول عليها والحق أن ذات العماد وصف للقبيلة أو لبلدهم المحكم بناؤه الصخرى أو المنحوت فى الجبال فإن القصد زجر الكفار بأن الله تعالى أهلك عادا مع شدتها وقوتها وعملها الأعمال العجيبة كما أهلك ثمود أى قوم ثمود الذين جابوا الصخر أى قطعوه واتخذوه بيوتا وكما أنزل الهلاك بفرعون ذى الأوتاد فهو قادر على إهلاكهم لتكذيبهم رسوله كما أهلك من كذب رسله السابقين والله اعلم.

(بعض كلمات من كلامه أرسلها أمثالا)

أدبك حياتك فطول أو قصر. روحك غذاءك فاصلح أو افسد. عملك قدرك فارفع أو اخفض. انت لا أنت فاعرف من أنت تعرف. ترك الحزم يضيع الفرص. بعدك عن الشر مع حب أهله وقوع فيه . كن حيث صرت تقطع العقبات وأنت جالس.

كل حلاف كذاب. اذا استقبحت ما أنت عليه فاختر لولدك مهذبا غيرك.. امرك بيدك فإذا جنبته مطامعك تبدد. بين المبدأ والغاية التبصر فاحفظه تصلها. يومك كأمسك فأعد لغدك ماتخيرته منهما . لاتضق صدرا إلا بما لم يحل بمثلك . أصل الدناءة دناءة الأصل. رد بابك دون أمر لم تحضر تأسيسه. دولة بلا قانون فوضى وإن كثر العادة. كل ملك فوض إلى الأحداث ضاع. أكبر لذات الملوك حرب تعدم الإنسان. وقوفك عند الرعادة يقطع طريق الأمنيات عليك. تعلم الصنعة وأنت غنى عنها تخل بينم وبين المعوزات. مملكة يسوسها غارق فى الشهوات مقبرة تزار ولاتسكن. إذا طلبت الراحة فارجع إلى ظهر أبيك. إذا سميت ممكن غيرك مستحيلا فأنت العاجز. جهلة الحاكم حكام الجهلة. لن للظالم ما تنبه فإن غفل فاحمل عليه. إذا وصلت الغاية فقف فوزا كانت أو خذلانا فما بعدها إلا العدم. لك عندى بقدر مالى عندك فلا تطالبنى بمنزل لم تبنه، إذا ساعدت الأجنبى على أخذ بلادك فلا تغضب إذا نام فى فراشك. المتجنس بجنسيتك طامع فى متاعك أو جاهك. إذا حركت الخواطر لأمر فكن الأول فعلا. من أهان ظالما عد من الأبرار. المطامع تحت أقدام الفرص متى تحركت وثبت. أقوى سلاح الطامع فيك اغترارك بلينه. اذا ولعت بالخمر فاحرص على نصف مالك لكفن شرفك. كل ذى أمل ينتظر غفلة مثيله فكن الحذر وما عليك إذا فجئت من جهل حقائق الأمم قادته المرئيات. أحسن معاملة الأجنبى واحرص على خصائصك. إذا كنت وسيلة للغير فكن فضيلة لقومك. قلبك مرجع حسك فلا تقبضه بكريه المحسوسات. كل بعيد قريب وإنما تبعده الأبصار أو الهمم. كن كيف شئت إذا لم تجد لائما . مخك أثيرك فلا ترفع دخان الغضب إليه يعد عليك صواعق،. كما يدل اللسان على العلل كذلك يدل على الأمل. التمدح بالأزواج بين الرجال دياثة. المشرب السياسى يغالب الجنسية

والدين فانظر مع من تكون. جنسك وليك فإذا واليت غيره فوق الحاجة انكرك الاثنان. إذا نفذت كلمتك فاحفظها بالرفق وايدها بالاستقامة. اذا اختلفت الاحزاب فكن مع أحفظها لوطنك. سحُ الكائنات فإن وجدت خالدا بالجبن فعش بما عاش به. إذا رأيت المعذبين فى الحرية فجد فى تخليسهم أو اللحوق بهم. إذا صح تأثير المعدوم فى الموجود صح تأثير مختل الملك فى منتظمه. وثوقك بغير المجرب بله. علم ولدك الكلام وما عليك اذا أخرسته العوارض. إذا صاهرت من هو فوقك فتعلم عبادة الأوثان قبل الإقدام. أوص على أهلك قبل أن تخرج للفتنة. إذا صرت فى الغوغاء فلست شريفا. إذا ألقيت السلاح تعبا فأنت المقتول . تغافلك عن أهل العيوب فضيلة . من نام فى جحور الأفاعى خافها. مسكن بين الأعادى حبس ردىء. غاية السعى رغيف أوردا . من فوض الأمر لمولاه استراح. فقد الرجال علامة التقهقر. من أمرك بغير حق فأتمرت له هان عليه دمك. اجهل بجهل زوجتك تلتذ ولاتجهل بجهل الملوك تقتل. هيبة الظالم بالسلاح وهيبة العادل بالصلاح. إذا حكمت فتجنب ما لا ترضاه لنفسك إلا بحق. من يحملك ميتا يحملك حيا فصله واقطع غيره. تجاهل العالم وقت الرجوع إليه انقلاب إلى الحيوانية. إذا ربحت فى القمار دينارا فهىء ما تملك للخسارة. إذا سست أمة جسمها فى ملكك وفكرها فى غيره فقد أضعت نفسك والملك معا . بالمقول تعرف العقول فعنون عقلك بأحسن ما فيه.

جزاء فعال اسوء فى العدل مثلها * فنفس بنفس والجروح قصاص

دنوك من مرضى القلوب تعرض * لعدواك فاحذر فالدواء عزيز

نوق المعانى لذة * وسواه يأتى بالهوس

ذم التقى وأهله * أمر يحسن لى الطرش

خذ من زمانك صفوه * ودع التعمق تسترح

(تربية الأبناء)

اشتغل الكتاب قديما وحديثا بوضع الكتب والرسائل فى تربية الأبناء وتهذيبهم ونقلهم من حضيض البهيمية إلى أوج الإنسانية ومدار الكمال وقد اختلفت عباراتهم باختلاف الأفكار وتباين الأقطار وكان للشرق القدم الراسخة فى هذا الباب فتهذب رجاله وترقوا إلى أعلى مقامات الفضل بما أخذوه عن أساتذة التربية وكانت طريقة التعليم واحدة فى جميع أقطاره ثم انتهى إلى تعلم العلوم من طريقين طريق التلقى عن الأشياخ وسموه الطريق الدينى وطريق الأخذ عن الأساتذة وسموه التعليم المدرسى وهذا الأسلوب معترض عند الأوروباويين فإنهم الآن محل الاختراع ومرجع الترتيب فالحسن ماحسنوه والقبيح ما قبحوه والرواية إن لم تنته إليهم فهى باطلة والنسبة إذا لم تتصل بهم فهى عاطلة وهذا الذى ألزمنا العدول عن البحث فى طرق تعليم الشرقيين إلى النظر فى طرقهم لنجاريهم فيما هم فيه فإن التمدن موقوف على تقليدهم والأخذ بطريقتهم والهمجية لاتوجد إلا فى مخالفتم والعمل بغير آرائهم. ولابد لنا معاشر الشرقيين من مجاراة الأمم المتمدنة للخروج من مشيق التوحش المنسوب إلينا ما دمنا على تعاليم أسلافنا ولانصل إلى هذا المقصد إلا بالوسائل التى اتخذتها أوروبا وكلها محصورة فى طرق التعليم وهى أنهم خلطوا التعليم الدينى بالتعليم المدرسى وصيروهما طريقة واحدة فبنوا فى كل مدرسة كنيسة يصلى فيها التلميذ قبل الدخول إلى الدرس وعند انتهاء الدروس ليخرج من صغره عارفا بواجباته واتخذوا المعلمين من القساوسة فالكاتب والحاسب والرياضى والطبيعى حتى فراش المدرسة وطباخها كلهم منهم قد جربوا أنفسهم فى الوحدات الجامعة فلم يجدوا أنفع من وحدة المذهب ولذا تجد الكتب التى بأيدى الأطفال كلها محشوة بالأمثال الدينية فإذا ترقى الطفل إلى درجة عليا وجد

العلوم الرياضية والطبيعية مخللة بقواعد دينية ليكون المذهب ملحوظا بعين الاعتبار محفوظا عند الصغار والكبار وقد حتموا القيام بالمظاهر الدينية على الأطفال والنساء والفتيان والشيوخ حتى أنك تجد أرباب الفكر الحر الذين لايدينون بدين يجارون بالمتدينين فيما هم فيه فلا يقدر أحدهم على فتح دكانه يوم الأحد بل يقفله موافقة للسواد الأعظم ولا يأخذ زوجة بغير تكليل شرعى ولا يترك ميته يفارق الدنيا من غير أن يستحضر له قسيسا ولا يشتغل فى أيام الأعياد تظاهرا بعدم اعتقاده ولايطعن فى دينه وهو فى مجمع أدبى أو عامى ولايسكت عن إقامة الحجة عن صحة دينه إذا عورض فيه. وما يعتقده من فساد العقيدة على زعمه الفاسد إنما هو أمر باطنى لايتظاهر به إلا عند من يماثله فيه. وهذا الذى جمع وحدة أوروبا الإجماعية وإن اختلفت المقاصد السياسية التى هى فى حكم الفروع لهذا الأصل الوثيق. ثم أنهم يدنون كتب التعليم بلغتهم المستعملة فى وطنهم فلا تجد فرنسويا يتعلم بالانكليزى ولا روميا يتعلم بالألمانى ولا نمساويا يتعلم بالروسى ولا إيطاليانيا يتعلم بالأسبانيولى بل كل دولة تحافظ على لغتها بجعل التعليم بها فتجد جميع الكتب العلمية موضوعة بلغاتهم إلا ما يكون من بعض الكلمات التى تضعها العلماء باللسان اللاطينى أو اليونانى فإنها تقرأ بين أهل كل لغة باللاطينية أو اليونانية لأنها فى حكم الاصطلاح الذى لايتغير ولكنهم يترجمون المعنى بلغتهم فإذا تعلم التلميذ كلمة أخذ معناها معها حرصا على بقاء اللغة حية بمعرفة معانى لسان الغير بها. وهذا الذى طلبنا له عقد جمعية علمية. والسبب الباعث على المحافظة على اللغة إنها العنوان الجامع للجنسية الحافظ للتاريخ الداعى لاجتماع الأفراد إذا تفرقت الأمم فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية بل على الملك وما يشتمل عليه ولهذا لاتميل أية دولة لنقل التعاليم من لغتها إلى لغة أخرى مهما

مست الحاجة إليها ولاتعطى شهادة لتلميذ أدى الامتحان فى جميع العلوم بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الأجنبية عن لغته وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول وامتازت كل أمة بخصائصها التى حفظتها لها لغتها. وكثيرا ما سمعنا ورأينا أناسا من أوروبا اختلطوا بغير جنسيتهم وتكلموا بلغتهم ثم جاء أبناؤهم من بعدهم وتعلموا بلغة الغير فانسلخوا من جنسيتهم وتجنسوا بجنسية من يتكلمون بلغتهم كما حصل فى الألمان الذين تأنجلوا والذين تفرنجوا أيام ثورات الأوسترغوط والنورماندية وغيرهم وما ذلك إلا بترك لغتهم واستعمال لغة الغير التى حكت بتسليم الذات تبعا لها. ومن مبادئهم تعليم روابط الجنسية وشرفها ووجوب المحافظة عليها فيخرج التلميذ عارفا بقدر نفسه محبا لأبناء جنسه حافظا لتاريخ قومه عالما بثارات الدول معهم وارتباطهم بغيرهم محيطا بالفروع التى تفرعت من جنسيته والأقطار التى حلت بها باحثا فيما يحفظ وحدة جنسيته ويجمع كلمتها ويرفع قدرها وينمى ثروتها ويكثر عمارتها ويقدم تجارتها ويصلح زراعتها ويحفظ حدودها وينور أفكارها فما رأى فضيلة فى أمة إلا نقلها إليها ولامزية فى موجود الأسهل لها الحصول عليها وبهذا رأينا كل جنس فى أوروبا مرتبطة أفراده ببعضها ارتباط أهل بيت واحد وأن توزعت الأهواء حول المشارب السياسية والمذاهب الدينية. ومن مبادئهم تعليم التاريخ الملى والوطنى فيعرف كل تلميذ أصول آبائه والمتقلبين فى وطنه وأدوار عمرانه وأسباب تقدمه وتأخره والعوارض التى طرأت عليه من خير وشر والأمم التى هاجمته والتى تتاخمه والتى تواد أهله والتى تنافرهم ومن تاريخه يعلم الرجال الذين خدموا وطنه من سياسيين وحربيين وكتاب وفضلاء فترى الأمة سارية خلف رجال الطبقة الأولى من المدربين على الأعمال معضدين آراءهم معارضين أعداءهم فإذا شرع العظيم منهم فى مشروع نافع للوطن وأهله رأى الأمة أمامه

(جواب على سؤال)

السؤال. ما هو البرهان الذى رآه سيدنا يوسف حتى عاد عن الهم بامرأة العزيز فقد اختلفت العبارات فيه

الجواب . اعلم أن الهم مشترك فى الفظ مختلف فى المعنى فإنه منها ما كان بقصد الفاحشة ومن سيدنا يوسف لدفعها عنه والدليل أن الله تعالى قال قبل ذلك فى جانبها وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فاثبت مراودتها التى تثبت أن همها كان للفاحشة خصوصا وقد وجدت القرائن من تعليق الأبواب وقولها هيت لك. وقال في جانب الصديق قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواي فشهد عليها بهم الفاحشة وشهد له بالانصراف عنه وعنها فلم يبق إلا أن يقال إن الهم مختلف ولو اتحدا لقال ولقد هما بالفاحشة أو ببعضهما فلماذا اعادَ الهم تحققنا انه غير الهم الأول فهمت به مراودة وهم بها مدافعة كادت تفضي إلى ضربها ولو فعل لامرت بقتله ولولا ان رأى برهان ربه وهو النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش فيكون هم بها جواب لولا ويكون النظم ولقد همت به مراودة وطلبا للفاحشة ولولا أن رأى برهان ربه هم بها دفعا بالضرب المؤدي إلى قتله لو فعل كذلك لنصرف عنه السوء أى القتل والفحشاء أى الزنا ولمثل هذه الآية فى حذف اللام من جواب لو وتقديمه عليها أمثال منها قوله تعالى «إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبه» فالبرهان هو نبوته وعلمه بتحريم الزنا على الأفراد فضلا عن المرسلين وتيقنه من أنها تأمر خدمها بقتله لو ضربها فى دفعها عنه أو عن الفاحشة. والذين لهم تعلق بهذه القصة شهدوا ببراءته من كل سوء فلم يكن هناك وهم لحمل الهم على همه بالفاحشة فالله تعالى أخبر عنه بقوله قال معاذ الله وقال كذلك لنصرف عنه السوء

والفحشاء وقال إنه من عبادنا المخلصين. والطفل شهد بقوله إن كان قميصه إلى آخر الآيتين والمرأة قالت للنسوة أنا راودته عن نفسه فاستعصم شهدت على نفسها بطلب الفاحشة وله بالعصمة وقالت بين يدى الملك الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وزوجها قال إنه من كيدكن أن كيدكن عظيم ثم خاطب الصديق بقوله يوسف اعرض عن هذا ولو هم بها لقال له استغفر لذنبك كما قال لامرأته واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين فاثبت الذنب لها وعدها فى الخاطئين وابليس قال لأغوينهم اجمعين إلا عبادك المخلصين. ويوسف قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إى فلا اخونه فى عرضه فإن ذلك دناءة وخسة من الأفراد فكيف من مهبط الرسالة وقال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه والا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن أى أنه إلى ساعة الدعاء التى هى على بعد من الواقعة بكثير لم يصب أى لم يمل إلى النساء ولا هم بحبهن فضلا عن القرب من الفاحشة. والنساء اللاتى قطعن أيديهن عندما قال لهم الملك ما خطبكن إذ راودت يوسف عن نفسه فاثبت أنه كان منهن مراودة كما كان من سيدته فلما سألهن قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فإذا شهد الله تعالى ويوسف الصديق والطفل والمرأة وزوجها والنساء وإبليس على عصمته وبراءته من السوء كيف نحمل الهم على الفاحشة وهو تكذيب لهذا كله نعوذ بالله من ذلك. وأما ما قيل من أنه عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من المرأة أو أنه هم بحل التكة أو أنه حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن أو انها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وان البرهان استحياء المرأة من صنم عندها فقامت لتستره فاستحيا من ربه او أنه رأى يعقوب عاضا على أصابعه ويقول له اتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى زمرة الأنبياء أو أن يعقوب ضربه فى صدره فخرجت شهوته من أنامله أو انه سمع صوتا فى الهواء يقول يا ابن يعقوب لا

والقسمة وغيرها كلها من أصول السياسة ومن درس العلوم الكثيرة لايعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات الدولية والأخبار اليومية بعد أن تمت له المعدات ومواد التحصيل. فما لنا نتقاعد عن طرق أوروبا النافعة ونسعى فى طرق تفقدنا معاشر الشرقيين روابط الجنس واللغة والوطن والدين وما لنا غفلنا عن مبادىء الجمعيات الأوروباوية وسلمنا أولادنا إلى اساتذتهم فأعادوهم إلينا متجنسين بجنسياتهم حقيقة وإن شابهونا صورة فنرى المصرى والسورى والتركى والعراقى الذين تعلموا من بادىء أمرهم على أساتذة الفرير والبروتستانت والجوزيت صاروا قسما ثالثا بين الشرقيين والغربيين اللهجة شرقية والمساعى غربية . فماذا على أغنياء الشرق لو عقدوا الجمعيات الخيرية تحت حماية دولتهم وفتحوا بها المدارس الوطنية وعلموا فيها هذه المبادىء تقليدا لأوروبا وساعدتهم الحكومة بحفظ مشروعهم من السقوط وتسهيل طرق تعميم التعليم وتوسيع نطاق الجمعيات بإعداد محافل الخطابة العلنية العلمية ونشر المطبوعات الأهلية ومكافأة النابغين ومساعدتهم على جنى ثمرة أتعابهم باستخدام أو تسهيل طريق معيشة أو إعانة على صناعة وحفظ الامتيازات للمؤلفين والمخترعين لتنمو الأفكار وتكثر المبتكرات فهذه أوروبا تنادينا

غنى خذوا بى اقتدوا ولى اسمعوا وتحدثوا بغرائبى بين الورى

(بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد)

هذا السؤال لهجت به ألسنة الشرقيين واشتغل العقلاء به فى كل الممالك الشرقية فغدوا يتساءلون فيما بينهم عن الأوروبيين ما قدمهم وأخرنا والخلق واحد. ولما دار السؤال على ألسنتهم دار عليها كثير من الأجوبة وكل واحد يزعم أنه عرف السبب ووقف على علل التأخر فمنهم القائلون أن الجو له حكم فى انفعال الأجسام بحسب ما تدعو إليه طبيعته وقد قضى على الشرقيين

بالكسل والتقاعد عن الأعمال العمرانية كما قضى على الأوروبيين بالعمل وعلو الهمة وعللوا ذلك بعلل تنكرها عليهم الأدوار الماضية فقد أخذ الشرق أدوارا علمية مدنية استمدت أوروبا مدنيتها من دوره الأخير أيام كانت على أسوء مما عليه الشرق الآن. ومنهم القائلون إن الدين الإسلامى مانع من التقدم وهو علة العلل فى هذا الباب وأصاب هذا القول كالببغا يحكون الصوت ولايدركون المعنى فقد قلدوا فى هذا الوهم أوروباويا فى قوله الذى طارت به الصحف فى كل مكان وفاتهم أن الشرق ممتلىء بأديان تغاير الدين الإسلامى والآخذون بها أضعاف الاخذين بالإسلام. ومع ذلك فإن تقهقرهم فى المدنية والقوى العلمية أكثر من المسلمين بل لا نسبة بينهم وبين المسلمين فى المدنية والألفة بين الناس ومعاشرة المغايرين لهم جنسا ودينا. فلو كان الإسلام مانعا لرأينا الهند والصين فى تقدم أوروبا وحالهم شاهدة بأنهم أحط من المسلمين بدرجات. ودعوى الأوروبى أن الإسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب وأنه لاسكون للأفكار إلا بإعدام القرآن والآخذين به مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول أوروبا المسيحية من عهد الرومانيين إلى الآن وكلما كثرت مدنية دولة أوروبية كثر تفننها فى آلات القتال والتدمير مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة لايتحرك إلا دفاعا عن وطنه الموطوء بأقدام أوروبا الملوثة بالدماء الشرقية. ولايحركه إلا فتنة أوروبية ولا داعى لأوروبا فى تحريك الممالك الشرقية إلا الطمع الملكى والتعصب الدينى وإنما لشدة تمسك هذا الأوروبى بدينه كره أن يرى دينا غيره واحب أن يسمع صدى صوته فى بلاده لتميل النفوس إلى رجل غيور على الدين. وقد كان للإسلام اليد القوية أيام صولته فلم يبطش بها بمواطنيه ولا مدها إلى معاهديه بل ولا حرك بها عصاه نحو المتوحشين عند نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه. ولم يكن عند رجاله من التعصب ما

يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك أديانهم بل خير من نازلهم بين الأخذ به أو الاستيطان على حكمه وهذه خصوصية له من بين الأديان ويكفيه من إطلاق حرية الأعمال أن وفدا من نصارى العرب وفد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجده فلما أدركتهم الصلاة قاموا ليصلوا جهة الشرق فأراد الصحابة التعرض لهم فمنعهم النبى وتركهم يصلون فى حضرته لغير قبلته وعلى غير ملته وليس بعد هذا مسلك لحرية الأفكار والأديان. ومنهم القائلون أن اختلاف الجنس مانع عظيم وهذا وإن كان له وجه ولكن هناك وحدات أخرى تترك للجنس خصوصيات ومزايا لاتبعده عن الانقياد للسلطة الجامعة للأجناس. ومنهم القائلون أن الأديان سبب التخاذل الحاصل فى العالم ولا سبيل لمنعه إلا بتركها جملة واعدامها من الوجود وهذا الفريق مقلد لدعاة أوروبا الذين أفسدوا كثيرا من الأخلاق الشرقية بهذه الترهات والأوهام. مع أننا لو فرضنا عدم صحة الأديان وأنها وضعت نظامات فى أيام الخشونة والجهالة ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية لكان من الواجب احترامها واعتبارها فإن تأثير وعدها ووعيدها فى النفوس لا يبلغه قانون فإن الشخص يمكنه أن يفر من عقوبة القانون إما بالبعد عن موجبها وإما بالتحايل على تأويل مواده بالوسائط ولكنه لايمكنه أن يفر من عقوبة الله بأية حيلة على معتقده. ولو ترك الناس وشأنهم لأكل بعضهم بعضا ولعجزت أية دولة قانونية عن ضبط أفرادها ولو كان لها فى كل ذراع عسكرى حارس. وما ساعد الملوك على النظام وبث الأمن إلا القانون الدينى وما فتح الباب لأهل القوانين الوضعية إلا الشرائع الدينية والدين هو الذى يحمل العسكرى على بيع حياته فى حرب دينية انتصارا للدين وإقدامه فى الحرب الدينية يفوق إقدامه فى الحرب الملكية أضعافا وما يدعوه للدخول فى ساحة القتال إلا الطمع الأخروى الآتى به الدين.

فلو علم العسكرى أن لابعث ولا أجر على عمله لفر من ساحة القتال فإن أرغم قاتل مكرها. ولايقال إن الشرف الوطنى يلزمه باقتحام غمرات الموت فإنه إذا علم أنه يقدم للموت ليفوز الملك أو الأمير بمراده ولاثواب ولا نعيم فإنه لايبيع حياته بلذة غيره وإذا بطل هذا كله لزمنا البحث فى العلل التى أوجبت التأخر ولانتوصل إليها إلا بمعرفة الأسباب التى قدمت أوروبا فبضدها تتميز الأشياء .

السبب الأول

لاينكر أن ممالك أوروبا كانت دوقات وكونتات وايالات وممالك صغيرة وكبيرة وأن الذين صيروها إلى ماهى عليه الآن عائلات تسلطت على عائلات وضمت الأجزاء إلى بعضها وصيرت كل قطعة عظيمة مملكة مستقلة. وعندما تغلبت هذه العائلات خافت من تحرك الهمم خلف الاستقلال فهدتها التجارب إلى توحيد اللغة فى بلادها لتميت حمية الجنس التى تدفع إليها اللغة فلم يكن فى بلاد فرنسا وانكلترة أو ألمانيا من يتكلم بغير لغة البلاد والمراد بعدم التكلم بلغة الغير أن المملكة توحد اللغة فى المعاملات والتآليفات والتعليم والمخاطبات فلا يستعملون لغة الغير إلا لضرورة تدعو إليها بحيث لايتوسع فيها إلى حد أن تسطو على اللغة المحلية. وقد اعتنت الدول بذلك حتى أن مثل البلغار قلدت الدول الكبيرة ومنعت لغات الغير من استعمالها فى مدارسها. وبهذا القانون نقلوا كل جنس دخل تحت سطوتهم إلى لغاتهم فحكمت اللغات على الأجناس التى اخذت بها وصيرتهم كاملها فى الأخلاق والعادات لنسيانهم لغاتهم وانفعالهم بفواعل اللغة الموضوع لها تلك الألفاظ. وملوك الشرق أخطأوا هذا الغرض وتركوا المحكومين. يتكلمون بلغاتهم ويتعلمون بها فبقيت الجنسيات حية بحياة اللغة وذلت خاضعت بقدر مادعت ضرورة الضعف والفراغ من المعدات وكلما فتح لجنس باب ثورة أو محرك لاستقلال تدافع حول الداعى

وتفانى فى الخروج من أسر الغير يشهد بذلك الأمم التى حكمها العرب ولم يوحدوا اللغة فيهم فخضعوا بقدر ما استعدوا للخروج من سلطتهم أو للتغلب عليهم حتى تمزقت المملكة وتوزعت فى أيدى الثائرين والمتغلبين. والترك والفرس عند ما أفرغت إليهم دولة العرب تركوا الناس ولغاتهم ولم يوحدوا لغتهم فى محكوميهم لابطريق الإجبار ولا بطريق التعليم فبقيت نار الجنسيات تحت ردم انتهاز الفرص حتى تمت المبادىء فقامت عليها الأجناس ثائرة بنفسها أو منبعثة بتحريك الغير لها. ولاينكر ذلك إلا من جهل استقلال الفرس والأفغان وبخارى واليمن وتونس ومراكش ومسقط وزنبجار والبلغار ورومانيا والجبل الأسود والسرب وممالك السودان والهند الإسلامية وقد كانوا تحت السلطة العربية ثم التركية والفارسية بعدها. وهذا الذى أخاف ممالك أوروبا فتخذت ماحصل للعرب والترك والفرس كتابا تدرس فيه وقاية ممالكها من العوارض المعددة لوحدة كل أمة منها. وكما اتخذت هذه الطريقة لتوحيد الجنسية فى بلادها التزمتها فى الأمم المتغلبة عليها ولكنها لم تجعل الانتقال إلى لغتها إجباريا بل التزمت التدرك لذلك بتعميم التعليم بها لئلا ينفر المحكومون إذا علموا سعيها فى أمانة لغتهم فهى تخادعهم باسم التعليم حتى اذا انقرضت الطبقة الحاضرة خرجت التى بعدها مذبذبة فإذا مضت جاءت الطبقة الثالثة من جنس الأمة الحاكمة لغة ودينا فتأمن ثورتها وتحركها عليها لكونها صارت منها وإذا دامت هذه الحرب الخفية قرنا أو قرنين والشرق فى غفلته منحدر فى تيار الأوهام ماتت الأجناس العربية والتركية والفارسية والهندية والمغولية والحبشية والأفريقية وأصبح الشرق مسكونا بأمم أوروبية لغة ودينا وإن ولدوا فى آسيا وأفريقيا .

السبب الثانى.

عندما تم لكل عائلة أوروبية الاستيلاء على قطعة مخصوصة وحدت السلطة فى الجنس المتغلب فلم تمكن أى إنسان من المتغلب عليهم من أى إدارة فرارا من

توزيع السلطة وضياع القانون بالأهواء والأميال الجنسية وخوفا من اتساع سلطة المقهورين بما يحركهم للاستقلال. واستمرت الحال كذلك حتى تم نقل الأجناس لغة ودينا وصار المجموع جنسيا واحدا. وعند تغلب مملكة أوروبية على مملكة شرقية تجعل الإدارات العالية بيد رجال منها لتوحد السلطة وتتمكن من القبض على أزمة القوى الحربية والمالية والإدارية فتراها تسوق الملايين من الشرق بعشرة رجال منها. وهى لاتمكن أجنبيا من إدارتها فلا ترى روسيا قائدا لجيش انكليزى ولا انكليزيا وزيرا لمالية روسيا ولا فرنساويا وزيرا لمعارف ايتاليا ولا ايتاليا وزيرا لحربية فرانسا وهكذا بقية الدول. ودول الشرق اخطأت هذا الطريق ولفقت العمال من الأجناس المحكومة وغيرها فانحلت عرى قواها وكثر فيها الثورات والتغلبات حتى جاءت الدولة العربية فوحدت سلطتها فى دورها الأول فنمت مملكتها بكثرة فتوحاتها ونفذت قوانينها الشرعية والوضعية فى الممالك التى ربطت خيولها بأبواب ملوكها وامرائها. فلما اتسع نطاق المدنية وجنح الخلفاء والأمراء إلى الرفاهة والسكون أسلموا أمور إداراتهم إلى الأجناس المحكومة بهم فدعاهم حب الأثرة إلى نزع ما بيد مواليهم وساداتهم ورجعت العرب القهقرى وكثر المتغلبون وفسد النظام وجرت الدماء فى كل جهة وطمعت دول أوروبا فهاجمت الشرق بعد أن كانت ترعد من ذكره ثم انتهى الأمر بجمع السلطة للأمة التركية فأخذت دورها الأول بما لاينزل عن دور العرب بل تخطت من آسيا لأوروبا وفتحت بعض قطع منها واستولت عليها قرونا وما زالت تزاول الأعمال بنفسها حتى وقفت برزخها ضيقا بين أوروبا وبين بلادها وممالك الشرق ولما انتهت فى المدنية إلى حد الرفاهية والخلود إلى الراحة وفوضت أمر كثير من الإدارات إلى غير جنسيتها كانت تلك الأجناس الوسيلة العظمى لتداخل أوروبا فى مملكتها وكذلك بقية الممالك الشرقية التى أصبحت ميدانا للعب رجال أوروبا بعقول أهلها .

كل عائلة تغلبت على قطعة فى أوروبا وحدت دينها والزمت المحكومين بالأخذ به وأراقت غزير الدم فى سبيل توحيد الجامعة الدينية لئلا تترك بينهم دينا آخر يوجب النفرة والفتن الداخلية والتداخل الخارجي وقد اعتنت أوروبا بالدين اعتناء غريبا حتى ملأت بكلماته كتب التعليم من أى فن كانت ورسمت الصليب الذى هو الصورة المحترمة دينا على الملابس وأوانى الأكل والشرب والبسط والفرش والآلات وأوراق الزيارة والمبانى حتى على أعتاب الأبواب فلا يكاد يقع بصر إنسان على شىء إلا وعليه هذه الصورة المقدسة ليكون الدين فى فكر الواحد منهم فى كل طرفة عين. ولعلمهم أن وحدة الدين اذا انضمت إلى وحدتى اللغة واالسلطة قامت المملكة على أساس متين واهتموا بنقل الأمم الشرقية بطريق التدرج فلم تقهر فرانسا أهل الجزائر وتونس على ترك دينهم كما فعلت أسبانيا فى مسلميها عند تغلبها عليهم حيث الجأتهم إلى التنصر أو الخروج من البلاد وكذلك انكلترة لم تكره مسلمى الهند ولا روسيا قهرت مسلمى طاغستان والتركمان وغيرهم ممن هم فى حوزتها وإنما التزمت كل دولة أن تعمم لغتها فيهم وأن تفتح المدارس لتعليم الأبناء على أخلاق الأمة الحاكمة وتمنع تعلم الدين إلا مبادىء قليلة جدا تموه بها على ضعفاء الإدارك ليخرج المتعلمون فارغين من الدين فيسهل نقلهم لأى دين بعد. إن تعرضت أمة شرقية لذكر دينها ولو لم تكن محكومة بأمة أوروبية نودى عليها بالتوحش والخشونة والهمجية وقيل أن هذا تعصب دينى مع أن التعصب الدينى لايوجد إلا فى صنع أوروبا ولكن القوة تقول للضعف ما تشا. وقد اخطأ ملوك الشرق هذا الطريق واكتفوا بالفتوح أو التغلب على الغير وتركوه على معتقده كما كان يصنع قدماء المصريين والبابليين والفرس والهنود وغيرهم ثم جاء الإسلام فاكتفى من الناس

بالأخذ به أو الإذعان لملوكه وعند ما نشر جناحيه فى الشرق والغرب وترك أمما كثيرة على أديانهم المسيحية والموسوية والبرهمية والمجوسية والوثنية وأعطاهم حرية التعبد من غير أن يتعرض لهم أحد من المسلمين وهذه مزية لاتوجد فى دين غيره. ولكنه لم يجن من هذاالغرس الجميل ثناء ولاشكورا بل هاجمت أوروبا بأجمعها الشام بالنزعات الدينية وخربت دياره وأراقت فى كل شبر منه دم إنسان فجلبت الدمار على مسلميه ومسيحييه واسرائيلييه وأصبح فارغا من معدات العمران محالا بينه وبين التقدم بسور الفقر الذى بنته أوروبا بيد التعصب الدينى. ومع كل هذه الفتن فإن أصول ديننا توجب علينا حسن معاملة من غايرنا دينا ومعاشرة الوطنى والمستوطن معاشرة المثيل وإن عاملنا بضد معاملتنا له لعدم إمكاننا التصرف فى أصول ديننا. ولم تكتف أوروبا بتوحيد الدين فى بلادها بل عقد الأهالى الجمعيات الدينية وربوا لها ألوفا من القسوس وبذلوا لهم الملايين من الذهب وبثوهم فى الشرق تحت حماية دولهم ورعايتها فجاسوا خلال أفريقيا وآسيا داعين إلى الدين وقد انحدر الشرق فى هذا التيار الذى لامرسى له ولا مرجع إلا توحيد الدين شرقا وغربا. وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فنامت الأمم فى زوايا الإهمال وعكفوا على الملاهى يصرفون فيها الذهب والفضة وتركوا العلماء والأحبار والرؤساء يجلسون فى المساجد والمعابد والهياكل منتظرين من يقطع البرارى والقفار ليتعلم منهم الدين وقد التزموا الطرق البطيئة وصعبوا على المتعلم طريق الحصول على المعارف ولا نعيبهم بالتقاعد عن جوب الأقطار مع ماهم عليه من الفاقة والحاجة إلى القوت الضرورى وإنما نعيب الأغنياء وأصحاب الأوقاف الذين ضلوا هذا الطريق وجعلوا أموالهم غنيمة لمن لايستحقها من نائم فى تكية أو شموع لمولد أو نذور لأضرحة حتى من وفق لرصد شىء للتعليم صودر بما لم يكن فى

حسابه ولهذا تأخرت المعارف فى الممالك الشرقية وعمت الجهالة عوامه واقتصر العلماء على التعاليم الدينية فى بعض البلاد وتركت العلوم الرياضية فماتت الصنائع بموت أهلها وعدم بحث الملوك فى احيائها وغفلة الأمم عن فتح المدارس والمعامل على ذمة الجمعيات الخيرية والتجارية فأصبح الناس يعدون مخترعات أوروبا من وراء العقول وحكموا على أنفسهم باستحالة الوصول إلى تقدم أوروبا لفراغهم من المبادىء العلمية وبعدهم عن المسائل الدولية .

السبب الرابع

لما تمت تربية أمم أوروبا تحت أحضان ممالكها وجمعياتها العلمية والتجارية ورأت الدول أنها لو بقيت على التقاطع والتضاغن مع توحيد الدين بينها صارت عرضة للتفانى فى سبيل الأطماع وفتحت للشرق بتخاذلها باب تداخل فى شؤونها الحربية أو السلمية ولم تجد شيئا تسد به هذا الباب إلا المعاهدات الدولية لتأمن كل مملكة شر جارتها وتلتفت لتنظيم إدارتها فاجتمعت كلمة ملوك أوروبا على حفظ الوحدة الأوروبية من مس الشرق لها مهما تقلبت المسائل الدولية بين أيديهم وعلى توجيه الهمم إلى الشرق فتحا واستعمارا فتراهم إذاهموا بأمر ضد مملكة شرقية خابر بعضهم بعضا فإذا أرضى هذا ذاك وتمت كلمة التداخل والاستيلاء وثبت الدولة العاملة تحت مراقبة اخواتها فإن فازت بالظفر فذاك وإن خذلت تداركها الكل وأوقفوا الشرقية عند حدودها وكلفوها مالايطاق. فإذا انتهت من دورها قامت الأخرى لو ثبتها التى أباحها لها الاتفاق وعلى هذا جرت ممالك أوروبا حتى مكنها الوفاق من التغلغل فى أفريقيا وآسيا. وقد اخطأت ممالك الشرق هذا الطريق الجليل فاستبدلت الاتفاق بالنفرة وبث العداواة بين أفراد الأمم وانتهت العداوة إلى مساعدة دولة شرقية مثلها لاستيلائها عليها وما تشعر أنها واقعة فى حبالتها بالقوة أو بالحيلة المالية

ولهذا لانرى اتحادا بين ملوك الصين والهند ولابين ملوك الصين والهند ولا بين هؤلاء والفرس ولا بين المجموع والترك ولا بين هؤلاء والأفغان وبخارى ومراكش وزنجبار وبهذا التقاطع تمكنت أوروبا من التداخل بين ملوك تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فبتقاطعهم صارت ممالكهم اجزاء صغيرة فى قارتين عظيمتين فسهل الاستيلاء عليها واحدة فواحدة وكل ملك ينظر الحاصل لجاره ولا تتحرك همته لجمع الكلمة الشرقية أو الاتفاق الدفاعى. وكان لأوروبا اليد القوية فى إفساد ملوك الشرق وإيقاع العداوة بينهم بالأكاذيب الموهمة حتى صيرتهم أشد عداوة لبعضهم من عداوتهم لها بل بتلطفها فى الخداع والتمويه صارت محبوبة عند البعض من ملوك الشرق. وعلى هذه الأصول الأربعة بنت أوروبا قواعد ممالكها وبتربية الأمم تحت أحضانها على هذه المبادىء العظيمة تفرع عن هذه الأسباب أسباب ثانوية كانت قوة على قوة بل صارت مادة الحياة المدنية وتقدم العلم والصناعة واتساع العمران

السبب الأول الفرعى

إطلاق حرية الكتاب فى نشر أفكارهم بين الأمم لحياة أفكار العامة باحتكاكها فى أفكار العقلاء وبهذه الواسطة ربى الكتاب الأمم وهذبوهم ونقلوهم من حضيض الجهل والخمول إلى ذروة العلم والظهور ووجدت الدول رجالا مدربين لم تنفق فى تربيتهم درهما ولا دينارا وإنما رباهم المحررون والعلماء وقد اخطأ الشرق هذا الطريق فخاف ملوكه من الكتاب والعقلاء فضغطوا على أفكارهم حتى أماتوها فى أذهانهم إلى أن جاءت الدولة العربية وأطلقت حرية الأفكار وجمعت العلماء من جميع الجهات وترجمت كتب الأوائل الحكمية وغيرها وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة وجاء وقت

المتغلبين فتجزأت المملكة وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس فانطفأت أنوار العلوم الشرقية وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقلام فبات الصين والهند والعراقان وبلاد العرب والجبال والغرب على ماكانوا عليه من عداوة الكتاب ونفى الظاهر منهم أو إعدامه حتى ألجئوا كثيرا منهم إلى الالتجاء لأوروبا وخدمتها بتغرير قومه وتضليلهم انتقاما أو قياما بحق حاميه من الإعدام ولو أطلق ملوك الشرق حرية التحرير وجعلوا المحررين تحت مراقبتهم وساعدوا المخلص فى خدمة مملكته وجنسه واسكتوا المفسد والمهيج لاحيوا الأمم التائهة فى القفار وبعثوا فيهم أرواح غيره وحمية تصان بها الممالك .

السبب الثانى الفرعى

بهداية الأمم الأوروباوية إلى المعارف وطرق تجمع أرباب الأموال منهم لفتح صناديق الأعمال المالية فتحصلوا بالسهام القليلة على نقود كثيرة واستعملوها فى المعامل والتجارة وساعدتهم الدول فحجرت على مصنوع الغير وتجارته لتروج البضاعة الأهلية وتحفظ الثروة فى داخلية البلاد وبهذه الطريقة اتسعت الثروة وارتفع الفقراء إلى مقام الأغنياء وأصبحت الممالك تباهى بعضها بثروة أهاليها ووفرة ماليتها. وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق وجمعوا المال لوضعه تحت الأرض خبيئة أو لصرفه فى الملاذ والشهوات وتركوا صنائعهم عرضة للضياع واستعملوا مصنوع أوروبا حتى أماتوا الصنعة والصناع وحولوا ثروتهم إلى أوروبا فترى الصانع الشرقى يئن من ألم الفقر وهو جار الغنى ولكنه لايشعر بأنينه لاشتغاله عنه بالملاذ والملاهى .

السبب الثالث الفرعى

لما رأت دول أوروبا أن المخترعات والصنائع النافعة لاتكون إلا من فريق

الفقراء سنت قانون الامتياز والمكافأة والشهادات العلمية والعملية ونياشين الشرف لتبعث فى الناس غيره المجاراة والمباراة فى التفنن والاختراع وكلما اخترع واحد شيئا كوفىء على اختراعه والتزمه منه الأغنياء وأرباب المعامل فكثر المخترعون وانتهت بهم البعثة العلمية إلى استخدام البخار والكهرباء واكتشاف العوالم القديمة والحديثة. وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق فحطوا على المخترعين وتركوهم وأعمالهم وانكبوا على الأجنبى ومصنوعه واغمض الملوك عنهم عين الرعاية والاعتبار ففترت الهمم وقعدت عن السعى خلف النافع من بنات الأفكار واكتفى كل صانع بالبسيط من الأعمال المتداولة التى لابد منها لكل أمة

السبب الرابع الفرعى

لما رأت دول أوروبا أن الأمية ما تمكنت من أمة إلا عرضتها للضياع والاستسلام إلى الغير عممت التعليم وجعلته إجباريا حتى أصبح الأميون يعدون فى ممالكها العظيمة. وقد اعتمدت كل دولة على توحيد التعليم فعلمت الأمة الدين وتاريخ الجنس واللغة وأخلاقها وعاداتها والقانون المدنى الجامع لوحدة الأمة وتاريخ المملكة وحقوق الملك وواجبات الدفاع عنه حتى سرت روح الحياة الدولية فى كل فرد من أفرادها واتسع نطاق الأفكار فأصبحوا في حروب فكرية نتائجها الاحياء وامتداد السلطة. وقد أخطأ الشرقيون هذا الطريق فتركوا الأمم تائهين فى الجهالة العمياء لتوهمهم أن المتعلمين يعارضونهم فيما هم فيه وما صيرهم لذلك إلا إسناد بعض الأحكام إلى الجهلة وضعفاء العقول. وقد نامت الأمم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصر حتى مات العلم وأهله وما تحركت طائفة لعقد جمعية تساعد من بقى من العلماء على نشر المعارف

وتوسيع دائرتها بل كل غنى وأمير يجعل الذنب للعلماء لتقاعدهم عن جوب البلاد وجوس الفدافد والقفار وهم يعلمون من شأن العلماء أنهم لايملكون شيئا من الذهب والفضة وقد حبس الأمراء والأغنياء الذهب والفضة وجعلوهما وقفا للملاهي واللذائذ وكلما هبت عليهم ريح تبكيت قالوا ما أخر الشرق إلا العلماء، وبموت أهل المعارف احتاج ملوك الشرق لاستخدام أناس من أوروبا يقومون بهم أود ممالكهم. ومن نظر لجميعات أغنياء أوروبا وعدم حصر مدارسها فى الشرق والغرب ورأى أغنياء الشرق وهم يبعثون أولادهم إلى مدارسهم ليتعلموا على قساوسة أوروبا أمور دينهم ودنياهم سفه أحلامهم وأيقن أنهم العلة الوحيدة فى تأخر الشرق عن أوروبا فالفقير العالم ماذا يقول والصانع المعدم ماذا يصنع والعاقل المحتاج ماذا يعمل وكل يحتاج إلى المادة ولا مادة إلا جمعيات الأغنياء والأمراء واتجاه الملوك إليها بالعناية والمساعدة المادية والمعنوية .

السبب الخامس الفرعى

لما رأت ممالك أوروبا كثيرا ما يقعون فى أخطاء الرأى بالانفراد فيه احدثوا مجالس الوزراء والشورى التى تقيدت بها الممالك ظاهرا فالقت أوزارها على عواتق أعيان الأهالى ومنتخبيهم لتستمد من أفكارهم ما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة وصار للأمم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم أنهم لايصرفون شيئا ولايحدثون عملا ولا يبرمون أمرا إلا بمشورة نوابهم ويتبادل الأفكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها وكثر المرشحون للأعمال والإدارات العالية بالتربية فى المجالس. وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق بسبب الجهالة

التى عمت الأمم الشرقية فلم يكن عند ملوكهم ثقة بأعيانهم ووجهائهم ولايحبون كثرة العقلاء خوفا من التغلب الذى يحلم به كل ملك شرقى وهو وهم لاحقيقة له ولذا نراهم إذا نبغ فى ممالكهم أناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فرارا من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء .

السبب السادس الفرعى

انتجت تربية الأمم على المعارف أحداث أندية السمر والتجارة فاتخذت المجالس العديدة لاجتماع أهل الأفكار ممتزجين ببعض الضعفاء لينقلوا عنهم ويتربوا تحت أحضانهم وفى تلك المجالس تدور الأحاديث على الأمم والممالك وأعمال الملوك وأخلاق العالم وتاريخ العمران فكانت هذه المجالس روحا ثانية فى جسد المملكة المتحرك بروح النواب والعمال وقد علم الملوك حسن مقاصدهم فلم يضيقوا عليهم بشىء يحول بينهم وبين مدارسهم الأدبية. والشرقيون اخطئوا هذا الطريق وجعلوا مجالسهم قاصرة على الغيبة والنميمة والسعى فى أذية فلان ومعاكسة علان والتحاسد والتباغض وتقبيح بعضهم بعضا واللهو واللعب وانقطعوا عن العالم بالمرة. ومنهم من اقتصر على الإقامة بين أولاده. ومنهم نفر قليل اشتغلوا بالمعارف واضطرهم تيار المجتمع المدنى إلى الانحدار معهم فى غالب الأوقات وقل أن يجتمع جماعة للبحث فيما ينفع الأمة أو الدولة لعلم العقلاء أن أبحاثهم غير معول عليها ولا ملتفت إليها لانصراف معظم الأمة إلى الشهوات. فهذه هى الأسباب التى قدمت أوروبا ونشرت ألوية التقدم فى جميع جهاتها وبالوقوف عليها عرفنا العلل التى أخرت الممالك الشرقية على اختلاف مواقعها وأوقعتها فى فخاخ أوروبا وعلمنا أن

الدين الإسلامى والأديان الشرقية لم تكن السبب فى التأخر كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة أوروبا بل إن الدين الإسلامى كان السبب الوحيد فى المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين بأحكامه. والجو هو هو الذى كان فيه المتقدمون من المصريين والفينقيين والفرس والهنود والعرب والترك وقد تحققنا أن التأخر إنما جاء من تعميم الجهالة باغضاء الملوك عن وسائل التعليم والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار وبعد الاغنياء عن الجمعيات وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة ورضاهم بالبقاء تحت أشر الشهوات فإذا أطلق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات تحت المراقبة وبذل الأغنياء الذهب فى حياة الصنعة وتعميم المعارف فى المدن والقرى ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم واجتمعت كلمة الملوك والوزراء والأم على السعى خلق التقدم أمكنهم أن يوقفوا تيار أوروبا شيئا فشيئا حتى يضارعوها قوة وعلما. وإلا إذا تركوا هذه الأسباب وبقوا على ما هم فيه من التقاطع والتحاسد والجهالة كان من العبث تجمعهم فى الأندية وتمشدقهم بقول بعضهم لبعض بم تقدمه الأوروبيون وتأخرنا والخلق واحد .

(أشتات الشرق وعصبيات أوروبا)

من نظر فى تقدم الشرق فى الأعصر الأول قوة وعلما ومدنية وتأخرت مبتدئا بالتقهقر من أربعة قرون مضت قال ما لهذه الأمم العظيمة صارت كتفاريق العصا ورجعت شعوبا وقبائل وبطونا وأفخاذا وانزوى كل فريق فى قطعة من الأرض اتخذها وطنا فيها ولد وتربى وإن سرت فيه حمية آبائه عنها يدافع وفى احيائها يموت ويتعدد الجوامع الشرقية من جنس ولغة ودين ووطن نبذوا الوحدة الاجماعية ظهريا ومالوا مع الاهواء وجعلوا المنافع الذاتية والسطوة الشخصية

وجهة فانحلت العرى التى ربطها الجنس العربى الذى دك كثيرا من عروش أوروبا وجلس على كثير من كراسى ملوكها وإذا نادى تلك الجموع الخاضعة إليه سمع لبيك لبيك الجواب العربى ممن جوابه سى سى أو وى وى وطرد جياده من تهامة فسمع صهيلها فى ليون من أراضى فرانسا وفى جميع أراضى أسبانيا والبورتغال وصقلية ونابلى وجزائر البحر الأبيض وسمع صداه فى خط الاستواء والممالك الهندية والفارسية والتركية والتركمانية وإن شئت فقل لم تبق أذن فى آسيا وأفريقيا إلا وقد سمعت صهيل خيل الفريق العربى حتى لهج كل ناطق باسم الأرب أو ارابو. ولتجرده من الانفعالات النفسية وتحركه بروح الدين وقوة الملك سوى بين عربى وتركى وفارسى وهندى وقبطى وشامى بل بين كل أفريقى وأسيوى وضم الجموع تحت نظام واحد يرجع إليه رجوع الأبناء إلى أبيهم فاختلفت المشارب والمذاهب وتوحدت الوجهة الملكية انتظاما واستيطانا ودفاعا فكنت ترى فى المسلمين سنيين وشيعيين وخوارج ومعتزلة ودهرية ومعطلة ودروزا وكل قسم من هذه الأقسام يشتمل على مذاهب شتى وترى فى النصارى الروم الكاثوليك والأرثوذكس والمارونية والأروسية والإنجيلية وفرق اليعقوبية والنسطورية واليسوعيين وما فى كل مذهب من الفروع والشعب وترى فى اليهود الهارونية والموسوية والقرايين والسامريين وما فى كل قسم من الفروع والأحكام المتغايرة وربما رأيت كل هذه الأديان بأقسامها وفروعها فى بلد واحد يجرى كل إنسان فى طريقه الدينى غير معارض فى شىء من أصوله أو فروعه أو عاداته فإذا انتهى من العبادة عاد إلى المجتمع الملكى وانتظم مع حزبه يؤيده برأيه أو يساعده بما له فى الخصائص المشربية تحت بساط الحاجة حتى يفرغ من صيانة الوطن والدفاع عن الملك ثم يعود إلى حزبه يشتغل معه فى صالح الوطن والمنفعة العامة من طريق المشرب الخاص تحت

عناية عظيم يدبره وعاقل يرشده فكنت ترى المسيحى والاسرائيلى يقاتلان مع المسلم من ماثلهما دينا دفاعا عن الوطن وشرف الملك لاستوائهما معه فى الجوامع الوطنية والقوانين الملكية. وهكذا الشأن فى كل إقليم وبلد. والقائمون بأمور الأمة يربون الرجال تحت حضانتهم باحتكاك الأفكار والمشاركة فى الأعمال وترقية الأهلين إلى الرتب العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الأعمال والتربية فى الإدارات المختلفة المواضيع. وبهذه العصبيات ارتفع كثير من العقلاء إلى رتب الوزارة والقضاء وولاية الأقاليم بأصوات حزبه أو جملة أحزاب تؤيد مبادئه وترجو حسن غايته وانحط كثير ممن تحولوا عن الوجهة الوطنية والحق الدولى بسعى الأحزاب المخالفة لحزبه. والمدقق الخبير يجد هذا الاختلاف ظاهرى الصورة يرجع إلى غاية متحدة هى وقاية الوطن والملك . وعند مخالطة الأوروبيين للشرقيين فى الحروب الصليبية التى عادت على أوروبا بكل خير ومنفعة أخذوا عنهم هذه الطريقة السياسية وانقسموا أحزابا بين حر ومحافظ وجمهورى وملكى وكمونى ونهليست وسوسيالست ومتطرف ومعتدل واتخذت كل عصبية وسيلة تتوصل بها إلى حياة الأمة وصيانتها وحفظ الوطن وامتداد سطوة الدولة ونفوذها فى التخوم وما يصل للاستعمار فاختلفت الوسائل وتعددت العصبيات مع اتحاد الوجهة فكان للمجموع مبدأ يبنى عليه أعماله التى يريد الوصول إلى غايتها وترقت هذه الأفكار عاما فعاما حتى انتهت بهم إلى انتخاب الوزراء بأصوات العصبيات وعظمت ثقة الأهلين بالحكومات المقيدة بأصواتهم فنفذت فى أقاليم كثيرة وممالك متباعدة ووضعت بيت الملك على أساس متين إذ صارت وقايته مفروضة على العصبيات بالمسابقة إلى التقدم الملكى. ولم يجر المجموع تحت حكم وزير يستعملهم آلة فى تنفيذ آرائه بل اتخذ كل فريق رئيسا عاقلا مجربا محنكا

وعملوا مبادئه وغاياته فصاروا أعضادا ينصرونه ويؤيدونه وينادون به فى الانتخابات وينبهونه على الأغاليط ويساعدونه على امتداد نفوذه المؤيد للدولة بكل ما يقدرون عليه وكل رئيس يربى رجالا يخلفونه اذا انقضى دوره ويمدونه بآرائهم إذا قبض على زمام الاحكام. وبهذه الوسائل المحكمة عظمت ثقة الملوك بالوزراء فأسندوا إليهم الأحكام موقنين أنهم يحافظون على الملك أعظم من محافظتهم لو استقلوا بالحكم والإدارة حتى أنهم لو عينوا سفيرا أو قنصلا فى جهة قالوا له إن سلفك وقف عند نقطة كذا الدولية فإذا لم تتمكن من التقدم عليها فاجتهد فى محافظتك على ما وصلنا إليه بهمة غيرك. ولهذا لاترى دولة أوروبية تتقهقر فى الشرق أو فى جهة أوروبية إلا بقوة عظيمة مشكلة من مجموع دولى. وفى مقابل هذا الاتقان البديع مع علمنا بما عليه عصبيات أوروبا لم نزد إلا تقهقرا بأعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والاعضاد ونوم الأفراد تحت ردم الغفلة أو الخوف الوهمى فلا نسمع إلا عزل فلان وأسند أمر الوزارة إلى فلان فى الأستانه أو طهران أو مصر أو مراكش أو تونس وإذا بحثنا فى المعزول والمولى رأينا كلا منهما لايقول إلا برأيه ولايعتمد إلا على قوته العاقلة وتدبيره الذى كثيرا ما يراه أحدهم صوابا وهو خطأ عظيم ونرى حول كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش ومأمور زمرا توسم بالمحاسيب وهى اخلاط من الغوغاء والرعاع يستعملهم مع الجهل فى الإدارات والوظائف فيعيثون فى البلاد عيث الذئب فى الغنم المهملة فإذا عزل أحدهم جاء الثانى بمحاسيبه وطرد السابقين ووضع جماعته مكانهم فيفعلون وبهذا ضاعت المصلحة الوطنية وتوزعت فى الشهوات والأهواء وصرنا نعد العقلاء ثلاثة أو أربعة فى الأستانة واثنين أو ثلاثة فى مصر وإذا رأينا تخلخل وزارة أخذنا نهجس ونخمن فيمن يكون بعد الحاضر لعلمنا أنه لايوجد من المرشحين

المؤهلين لهذا المنصب إلا فلان وفلان وهما لم يربيا أحدا مدة توليهما الأحكام حتى يخلف الواحد منهم آخر من مشربه فيسير بسيره ليتم عمله الذى كان مشتغلا به وإنما كنا نرى هذا يشتغل بوضع اللوائح والنظامات وترتيب الأعمال والعمال وأحكام العلائق بين حكومته وغيرها ويسعى فى توسيع التجارة والصناعة والزراعة بطرق سهلة وقبل أن يتمم عمله يعزل ويخلفه من يخالفه مشربا فيهدم ما بناه ويفسد ما أحكمه ويغير نظامه ويأخذ فى مجاراته بأحداث أعمال تنسب إليه ويشتغل بما اشتغل به سابقه وقبل أن يتمم عمله يعزل ويأتى غيره على هذه الطريقة. وبهذا السير اختلت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الأجآنب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا أحدا من أهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا استخدام الدخيل يقيهم فتنة الرعاية ويؤيد سطوتهم فيهم فاكثروا منهم فجاؤهم بالمصائب ولكننا إذا قابلنا أعمالهم بأعمال رجال أوروبا وجدناهم فى خطأ عظيم وقد تحملوا مسئولية أمم عظيمة بإهدارهم طرق الإصلاح. وإننا نرى الآن المشابهة سرت فى رجال الشرق فأخذوا يحاكون أوروبا فيما به يفرون من اسم الهمجية والتوحش وسعوا فى جمع كلمتهم وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب ولكنهم مع بقائهم على التفريق وعدم اتخاذ مبدأ يبنون عليه أعمالهم لاتزال الأيام تقيمهم وتقعدهم وهم حيارى بين المقعد والمقيم. فلا بد أن يكون لكل عصبية وزير مدرب يرجعون إليه فإذا أسندت إليه وزارة عانوه وساعدوه وبثوا مبادئه وتعاليمه فى العالم المحكوم ليقروا بذلك أعماله الداخلية والخارجية إذا خالف مبادئهم انضموا إلى العصبيات الأخرى وعارضوه برفع أعماله المختلة إلى الملك أو الأمير حتى يغير وجهته أو يتخلى عن الوظيفة ويتولاها آخر له مبدأ وطنى أيضا تؤيده عصبية أخرى تحت مراقبة العصبية

الثانية كما هو حاصل فى بلاد الانكليز الذين تخللوا ممالك الدنيا بأعمال حزبى الأحرار والمحافظين وأحكام سيرهما فى توحيد الوجهة الملكية مع اختلاف الوسائل المؤدية إلى المقصد الإجماعى. نعم إن الأستانة ومصر ليستا متأهلتين للانتخاب وحرية الأفكار كما ينبغى ولا تتوسع الحكومة بأكثر مما هو حاصل الآن ولكن إذا اجتمعت الأمة على مبدأ وطنى دولى غايته حفظ كرسى الملك الأمير الأعلى وعقدت إجماعها على الخضوع إليه والرضوخ لأحكامه وتأييد مبادئه وتعضيد مقاصده وحفظ النظام الذى يبثه فيها وربطت عزائمها على حفظ مركزه ووجوده فى منصة حكمه مؤيدا باتحاد الأمة معضدا بانقيادها مسرورا بما يراه من الأمن وحسن المخالطة والمعاشرة أمكنها أن تعطى لجماعة من الأمراء جانبا من الاعتماد على هذا الاتحاد والثقة بصالح نية العصبيات فإذا علم الوزير منهم أنه مسئول بين يدى عصبيته عن أعماله وهم يرون أن غيرهم يراقب أعمال رئيسهم انبعثت فى الوزير حمية الخدمة الوطنية وتقوت أفكار عصبيته فى مراقبته وبحث أعماله وتنبيهه على كل ما يؤاخذ به أو يلام عليه أو يوجب سقوطه من منصبه. وهذه الأمانى وإن كنا لانثق بالوصول إليها تماما فى عصرنا ولكننا اذا بدأنا بتأسيس المبادىء وتخصيص العصبيات وجرينا على ذلك الهوينا جاء من بعدنا على نظام لايكلفه إلا القيام بما فيه. وهذه العصبيات والأحزاب لايمكن تكوينها إلا من الوطنيين الذين دفنوا أجدادهم فى البلاد فهم يخافون أن تطأ خيل الغرباء تلك القبور الحافظة لعظام المجد الوطنى والشرف الملكى ففى مثل بلاد الدولة العلية غير الممتازة تتكون من الترك والعرب والجركس والكرد والأرمن وفى مثل مراكش والجزائر وتونس تتكون من العرب والأفريقيين وفى مصر تتكون من المسلمين والأقباط والإسرائيليين وفى مثل طهران تتكون من الفرس والكرد وهكذا تتكون

العصبيات من أهل كل وطن ويعقدون عزائمهم أولا عقد إجماع على تقديس مناصب الملوك والأمراء ثم يبحثون فيمن يمشى بهم فى طريق حفظ الملك أو الأمير من كل ما يمس أى حق من حقوقه المقدسة. ولاي فهم غبى من ذكر العصبيات والأحزاب. إن المراد عصبيات إفساد أو أحزاب فتن وحروب فإن ذلك محض الجنون لأننا محاطون بدول أوروبا وإن كنا فى قطعة شرقية وقد امتلأت بلاد الشرق وممالكه بالأوروبيين متجرين وسائحين ومعلمين وصناعا ومع هذا الاختلاط القاضى بالمحافظة على الأمن والراحة فإن افتراق ممالك الشرق واختلاف كلمة معظم أهله يقضى عليهم بالعدول عن كل فتنة توقعهم فى حرب أوروبية لايقدرون على اقتحام عقباتها لاتفاق ممالك أوروبا عليهم واختلاف ممالكهم الشرقية مع فقد المعدات والمواد الحربية وإذا كان ذلك مرسوما بين أعين العقلاء منا استحال تصور التجمع لفتنة أو لمعاكسة دولة أوروبية وتعين فهم مجاراتنا لأوروبا فى اتخاذ طرق المدنية . خصوصا ونحن معاشر المصريين بين يدى أمير سكنت محبته قلوبنا وتخللت أجزاء ذواتنا وتعلقت آمالنا بهمته العالية وأفكاره المنيرة ولكننا لاننسى إننا تحت مراقبة دولة عظيمة تسعى فى تقدم مدينتنا وتوصيلنا لمعرفة حقوقنا الوطنية وتبذل جهدها فى نشر التعاليم الأوروبية فى أنحاء بلادنا وتفتخر وزراؤها ووكلاؤها بأنهم أوصلونا إلى المدنية وعلمونا كثيرا من طرق الإصلاح التى كنا نجهلها ونبهونا للمطالبة بحقوق خديوينا المفخم ووطننا العزيز وأرشدونا إلى طرق حرية الأفكار والمجامع فعملا بهذه العلوم النفسية واتباعا لنصائحها واقتداء برجالها ينبغى أن نقابل سعيها بالتظاهر أمامها بثمرات أتعابها ليكون فخرها بين الدول بنشأتنا الوطنية وعصبياتنا المصرية أكبر وأعظم وليعلم العالم المدنى الأوروبى أنها وعدت ووفت وإلا فإن بقيت على اجتهادها وبقينا على تقاعدنا كنا علة لما

نحبه ولبسنا ثوب عاريين الأمم وأصبحت الدولة المراقبة لنا تبكتنا وتومينا بفساد الأخلاق وجبن الطباع وعدم الاقتدار على الاختراع فعلينا معاشر المصريين خصوصا والشرقيين عموما أن نبحث في طرق أحزاب أوروبا وروابطهم وكيفية سيرهم وموجب استمرارهم على ما هم فيه ونقلدهم بسير لطيف واعتدال في الحركات والسكنات مع لزوم الهدو وسن الانقياد والمحافظة على حقوق الأجانب والنزلاء والانتباه لدسائس الدخلاء وفتن الأجراء ولتكن لكل فريق جرائد تنتشر أعماله وتؤيد أقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحا أخذه أفكارها عن مجموع أعمال الحزب أو آراء عقلائه بحيث تلزم مشربا لاتتحول عنه بتحول الأحوال ولاتتلون أمام حزبها بتلون المطامع ولايلزم من اختصاصها أن تكون مضادة لغيرها من الجرائد في كل ما يكتب فيها فإن الجرائد مدارس الأفكار ومعارضتها إقفال لباب التعلم الأدبي وإنما تحافظ على مبادىء حزبها وتجاري الجرائد في المقالات العامة والأفكار النافعة وإلا إذا تركت الأحزاب والجرائد وأخذت بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من الدساس تحول مجرى سيلها الوطني إلى الأودية الأجنبية ووقعت في إشراك أوروبا وهي لاتشعر ولتكن المجامع مطهرة من نوى الأفكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف المحسنات الأوروبية مصونة من التخاذل والتباغض متعلقة برئيس لايختلف في استحقاقه للرياسة اثنان فإننا إن فعلنا ذلك قالت أوروبا قد عمت المدنية واستوى فيها اشتات الشرق وعصبيات أوروبا

(إنما يقبل النصيحة من وفق)

أيها الشرقى- نمت حتى إذا سمعت تنبهت ولكنى أراك مذعورا مدهوشا وقد اختلفت كلمة الدعاة فأذنك ملأى بعبارات متناقضة وأنكار متضاربة وأنت متردد بين المنافقين وطبيعتك المائلة بك إلى مماثلة الأجناس علما وشرفا. لاتأس فإن معك من إخوانك ألوافا من الأفاضل العقلاء والملأ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الصلاح والاصلاح والبلغاء الذين أقاموا أنفسهم خدما بين يديك ليرشدوك إلى سواء السبيل والاستاذ أضعف إخوانه الشرقيين وأحوجهم إلى الاستمداد من أفكارهم العالية أحب أن يكون خلف الناصحين ليخدمك بقدر ما يمكن ويبين لك بعض ما اقتبسه من حكم اخوانه واكتشفه من خفايا وضمائك المصطنعين فاسمع وقيت الشر وكفيت السوء - احسن ما اتخذته قاعدة تبنى عليها تقدمك الهدو والسكون والبعد عن أهل الفتن. وأفضل أساس تضعه لعمار بلادك تعاونك باخيك على تمهيد طرق التقدم. إياك أن تظن أن التقدم موقوف على ثورة تريق فيها الدماء فإن من زين لك هذا العمل فقد أضلك واسلمك إلى الغير. لايتوقف التقدم إلا على قطع الأضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الأجناس الشرقية ولايكون ذلك إلا بالتربية على الآداب ومكارم الأخلاق. وليس القصد بهذا الجمع أن تثور فى وجه الأجانب مزحزا لهم عن أوطانك بل القصد أن تشابه الأجنبى فى سعيه العلمى والتجارى. ولاتنظر لسوء تأخرك فتيأس من الوصول إلى التقدم المطلوب واعمل من الأعمال ما يكون كالأساس لمن يأتى بعدك فتكون كمن غرس لغيره فجنى والفضل للفارس. وإلا فإنك إن دخلت باب اليأس وأنت أنت فكرا ونظرا جاء من بعدك قانطا مستسلما لأهل التقدم استسلام ضعف وذلة. وإذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس

شرقى كأن تكون مصريا وترى شرقيا ينفرك من السورى أو التركى فاعلم أنه أجير يشتغل لغيره ويريد أن يأكل خبزه مؤتدما بدمك أن أهاجك للفتنة أو ثروتك أن اسلمك إلى الغير بشقاشقة. فلا تغرنك عبارته العربية ولهجته الشرقية فما هو إلا شرك نصب لتصاد به فاضرب بما يسميه نصحا ووعظا حائط الإهمال والإهدار واستمسك بمحبة أخيك السورى أو التركى أو الفارسى أو غيره فما أرجعك عن طريق التقدم إلا اغترارك بالمصطنعين وأقوالهم. وإذا كنت فى مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق أميرك الخديوى الأفخم ويوهمك أن صالحك موقوف على ذلك فارفض قوله وحذر قومك منه فإنما هوخادع غاش بل عدو مبين واستمسك بحبل الانقياد إلى أميرك واملأ باطنك بحبه واخلص فى دمته فلا حياة لك إلا بحياة سلطته ولاشرف لك إلا بشرف وزرائه الحافظين لنظام حكومته. وإن رأيت تركيا يستهيج سوريا يحرك شاميا فابذل لهما النصح وذكرهما بحاجتنا إلى السكون وقطع عروق الفتن الداخلية وبعدنا عن كل ما يوجب تداخل الغير فى شؤننا وإياك أن يحملك الطيش على أن تسىء معاملة أجنبى استوطن بلادك أو اجتاز بها فتجلب الدمار على بلادك بل عام كل مستوطن فى بلادك بالحسنى فإن أوروبا لاتلتمس من الأعذار عن تداخلها فى الشرق إلا دعوى همجيتنا وعدم استعدادنا للقيام أمامها بمواد العمران وضروريات المدنية فإن اسأت أجنبيا مستوطنا بلادك فقد وقيت دعواها وساعدتها على فتح باب التداخل. وإن رأيت من يطعن فى سلطانك أو يستميلك إلى غيره من الشرقيين فاعلم أنه أجنبى أو اتصل بك نسبا وقرابة. وما ضر الشرق وفرق جمعه وبدد ممالكه إلا أمثال هذا فاقرب من الأفعى ولاتقرب منه فإنه تاجر يتجر ببيع الأرواح بثوب أو لقمة. ولا ازال أكرر عليك لزوم الهدوء والسكون وحفظ حقوق الوطنيين والغرباء والأجانب واستعمال الرفق واللين مع الجد فى إحياء العلم والصنعة وتقدم الزراعة فى مثل مصر التى وقفت ثروتها

على خدمة تربتها. واعلم إن أفاضل الشرق ليسوا قليلين حتى تستبعد الوصول إلى معارف أوروبا أو إلى مبادئها إن قصرنا ولكنهم يحتاجون لشدة أزر بعضهم بعضا فى فتح محال التعليم وتكثيرها فى المدن والقرى. فاجتهد فى تعليم الأبناء ودع العلم يطالب بمجد الجنس وشرف الشرق فالبعثة العلمية خير من البعثة الحربية ولا شاهدا أكبر مما تشاهده من قوة أوروبا بقوة علمائها. هذه نصيحتى إلى كل شرقى سمعها مسلما كان أو مسيحيا أو إسرائيليا أو غيره.

باب الأدبيات

يا آل بيت المصطفى إنى لكم	عبد لما قلدتمونى من منن
ما سرت قط إلى عظيم راجيا	إلا إليكم فالرجا فيكم حسن

* * *

واحد فى خلقه فيه انطوت	وحدة الأفعال من بارى الرماح
سره فى كل ذات كامن	يصقل العقل فلا تهوى الجماح
جنة فيها لأرباب النهى	نور نعمى حوله نور الأقاح
كعبة طاف بها الأرواح فى	عالم الذر ولبت بارتياح
رفرف من تحته حجب علت	فى ذرا الأفلاك والأجوا الفساح
قاسر دارت به الأفلاك فى	ساحة ما طار فيها ذو جناح
حامت الأرواح فى أشباحها	حول معنى دونه ضرب الصفاح

* * *

صدق النبي أتى به ... وحي تنزل م السما
فالله قال لقومه ... ماضل صاحبكم وما (غوى)

* * *

اعلم أن المرء يلقى سعيه ... يوم الجزا أبداه أو أكنه
وأن للرب العظيم المنتهى ... وأنه وأنه وأنه

وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى

* * *

تنهد من جواه فقيل إنا ... وشبب بالعقيق فقيل حنا
إذا كان الأنين يعد ذنبا ... فكيف بفاتك قتل المعنى
برزتم كالشموس بغير ستر ... وصرتم تعجبون اذا فتنا
لو أنا قد لثمناكم عذرتم ... وماذا غير قتلتنا لو آنا
أسرنا معشر العشاق حرنا ... غدرنا دون من نلقاه هنا
خرجتم للرياض فكل غصن ... للثم نعالكم أدبا تثنى
وعود السرو لما أن رآكم ... تمثل قائما والورد هنى
ومال النخل يتحفكم بنثر ... من الياقوت والكرم اطمأن
وحياكم من التفاح خد ... اسيل ورده بالثغر يجنى
وضم الفل للتقبيل فاه ... ولكن ما أجيب ولاتهنى
وحيا حى عالمكم بلثم ... لترب النعل لما صار أدنى
وقام الموز يرفع فى يديه ... شماسى كى يظلكم بمعنى
ومد الباع عناب وأوما ... بانمل مخضبة بحنا

وقام قرنفل بالكاس يسقى   رحيق الطل واللوز استكنا
وست الحسن قد ألقت أزارا   تزركش بالزمرد فوق مغنى
ورمان الرياض غدا يهادى   بحق الماس مقفولا فأغنى
وقام التين يشكو فقر حال   ومد الكف يطلب ماتمنى
وقامت قشطة تهدى حليبا   لطيفا قد حوى زبدا وسمنا
وعلقت القناديل ابتهاجا   بأغصان فصار الروض زينا
وصاح الماء يمدحكم ولكن   للطف فيه لم يظهر وكنى
وطار النسر خوفا من نبال   تفت الصخر والشحرور غنى
اذا حن الجماد وهام طير   فلا تعجب اذا الإنسان جنا
عشقناكم عشقناكم فصولوا   وتيهوا واهجروا بالعشق دنا
اذا جاء العذول فوشوشوه   وإلا فاهجروا همنا شهرنا
قطفنا ورد خدكم جهارا   ومن خمر المراشف قد سكرنا
وعربدنا بتقبيل وضم   ومزقنا اللثام وما جبنا

* * *

دع عنك لومى فى شىء خصصت به   وانظر لنفسك تعذر مثلك الجانى
فتركك الشيء لايعنيك منقبة   بل ذاك للمرء يدعى حسن إيمان

* * *

طا حامى الصخر فى الرمضاء ممتطيا   ظهر الثبات ترد الصعب للذلل
كما جاء قبلا ملايين مملينة   وليس فى الصف غير الحر والبطل

* * *

انظر لمـا تبـديه من فـعل يرى   فـعل الرجـال لعـقلهم عنوان
والناس شـتى فى التنافـر والمـرا   والكل ان الفـتـهم إنسـان

* * *

سلو السـيوف من الجـفون تدللا   فـمن اهتـدى بجـمـالهم لهم نحـر
وتعلموا بقدودهم فى تيههم وضعوا   طعن المدرع في فؤاد المعتجـر
وضعوا على الياقوت طلسم فضة   سـمـوه من عـجب لثام المـختـمـر
وتكحلوا بالليل فى أجـفـانهم   وتلثموا بالصبح من حسن شهر
وتدرعـوا فى حـربهم بعـفـافـهم   شأن الكريم مع الشجاع المنكسر
أسـروا جنود غـرامـهم بجـفـونهم   ومـحـارب الغـزلان يعـذران أسـر
نظم اللئـالى فى ثغـورهم حـوى الـ   حسن الذى فى كل ذى حسن نثر

* * *

شـهودى على دعـوى الغرام عدول   فـمـيلى لتـجـريح العـذول عـدول
فـقلبى يزكـيـه اصـفـرار وعـبـرة   وجـسـمى يزكـيـه جـوى ونحـول
وأقـلام جـفنى فـوق خـدى سطرت   كـتـابا به مـا فى الفـؤاد يصـول
وقاضى الهوى أمضى بعشقى حجة   وحـدد فـيـهـا مـا إلىْ يؤل
فـحدى من شـرق الغـرام صبابة   وحـدى من غـرب الهـيـام ذهول
ومنى إلى حـر الجنوب توله   ومنى إلى برد الشـمـال ذبول
وفى باب هذا البـيت قـاعـة عـبـرة   ومـخـزن حـزن للهـمـوم طويل
ومنه إلى حـوش التـيـتم طرقـة   بهـا لوفـود العـاشـقـين وحـول
وفى الحوش باب فيه سلم حسرة   وصـالون هجـر للمـشـوق مـهـول
وفـيـه على الخط اليـمـين مـواقـد   بهـا الكبـد والاحـشـاء ثم نزول

وعند شمال الداخلين مناظر   بها مهجتى وسط الظلام تحول
وفى الصدر حمام تزايد حرها   وليس بها غير الدموع غول
وقد شهد المحبوب أن محبه   يحل له فى ذا المكان حلول
وحرر هذا فى محرم وصله   وسجله يوم الفراق عنول

* * *

ما قام حظى وعمرى فى شبيبة   وإن يقم بعد شيبى كان كالعدم
ما فى المشيب سرور لو أرى ملكا   وإن يكن قصرت عن دركه قدمى

* * *

واخجلتى من أربعون قطعتها   لعبا وقد سبق النديم نساء
ولىْ الشباب وصحتى فى زهوها   وأتى المشيب وبنيتى حنواء
لافى الشباب عملت ما يرضى ولا   وقت المشيب يرى النشاط عساء
أعريت أفراس التقى فتأخرت   فالسبق لاتجرى له الاعراء
لو أسرجت بلغت مدى مضمارها   سبقافجرى المنكيات غلاء
من لى بذا والنفس فى بحر الهوى   يجرى بها التسويف والعدواء
نسبى مظاهره مطالع للتقى   لكن أعمالى بها استرخاء
أأجى ممن اشرعوا طرق الهدى   واعقهم ما وهكذا الابناء

* * *

ياسيد السيدات قلبى خائف   مما يرى العاصون فى الميعاد
أنا منهم فالنفس كم شطحت على   أرض الضلال وماصبت لرشاد
أجهدتها فى الفى ياليت النهى   رد الشريدة باجتهاد جهاد
سودت صحفى بالذنوب وقد علا   عين السواد اختلاط سواد

ما كان فى الآباء مثلى مسرف   فالكل كانوا قدوة السجاد
خالفتهم جهلا مغورا   إذ صار منجدهم مع الأصعاد
واتيت بابك فارغا من كل ما   يرجوه وفد الخير والزهاد
ما فى الفؤاد سوى محبتك التى   هى جنتى حصنى شرابى زادى

* * *

اترك النفس والورى وتعالى   تلق من جل شأنه وتعالى

* * *

فهرست

الجزء الأول من سلافة النديم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١	دراسة تحليلية	١٣٣	المقدمـــــة
٣٤	ترجمة الفقيد	١٣٦	مجلس طبى على مصاب بالافرنجي
٦١	لواء النصر فى أدباء العصر	١٣٩	عربى تفرنج
٦٨	التنور المسجور فى المفاخرة بين السفينة والوابور	١٤١	سهرة الانطاع
٧٤	طالع الكرامة بحسن السلامة	١٤٤	تخريفه (الجنون فنون)
٧٦	نار الغدو وثار العدو	١٤٥	محتاج جاهل فى يد محتاج طامع
٧٩	استعطاف المقرر قلب المحرر	١٤٨	غفلة التقليد
٨٢	درر النحلة وغرر الرحلة	١٥٣	أضاعة اللغة تسليم للذات
٩١	حفظ الودائع لدرر البدائع	١٥٦	رسالة في الحكم بين متناظرين
٩٧	تنبيه اللبيب وتسلية الحبيب	١٦٣	جرائد الاخبار مدارس الأفكار
١٠٠	رسالة على لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريرى	١٦٦	هف طلع النهار
١٠١	دفع العرام بذل الغرام	١٦٨	كم في الزوايا خبايا
١٠٣	رسالة شكر على لسان الشيخ احمد ابراهيم الاسكندرى	١٧٠	جواب عن سؤال
١٠٥	نجوم الليالى فى عقود اللالى	١٧٣	تخريفه خد من عبد الله واتكل على الله
١١١	رسالة شوق لبعض أصدقائه	١٧٦	انذار صادر عن لسان الانسانية
١١٥	الساق على الساق فى مكابدة المشاق	١٧٦	تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان
١٢١	رسالة شوق لبعض أصدقائه	١٨٤	حوادث خارجية
١٢١	رسالة أخرى مثلها	١٨٥	اخبار آخر ساعة
١٢٢	رياض للرسائل وحياض الوسائل	١٨٥	اعتراض على التنكيت وجوابه
١٢٦	زند الأذهان وزبد الأذهان	١٨٦	حر الكلام كلام الحر
١٢٨	حوض الخمر وخوض الجمر	١٩٠	اتبع الحق وان عز عليك ظهوره
	منتخبات التنكيت والتبكيت	١٩٣	السن الخطباء تحيى وتميت
١٣٣	اعلان إلى النبهاء والأذكياء	٢٠٣	منثورات

فهرست

الجزء الثانى من سلافة النديم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٩	ومن مدخل بديعيته فى حسن الابتداء	٣١٤	مدرسة البنين نديم وحافظ
٢٢٠	في معاملة الوالدين		
٢٣١	في معاملة الأخوة والأخوات	٣٢٢	الانسجام
٢٣٥	وظائف العلماء في العالم	٣٢٥	جواب على سؤال عن سيدنا يوسف
٢٣٨	طبقة الملوك والأمراء	٣٢٨	جواب على سؤال ارم ذات العماد
٢٣٩	طبقة الوزراء	٣٢٩	بعض كلمات أرسلها امثالا
٢٤٠	طبقة التجار والأغنياء	٣٣٢	تربية الأبناء
٢٤١	طبقة علماء الرياضة والطبيعة	٣٣٧	بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد
٢٤٢	طبقة الكتاب والمنشئين	٣٥١	أشتات الشرق وعصبيات اوربا
٢٤٥	شذرة من رواية الوطن	٣٥٩	إنما يقبل النصيحة من وفق
٢٨١	فريق التمثيل العربى	٣٦١	باب الأدبيات
٢٨٢	لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا	٣٦٧	فهرست
٣٠٦	من خطبة يوم الجمعة وهو مختفيا بالريف		
٣٠٧	خطبة ثانية		
٣٠٨	عقد اتفاق		
٣١١	عرض حال نساء السكارى لأزواجهن		